



T.C.
HARRAN ÜNİVERSİTESİ
LİSANSÜSTÜ EĞİTİM ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLÂM BİLİMLER ANA BİLİM DALI
KELAM BİLİM DALI

(DOKTORA TEZİ)

TESİRATU'L- 'AVLEME 'ALE'L- 'AKİDETİ'L-İSLAMİYYE

MOHAMAD JLELATİ

ŞANLIURFA – 2026



T.C.
HARRAN ÜNİVERSİTESİ
LİSANSÜSTÜ EĞİTİM
ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLÂM BİLİMLER ANA BİLİM DALI
KELAM BİLİM DALI

(DOKTORA TEZİ)

TESİRATU'L- 'AVLEME 'ALE'L- 'AKİDETİ'L-İSLAMİYYE

DANIŞMAN:
DOÇ. DR. M. CÜNEYT GÖKÇE

MOHAMAD JLELATİ

ŞANLIURFA – 2026

ORİJİNALLİK BEYANI

المخلص:

تأثيرات العولمة على العقيدة الإسلامية

تناقش هذه الدراسة قضية من أكثر القضايا إلحاحاً في الفكر الإسلامي المعاصر، وهي "تأثيرات العولمة على العقيدة الإسلامية" تهدف الدراسة إلى تفكيك بنية العولمة بوصفها "رؤية كونية" تتجاوز الأبعاد الاقتصادية والسياسية لتطرح نموذجاً مادياً ينافس المركزية الإلهية في التصور الإسلامي وقد اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي لتشخيص واقع التغلغل العولمي في المجتمعات الإسلامية، والمنهج النقدي المقارن للموازنة بين "العولمة" القائمة على الهيمنة والنموذج الواحد، وبين "العالمية الإسلامية" القائمة على التعارف والتنوع الثقافي.

حيث خلصت الدراسة إلى أن العولمة تمارس ضغوطاً بنيوية على الثوابت العقيدية من خلال آليات "السيولة" و"النزعة الاستهلاكية" و"تأليه الإنسان"، مما أدى إلى ظهور أنماط من التدين الشكلي أو الاغتراب القيمي، و كما كشفت الدراسة عن "قابلية الاختراق" في العقل المسلم المعاصر نتيجة ضعف الحصانة الفكرية، وفي المقابل قدم البحث استراتيجيات شاملة للمواجهة والتحصين تقوم على "إعادة بناء الشخصية المسلمة" وفق منهجية "تكامل المعرفة"، وتفعيل الدور المؤسسي والتقني لخدمة العقيدة، والانتقال من موقف "الدفاع" إلى موقف "المبادرة الحضارية" عبر تقديم الإسلام كبديل قيمي ينقذ البشرية من مأزق المادية المفرطة.

الكلمات المفتاحية:

العولمة، العقيدة الإسلامية، الهوية الثقافية، العالمية الإسلامية، التحصين العقدي، التحديات المعاصرة.

Özet

Küreselleşmenin İslam Akidesi Üzerine Etkileri

Bu çalışma, çağdaş İslam düşüncesinin en önemli meselelerinden biri olan "küreselleşmenin İslam inancı üzerindeki etkileri"ni ele almaktadır. Araştırma, küreselleşmenin yapısını; ekonomik ve siyasi boyutları aşarak, İslami tasavvurdaki "İlahi merkezli" dünya görüşüne rakip, materyalist bir model sunan bir "dünya görüşü" olarak çözümlenmeyi amaçlamaktadır. Araştırmacı; küresel nüfuzun İslam toplumlarındaki mevcut gerçekliğini teşhis etmek için betimsel-analitik yöntemi; tahakküm ve tek tipleştirme temelli "küreselleşme" ile tanışma ve kültürel çeşitlilik temelli "İslami evrenselliği" karşılaştırmak için ise eleştirel-karşılaştırmalı yöntemi benimsemiştir.

Çalışma, küreselleşmenin akışkanlık, tüketimci materyalist eğilimler ve insanın tanrılaştırılması gibi mekanizmalar yoluyla inanç esasları üzerinde yapısal baskılar oluşturduğunu; bunun da yüzeysel dindarlık biçimlerinin ortaya çıkmasına veya değer yabancılaşmasına yol açtığını ortaya koymaktadır. Ayrıca, çağdaş Müslüman zihninde düşünsel bağışıklığın zayıflaması sonucu bir "etkilenmeye açıklık" (asimileye yatkınlık) bulunduğunu tespit etmektedir. Buna karşılık araştırma, inancı koruma ve güçlendirme için kapsamlı bir strateji önermekte; bu strateji, bilgi bütünlüğü temelinde Müslüman şahsiyetin yeniden inşasını, kurumsal ve teknolojik araçların etkin kullanımını ve savunma pozisyonundan medeniyet kurucu bir inisiyatife geçişi içermektedir. Bu bağlamda İslam'ın, insanlığı aşırı materyalizmin çıkmazlarından kurtaracak değerler temelli bir alternatif olarak sunulması hedeflenmektedir.

Anahtar kelimeler:

Küreselleşme, islam inancı, kültürel kimlik, islamî evrensellik, akidevî korunma, çağdaş meydan okumalar.

Abstract:

The Impacts of Globalisation on Islamic Creed

"This study addresses one of the most pressing issues in contemporary Islamic thought: 'The Impacts of Globalisation on Islamic Creed'. It aims to deconstruct the structure of globalisation as a 'worldview' that transcends economic and political dimensions to propose a materialistic model that rivals Divine Centrality within the Islamic conception. The researcher employs a descriptive-analytical approach to diagnose the reality of globalist penetration in Islamic societies, alongside a critical-comparative methodology to contrast 'Globalisation'—based on hegemony and uniformity—with 'Islamic Universality,' which is founded upon mutual acquaintance and cultural diversity."

"The study concludes that globalisation exerts structural pressures on creedal constants through the mechanisms of 'liquidity', 'consumerist materialism', and the 'apotheosis of man'. These factors have led to the emergence of patterns of formalistic religiosity or value-based alienation. Furthermore, the study reveals a 'vulnerability to penetration' within the contemporary Muslim mind due to weakened intellectual immunity. In response, the research presents a comprehensive strategy for resistance and fortification based on 'reconstructing the Muslim personality' through the methodology of 'knowledge integration'. This strategy advocates for activating institutional and technological roles in the service of creed, and transitioning from a 'defensive' posture to one of 'civilisational initiative', presenting Islam as a value-based alternative capable of rescuing humanity from the predicaments of excessive materialism."

Keywords:

Globalisation, Islamic Creed, Cultural Identity, Islamic Universality, Creedal Fortification, Contemporary Challenges.

الفهرس

فهرس المحتويات

1. الباب الأول: التمهيدى - الإطار المفاهيمى والنظرى.....6
- 1.1. التحرير المصطلحى وضبط المفاهيم:6
- 1.1.1. تعريف العولمة6
- 1.1.2. تعريف العقيدة10
- 1.1.3. تعريف التأثير13
- 1.2. التأسيس المفاهيمى والسياق التاريخى: جدلية العولمة والعقيدة15
- 1.2.1. النظام العولمى: المفهوم، النشأة، والاشكاليات15
- 1.2.2. مدخل مفاهيمى وتاريخى للعقيدة الإسلامية23
- 1.2.3. مفاهيم ذات الصلة (العقيدة والإيمان، العلمنة، والنظام العالمى)25
2. الباب الثانى: الإطار النظرى للبحث المظاهر والأساسيات الاعتقادية28
- 2.1. العولمة وتأثيراتها على العقيدة الإسلامية31
- 2.1.1. الآليات الفكرية والمعرفية32
- 2.1.2. الآليات الثقافية والاجتماعية34
- 2.1.3. الآليات الإعلامية والتكنولوجية37
- 2.1.4. الآليات الاقتصادية والسياسية39
- 2.2. مجالات تأثير العولمة على العقيدة الإسلامية41
- 2.2.1. التأثير فى مجال الإيمان بالله تعالى43
- 2.2.2. التأثير فى مجال الإيمان بالرسل والكتب السماوية45
- 2.2.3. التأثير فى مجال الإيمان باليوم الآخر47
- 2.2.4. التأثير فى مجال الإيمان بالقضاء والقدر48
- 2.3. نماذج من تأثيرات العولمة على العقيدة الإسلامية فى الواقع المعاصر49
- 2.3.1. نموذج التأثير فى المجتمعات العربية50
- 2.3.2. نموذج التأثير فى المجتمعات الإسلامية غير العربية52
- 2.3.3. نموذج التأثير فى المجتمعات الإسلامية فى الغرب53

55.....	2.4. خلاصة الباب
56.....	3. الباب الثالث: جوانب التأثير الاعتقادي للمجتمع المسلم بالعولمة وسبل التعافي.....
56.....	3.1. جوانب التأثير الاعتقادي للمجتمع المسلم بالعولمة.....
56.....	3.1.1. التأثيرات الإيجابية للعولمة على العقيدة الإسلامية.....
80.....	3.2. التأثيرات السلبية للعولمة على العقيدة الإسلامية.....
91.....	3.2.2. التأثيرات السلبية للعولمة الثقافية على العقيدة الإسلامية.....
99.....	3.2.3. التأثيرات السلبية للعولمة الاجتماعية على العقيدة الإسلامية.....
107.....	3.2.4. التأثيرات السلبية للعولمة التكنولوجية على العقيدة الإسلامية.....
112.....	3.2.5. نماذج من التأثيرات السلبية للعولمة على العقيدة الإسلامية في الواقع المعاصر.....
116.....	3.2.6. خلاصة الباب
117.....	3.3. الاستجابة المنهجية للتعافي والوقاية من آثار العولمة على الالتزام العقدي.....
120.....	3.3.1. استراتيجيات مواجهة التأثيرات السلبية للعولمة على العقيدة الإسلامية.....
137.....	3.3.2. نماذج ناجحة في مواجهة التأثيرات السلبية للعولمة على العقيدة الإسلامية.....
140.....	3.3.3. خلاصة الباب
141.....	3.3.4. رؤية مستقبلية للتعامل مع العولمة: دليل عملي لترتيب الأولويات الإيمانية.....
181.....	3.3.5. خلاصة (الرؤية المستقبلية المتكاملة).....
184.....	3.3.6. الحدود الاعتقادية للأساسيات والفرعيات (ضبط بوصلة الثبات والمرونة).....
186.....	3.3.7. ضوابط الاعتقاد من حيث القبول والرد (الميزان المعرفي).....
186.....	3.3.8. التحصين الداخلي للأفراد (بناء المناعة الذاتية).....
188.....	3.3.9. عولمة عقيدة التوحيد (من الدفاع إلى المبادرة الحضارية).....
191.....	4. التوصيات والخاتمة.....
193.....	5. المراجع.....

مقدمة البحث

أهداف البحث

لا يقتصر هذا البحث على الرصد السطحي لظواهر العولمة وتجلياتها، بل يرمي إلى تحقيق جملة من الأهداف المركبة التي تغوص في العمق المعرفي والعقدي، ويمكن تفصيلها على النحو التالي:

1- التفكيك المعرفي والتحرير المصطلحي:

- السعي إلى تقديم تعريف دقيق وشامل لمفهوم "العولمة" (Globalization) "يتجاوز التعريفات الاقتصادية والسياسية الشائعة، ليرتقي إلى تعريفها بوصفها "رؤية كونية" (Worldview) ومذهباً فلسفياً يحمل في طياته نسقاً قيمياً محدداً.
- إجراء موازنة دقيقة لفك الاشتباك الاصطلاحي بين "العولمة" القائمة على التنميط وفرض النموذج الواحد (الهيمنة)، وبين مفهوم "العالمية" (Universality) "في التصور الإسلامي القائم على التعارف، والاعتراف بالخصوصيات الثقافية، ووحدة الأصل البشري.
- التمييز بين "الكونية" كسنة إلهية حاکمة لا فكاك منها، وبين "العولمة" كمشروع بشري قابل للنقد والأخذ والرد.

2- الكشف عن البنية العقدية الكامنة في خطاب العولمة:

- تحليل المرتكزات الفلسفية التي تستند إليها العولمة، وتحديد ما يسميه الدكتور عبد الوهاب المسيري بـ "العلمانية الشاملة"، التي لا تكتفي بفصل الدين عن الدولة، بل تسعى لفصل القيم الدينية والأخلاقية والمطلقة عن كافة مناحي الحياة اليومية (الاستهلاك، الفن، الأسرة).
- رصد مظاهر انتقال المركزية في النموذج العولمي من "الإله" (المركزية الربانية) إلى "الإنسان" أو "المادة" (المركزية الإنسانية/المادية)، وبيان خطر هذا التحول على جوهر عقيدة التوحيد التي تقوم على إفراد الله بالعبودية والتشريع.

3- تشخيص "القابلية للاختراق" في الواقع الإسلامي المعاصر:

- تحليل الحالة الراهنة للعقل المسلم والمجتمعات الإسلامية، والكشف عن مواطن الوهن الداخلي (أزمة الوعي، الفراغ الروحي، ضعف الحصانة الفكرية) التي مهدت الطريق لتقبل الوافد العولمي دون تمحيص.

- دراسة ظاهرة "التدين الشكلي" أو "التدين المنقوص" الذي يكتفي بالشعائر الظاهرة وينفصل عن حركة الحياة، مما يجعله هشاً أمام تيارات العولمة الجارفة.

4- رصد وتحليل التأثيرات (الإيجابية والسلبية) بمنهجية نقدية:

- **على الصعيد السلبي:** تتبع ورصد التشوهات العقدية الناتجة عن الانفتاح غير المنضبط، مثل: انتشار النزعات الإلحادية الجديدة، والغنوصية (الروحانية بلا دين)، وتذويب عقيدة الولاء والبراء، وتفكيك الأسرة المسلمة كنواة عقدية تربوية.
- **على الصعيد الإيجابي:** استكشاف الفرص التي تتيحها أدوات العولمة (ثورة الاتصالات، السماوات المفتوحة) لخدمة العقيدة، وتجديد آليات الدعوة، وعرض الإسلام كبديل حضاري عالمي ينقذ البشرية من التثيؤ والمادية.

5- بناء "استراتيجية التحصين والمواجهة" (من الدفاع إلى الشهود):

- صياغة منظومة متكاملة للتحصين العقدي تستند إلى نصوص الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة، تهدف إلى بناء "الشخصية المسلمة المستقلة" القادرة على التفاعل مع العصر دون الذوبان فيه.
- تقديم رؤية مستقبلية تعتمد منهجية "إسلامية المعرفة" (كما طرحها طه جابر العلواني) لإعادة صياغة العلوم والمناهج، بما يحقق "الجمع بين القراءتين" (قراءة الوحي وقراءة الكون)، والانتقال بالأمة من خانة "المفعول به" (المتلقي للعولمة) إلى خانة "الفاعل الحضاري" (الشاهد على الناس).

منهج البحث

نظراً للطبيعة المركبة لموضوع البحث، الذي يجمع بين قضايا العقيدة (التي تتسم بالثبات والقطعية) وقضايا الواقع والعولمة (التي تتسم بالتغير والسيولة)، فقد اقتضت الضرورة العلمية اعتماد منهجية تكاملية مركبة، توظف عدة مناهج بحثية في آن واحد، وذلك على النحو التالي:

1- المنهج الوصفي التحليلي (التفكيكي): يُعد هذا المنهج المدخل الضروري لتوصيف الظاهرة

قبل الحكم عليها، وسيتم توظيفه في هذا البحث عبر مسارين:

- **المسار الأول (توصيف العولمة):** لا يكتفي البحث بالسرد التاريخي، بل يقوم بـ "التحليل التفكيكي" لبنية العولمة، مستهدفاً كشف الأنساق الثقافية والفلسفية المضمرة خلف شعاراتها البراقة (مثل الحرية، التقدم، الانفتاح)، لفهم كيف تعمل آلياتها في التأثير على العقل والوجدان.

- **المسار الثاني (توصيف الواقع العقدي):** رصد التحولات التي طرأت على التدين في المجتمعات الإسلامية، وتوصيف الظواهر المستحدثة بدقة (مثل ظاهرة التدين الفردي، أو الانبهار بالنموذج الغربي).
- 2- **المنهج النقدي المقاصدي:** وهو المنهج الذي يتجاوز مرحلة الوصف إلى مرحلة التقويم والمحكمة؛ سيقوم البحث بإخضاع مخرجات العولمة ومقولاتها (الفكرية، الاجتماعية، الاقتصادية) لميزان النقد الشرعي، وذلك من خلال:
 - **النقد الأصولي:** عرض هذه المقولات على نصوص الوحيين (الكتاب والسنة) لبيان موافقتها أو مخالفتها لقطعيات الدين.
 - **النقد المقاصدي:** النظر في مآلات هذه الظواهر وآثارها على الكليات الخمس (وخاصة حفظ الدين، وحفظ النسل، وحفظ العقل)، ورفض كل ما يؤدي إلى تعطيل هذه المقاصد، حتى لو تزيًا بزي المصلحة الموهومة.
- 3- **المنهج الاستنباطي التأصيلي:** يُعد هذا المنهج "الركيزة المحورية" في الدراسات العقدية، إذ يتجاوز الوصف إلى التأسيس، ويهدف البحث من خلاله إلى تحقيق مسارين متكاملين:
 - **الاستناد إلى الأصول والمرجعيات:** العودة المباشرة إلى المصادر التأسيسية (النصوص الوحيانية، والآثار السلفية، والقواعد العقدية الكلية)؛ لاستنتاج الأحكام المنهجية والمواقف العقدية تجاه المستجدات والنوازل الفكرية المعاصرة.
 - **التأسيس المفاهيمي البديل:** الانتقال من الدور الدفاعي (الرفض) إلى الدور البنائي (التأصيل)؛ فبدلاً من الوقوف عند حدود نقد مصطلح "العولمة"، يعمل البحث على اشتقاق وتقعيد مفهوم "العالمية الإسلامية" من الوحيين، لتقديمه كبديل شرعي أصيل يمتلك مقوماته الذاتية.
- 4- **المنهج المقارن:** يستخدم البحث هذا المنهج لإجراء مقاربات فكرية تكشف الفوارق الجوهرية، وذلك عبر:
 - **المقارنة المفاهيمية:** الموازنة بين "الرؤية التوحيدية" التي تربط الأرض بالسماء والدنيا بالآخرة، و"الرؤية العولمية المادية" التي تحصر الإنسان في البعد الدنيوي الاستهلاكي.
 - **المقارنة المنهجية:** استعراض مواقف التيارات الفكرية الإسلامية المختلفة (المحافظة، الإصلاحية، التغريبية) تجاه العولمة، والموازنة بين أدلتها لترجيح الموقف الأقرب لمقاصد الشرع وصالح الأمة.

الدراسات السابقة

يحظى موضوع العولمة باهتمام بحثي واسع، وقد تراكمت حوله أدبيات ضخمة، إلا أن معظمها تناول الظاهرة من زوايا سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية عامة، وفيما يلي استعراض تحليلي ونقدي لأبرز الدراسات التي تقاطعت مع موضوع بحثنا، لبيان موقع دراستنا الحالية منها:

أولاً: الدراسات التي ركزت على البعد الحضاري والهوية:

- دراسة الجابري (1998) "العولمة والهوية الثقافية":⁽¹⁾ تُعد هذه الدراسة علامة فارقة في التنظير الفلسفي للعولمة، حيث ميز فيها الجابري بدقة بين "العولمة" كأيدولوجيا للهيمنة ونفي الآخر، وبين "العالمية" كطموح إنساني مشروع، ورغم عمق التحليل الثقافي، إلا أن الدراسة بقيت في إطار المعالجة الفكرية الفلسفية، ولم تنطرق بشكل مباشر للتفصيلات العقدية والإيمانية (مثل أثر العولمة على الغيبيات، والولاء والبراء، وتوحيد الألوهية) التي هي محور بحثنا.
- دراسة محمد الجوهرى (2005) "العولمة وأثرها على العقيدة والثقافة": قدمت هذه الدراسة مسحةً جيداً للتحديات الثقافية، ودعت بوضوح إلى تجديد الخطاب الديني؛ لكن يُلاحظ عليها غلبة الطابع "الدفاعي"، والتركيز على "الهوية" بمفهومها التراثي والاجتماعي، أكثر من التركيز على "العقيدة" بمفهومها التعبدية والغيبية الدقيق.⁽²⁾

ثانياً: الدراسات التي ركزت على البعد الاجتماعي والقيمي:

- دراسة أبو زعرور (2002)⁽³⁾ ودراسة عبد القادر الشبخلي (2001)⁽⁴⁾ قدمت هاتان الدراستان رسداً ميدانياً وواقعياً ممتازاً لآثار العولمة على البنية الاجتماعية (تفكك الأسرة، صراع الأجيال، القيم الاستهلاكية)؛ تميزت الدراسات بالتشخيص الدقيق للداء، لكن المعالجة

(1) محمد عابد الجابري، "العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات"، العرب والعولمة، *ed. by* أسامة أمين الخولي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998)، 325.

(2) محمد الجوهرى، *العولمة وأثرها على العقيدة والثقافة الإسلامية* (القاهرة: دار الأمين، 2005)، 215.

(3) محمد سعيد أبو زعرور، *العولمة والعالم الإسلامي* (عمان: دار البيارق، 2002)، 187.

(4) عبد القادر الشبخلي، *العولمة وتأثيرها على المجتمع الإسلامي* (بيروت: دار الفكر المعاصر، 2001)، 156.

العقدية جاءت عرضاً ضمن الحديث عن الأخلاق، ولم يتم ربط هذه الظواهر الاجتماعية بجذورها الفلسفية العقدية (مثل العلمانية الشاملة والمادية) بالعمق الكافي

ثالثاً: الدراسات التي ركزت على الجدل الفكري:

- دراسة محمد عمارة (2003) "العولمة والعقيدة"⁽⁵⁾: لعل هذه الدراسة هي الأقرب لروح بحثنا، حيث ناقش فيها المفكر الكبير محمد عمارة التحدي الذي تمثله العولمة لثوابت الدين، ومع أهمية طرحه وقوته في دحض الشبهات، إلا أنه ركز بشكل كبير على الجانب السجالي مع الغرب، وعلى كشف تهاافت الفكر الغربي، تاركاً مساحة بحثية واسعة فيما يتعلق بـ "البناء الداخلي" و"استراتيجيات التحصين التربوي والنفسي" للفرد المسلم.

موقع الدراسة الحالية (الفجوة البحثية والإضافة العلمية):

تأتي هذه الأطروحة لتملاً فراغاً بحثياً ملموساً، وتتميز عما سبق بما يلي:

1. الشمولية في تناول العقدي: فهي لا تنظر للعولمة كتهديد ثقافي فقط، بل كـ "دين مادي جديد" يزاحم عقيدة التوحيد في تفسير الوجود والغاية من الحياة.
2. التحليل الجذري للآليات: تتجاوز رصد الظواهر إلى تحليل "الآليات الخفية" (مثل تغيير اللغة، والقدرات، والصورة الذهنية) التي تتسلل عبرها العولمة إلى اللاشعور الجمعي للأمة.
3. الانتقال من التشخيص إلى العلاج: لا تكتفي بالتحذير والندب، بل تسعى لتقديم "خارطة طريق" عملية وواقعية، تستلهم من التراث (مقاصد الشاطبي وابن عاشور) ومن المعاصرة (منهجية أسلمة المعرفة للعلواني)، لصياغة نموذج إسلامي قادر على المنافسة والشهود الحضاري.

(5) محمد عمارة، العولمة والعقيدة: دراسة في التأثيرات المتبادلة (القاهرة: دار نهضة مصر، 2003)، 198.

1. الباب الأول: التمهيدي - الإطار المفاهيمي والنظري

1.1. التحرير المصطلحي وضبط المفاهيم:

لأن ضبط المفاهيم يمثل "العتبة المعرفية" الأساسية لأي بحث علمي، وتزداد أهميته في الدراسات التي تعالج الثنائيات الجدلية كعلاقة الثابت (العقيدة) بـ المتغير (العولمة)؛ ونظراً لما يحيط بمصطلح "العولمة" من سيولة دلالية وضبابية فكرية، في مقابل ما يتميز به مصطلح "العقيدة" من رسوخ ووضوح..

فإن هذا المبحث يهدف إلى:

- تفكيك المصطلحات: عبر تحليلها لغوياً واصطلاحياً لسبر أغوارها.
- الصياغة الإجرائية: الوصول إلى تعريفات دقيقة ومنضبطة تخدم الغرض التطبيقي للبحث وتزيل اللبس المفاهيمي.

1.1.1. تعريف العولمة

تُعد العولمة من أكثر الظواهر المعاصرة إثارة للجدل وشغلت الفكر الإنساني المعاصر، وأثارت جدلاً واسعاً بين المفكرين والباحثين في مختلف المجالات إذ لم تعد مجرد مصطلح اقتصادي أو سياسي، بل تحولت إلى "رؤية كونية" ومسار حضاري شامل، وقد تعددت تعريفاتها وتنوعت مداخل دراستها، مما يعكس تعقيد هذه الظاهرة وتشعب أبعادها وتأثيراتها، ولفهم كنه هذه الظاهرة، وتأثيراتها على العقيدة الإسلامية، لا بد من استنطاق دلالاتها اللغوية والاصطلاحية وتحديد مفهوميها كأساس للانطلاق في هذا البحث.

1.1.1.1. العولمة لغة

يشهد المصطلح اللغوي للعولمة تنوعاً كبيراً عند المقابلة بين اللغات الحية؛ ففي اللغة الإنجليزية يُستخدم مصطلح "Globalization"، وفي الفرنسية "Mondialisation"، وفي التركية "Küreselleşme"؛ أما في الفضاء العربي فقد شهد المصطلح مخاضاً عسيراً قبل استقراره، حيث طُرحت ترجمات متعددة مثل: "الكونية"، و"الكوكبية"، و"الشمولية" قبل أن يستقر الاستعمال الأكاديمي والإعلامي على لفظ "العولمة".

التحليل الصرفي والدلالي للمصطلح العربي:

يُعد المفكر أحمد صدقي الدجاني من أبرز من قاموا بتشريح المصطلح، حيث يرى أن "العولمة" هي الترجمة الأدق، وهي مشتقة من "العالم"، والاشتقاق هنا جاء على وزن (فَوْعَلَة)، وهو وزن مستحدث في العربية المعاصرة لتلبية الحاجات الترجيحية، ويحمل دلالات عميقة تتجاوز مجرد الوصف. (6)

ويمكن رصد ثلاث دلالات جوهرية لصيغة "عَوْلَمَة" تخدم سياق بحثنا:

1. **دلالة التعدية والفاعل:** يفيد الوزن وجود "فاعل" يقوم بفعل العولمة، و"مفعول" تقع عليه العولمة؛ وهذا ينفي صفة التلقائية عن الظاهرة، ويؤكد أنها عملية "مقصودة" وموجهة من طرف قوي يمتلك أدوات التعميم نحو أطراف أخرى.
2. **دلالة الصيرورة والتحول:** تعني نقل الشيء من حيزه المحلي المحدود إلى الفضاء العالمي المفتوح.
3. **دلالة القسر والإلزام:** وهذه أخطر الدلالات، حيث يرى عدد من المحققين اللغويين والمفكرين الإسلاميين أن صيغة (فوعلة) قد تحمل معنى الإلزام، أي "قولبة" العالم وفق نموذج محدد. فالعولمة ليست مجرد خروج للعالمية، بل هي "إخضاع العالم" لنمط ثقافي واقتصادي واحد. (7)

وبناءً على ذلك، اتفقت المعاجم العربية المعاصرة، ومنها مجمع اللغة العربية بالقاهرة، على تعريف العولمة لغوياً بأنها: "جعل الشيء عالمياً أو دولياً في مدها وتطبيقه" (8)، وهي ترجمة تتوافق مع المعنى في القواميس الإنجليزية (Webster) التي تعرفها بأنها: "إكساب الشيء طابع العالمية" (9).

(6) أسامة أمين الخولي (تحقيق)، العرب والعولمة (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1995)، 62.
(7) محمد سعيد رمضان البوطي، قضايا ساخنة: التشريع - الإرهاب - العولمة الإنسانية والعولمة الاستعمارية (دمشق: دار الفكر، 2016).

(8) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2004)، 629.

(9) Webster's Dictionary (Springfield: Merriam-Webster، 2020)، 456.

المعنى في المعاجم العربية

تتفق المعاجم العربية المعاصرة على تعريف العولمة بأنها "جعل الشيء عالمياً"، أي توسيع نطاق شيء ما ليشمل العالم بأسره، ويعرّفها مجمع اللغة العربية بالقاهرة بأنها "جعل الشيء عالمياً أو دولياً في مدها وتطبيقه"، مع الإشارة إلى ارتباطها بالابتكار العلمي والتطور الثقافي والصناعي،⁽¹⁰⁾ وتعكس هذه التعريفات البعد الإجرائي للعولمة باعتبارها عملية تحويل وتوسيع للنطاق، وليست مجرد حالة ثابتة.

المعنى في المعاجم الإنجليزية

يقابل مصطلح العولمة في اللغة الإنجليزية مصطلح Globalization، الذي يشير إلى عملية جعل شيء ما عالمياً في النطاق والتأثير، ويعرّف قاموس Webster العولمة بأنها "إكساب الشيء طابع العالمية، وبخاصة جعل نطاق الشيء، أو تطبيقه، عالمياً"⁽¹¹⁾، ويستخدم هذا المصطلح لوصف العمليات المعقدة التي تؤدي إلى دمج سكان العالم في مجتمع عالمي واحد، مع ما يصاحب ذلك من تداخل في المجالات الاقتصادية والثقافية والسياسية.

المعنى في المعاجم التركية

تستخدم اللغة التركية مصطلح Globalleşme كمقابل لمفهوم العولمة، ويحمل المعنى الأساسي ذاته، ويُعرّف هذا المصطلح بأنه عملية التكامل الدولي الناتجة عن تبادل المنتجات والأفكار والثقافات والرؤى العالمية⁽¹²⁾، ويعكس هذا التعريف البعد التفاعلي للعولمة باعتبارها عملية تبادل وتكامل، وليست مجرد هيمنة أحادية الاتجاه.

1.1.1.2. العولمة اصطلاحاً

عند الانتقال إلى التعريف الاصطلاحي، نجد أنفسنا أمام "فوضى مصطلحية" تعكس تعقيد الظاهرة وتعدد مرجعيات الباحثين، ويمكن تصنيف التعريفات إلى اتجاهات رئيسية:

⁽¹⁰⁾ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، 630.

⁽¹¹⁾ Webster's Dictionary، 456.

⁽¹²⁾ Türk Dil Kurumu Sözlükleri (Ankara: TDK، 2019)، 324.

أولاً: الاتجاه الاقتصادي (العولمة كسوق):

يركز هذا الاتجاه على "سيولة" حركة المال والسلع، ويعرّفها جون بايبر بأنها: "العملية التي تزداد فيها الأسواق والمؤسسات والمنظمات والأشخاص تداخلاً على الصعيد العالمي"⁽¹³⁾.

كما يعرّفها صادق جلال العظم من منظور ماركسي نقدي بأنها: "حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز..، وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ"⁽¹⁴⁾.

ثانياً: الاتجاه الثقافي والقيمي (العولمة كأيدولوجيا):

يرى أصحاب هذا الاتجاه -وهم الأقرب لموضوع بحثنا- أن العولمة مشروع هيمنة ثقافية.

يقول الشيخ عمر عبيد حسنة: "نظام يسعى إلى فرض خطته المالية والاقتصادية..، ومن خلال ذلك فرض أفكاره ومناهجه، ثم بعد هذا فرض قيمه وأنماط سلوكه، ليصل في النهاية إلى فرض هيمنته وسيادته"⁽¹⁵⁾.

ويوافق هذا الطرح تعريف الدكتور يوسف القرضاوي الذي يرى أنها تهدف إلى "صياغة العالم وفق نموذج واحد هو النموذج الغربي الأمريكي"⁽¹⁶⁾.

ثالثاً: الاتجاه الجيوسياسي (تحول مفاهيم القوة):

في هذا السياق، يُبرز المفكر د. خالد زيادة تحولاً خطيراً أحدثته العولمة في المفاهيم التقليدية للعلاقات الدولية الإسلامية، حيث يشير إلى أن العولمة أسقطت التقسيمات الفقهية القديمة، فيقول: "يتضح لنا أن تبديلاً عميقاً قد طرأ على النظرة التقليدية الإسلامية... إذ إن العالم لم يعد منقسماً إلى

⁽¹³⁾ جون بايبر، *العولمة: النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية*، ترجمة سمير الشيشكلي (دمشق: وزارة الثقافة، 2004)، 42.

⁽¹⁴⁾ صادق جلال العظم، "ما هي العولمة" 1/58 (1999)، 15.

⁽¹⁵⁾ عمر عبيد حسنة، *العولمة: فرص وتحديات* (المكتب الإسلامي، د.ت)، 19.

⁽¹⁶⁾ يوسف القرضاوي، *المسلمون والعولمة* (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2000)، 25.

دار حرب ودار إسلام بقدر ما هو منقسم إلى عالم قوي وعالم يتأكد ضعفه"⁽¹⁷⁾ ، وهذا التعريف يربط العولمة بمعيار "القوة المادية" بدلاً من "المعيار العقدي".

التعريف الإجرائي المختار للبحث:

بناءً على التوليف بين التعريفات السابقة، يمكننا تعريف العولمة في سياق هذا البحث بأنها:

"عملية مركبة تهدف إلى تعميم النموذج الحضاري الغربي (بشقيه المادي والقيمي) على العالم عبر آليات اقتصادية وتقنية وإعلامية مما يؤدي إلى تداخل المجتمعات، وتراجع سيادة الدولة الوطنية، وسيادة منطقتي القوة والمادة على حساب الخصوصيات الثقافية والعقدية"⁽¹⁸⁾.

1.1.2. تعريف العقيدة

إذا كانت العولمة تتسم بالسيولة والتغير، فإن العقيدة تمثل في الوعي الإسلامي مرادفاً للثبات واليقين، فهي تمثل الركيزة الأساسية التي تقوم عليها منظومة الإسلام الفكرية والتشريعية، وتشكل الإطار المرجعي لفهم الكون والإنسان والحياة، وفيما يلي تحليل لمفهوم العقيدة من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية.

1.1.2.1. العقيدة لغة

مادة (عَقَدَ) في اللغة العربية تدور حول معاني: الربط، الشد، الإحكام، والتوثيق.

يقول ابن منظور: "العقد نقيض الحل..، والاعتقاد: التصديق، واعتقد كذا: أي صدق به"⁽¹⁹⁾.

فالعقيدة لغوياً هي ما انعقد عليه القلب وشد عليه الضمير، بحيث لا يقبل الانفساخ، وهذا المعنى اللغوي يتقاطع مع مفهوم "اليقين" الذي يورث طمأنينة النفس، كما يشير الإمام الغزالي إلى أنها ما يصير "يقيناً ثابتاً لا يمازجه ريب"⁽²⁰⁾.

⁽¹⁷⁾ خالد زيادة، تطور النظرة الإسلامية إلى أوروبا (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، 2010)، 79.

⁽¹⁸⁾ محمود عرابي، تأثير العولمة على ثقافة الشباب (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 2006)، 145-170.

⁽¹⁹⁾ محمد بن مكرم ابن منظور - اليازجي جماعة من اللغويين، لسان العرب (بيروت: دار صادر، 1993)،

296/3.

⁽²⁰⁾ أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، 13/1.

1.1.2.2. العقيدة اصطلاحاً

في الاصطلاح الإسلامي، تُعرّف العقيدة بأنها مجموعة من المعتقدات الثابتة القطعية المتعلقة بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره، وشره، وهي تمثل أصول الدين ومبادئه الأساسية التي لا تقبل الشك أو الظن، بل تقوم على اليقين والجزم. (21)

ويعرّف الإمام ابن تيمية، أحد أبرز علماء المدرسة السلفية، العقيدة بأنها "الأمر التي يجب أن يصدق بها القلب، وتطمئن إليها النفس، وتكون يقيناً عند صاحبها، لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك". (22)

أما الإمام الماتريدي، مؤسس المدرسة الماتريدية، فيرى أن العقيدة هي "الإيمان الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وهي الأساس الذي تبنى عليه جميع الأعمال والأقوال". (23)

ونتيجة لذلك تكمن أهمية العقيدة الإسلامية في دورها المحوري في تهذيب النفس وضبط السلوك، وإدراك معاني الحياة وغاياتها، وتحقيق طموح العقل في فهم الوجود، وبناء مجتمع متماسك يقوم على أسس سليمة، وتجدر الإشارة إلى أن العقيدة الإسلامية لا تقتصر على مجرد التصديق الذهني أو المعرفة النظرية، بل تتجاوز ذلك إلى الالتزام العملي والانقياد التام لله تعالى. (24)

ويؤكد الشيخ محمد الغزالي، أحد أبرز علماء المدرسة الإصلاحية الحديثة، على الجانب العملي للعقيدة، حيث يقول: "العقيدة الإسلامية ليست مجرد تصورات ذهنية أو معارف نظرية، بل هي منهج حياة متكامل يترجم إلى سلوك عملي وأخلاق راسخة وعبادات صحيحة". (25)

ونظراً للدور المحوري للعقيدة في بناء الهوية الإسلامية وتشكيل الوعي الفردي والجماعي، فقد استهدفها أعداء الإسلام عبر مختلف الوسائل والأساليب، سعياً إلى إضعافها أو تشويهها أو

(21) محمد أبو زهرة، *أصور الفقه* (القاهرة: دار الفكر العربي، 1958)، 29.

(22) ابن تيمية، *مجموع الفتاوى* (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1995)، 151/3.

(23) أبو منصور محمد الماتريدي، *كتاب التوحيد*، - بكر طوبال أوغلي - محمد أروتشي (بيروت - اسطنبول: دار

صادر - مكتبة الإرشاد، 2001)، 12.

(24) محمد سعيد رمضان البوطي، *كبرى اليقينيّات الكونية* (دمشق: دار الفكر، 1997)، 17.

(25) محمد الغزالي، *عقيدة المسلم* (القاهرة: دار نهضة مصر، 2005)، 9.

استبدالها بمنظومات فكرية وقيمة مغايرة، وقد تجلت هذه المحاولات في عدة استراتيجيات، منها عزل الإسلام عن مجالات الحياة المختلفة، وتغييب دور العلماء والمفكرين الإسلاميين، وتشويه صورة الإسلام في وسائل الإعلام، ونشر القيم والسلوكيات المنافية للقيم الإسلامية.

فهي اصطلاحاً الإيمان الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وسائر ما ثبت من أمور الغيب وأصول الدين.

إلا أنه ومع النظر الحاجة لتعريف دقيق للعقيدة في مواجهة "العولمة المعرفية" فإنه يتطلب إبراز خصيصة "التوقيف" و "الربانية"، وهنا نستحضر الضابط المنهجي الدقيق الذي أقرته نخبة من العلماء، حيث ينصون على أن:

"العقيدة توقيفية، لا تثبت إلا بدليل من الشارع، ولا مسرح فيها للرأي والاجتهاد... فما دل عليه الكتاب والسنة في حق الله تعالى وجب اعتقاده وإثباته"⁽²⁶⁾.

وهذا القيد (توقيفية) هو أهم ما يميز العقيدة عن "الفلسفة" أو "الرؤى البشرية" التي تروجها العولمة؛ فالعقيدة مصدرها الوحي (من الأعلى)، بينما أفكار العولمة مصدرها العقل البشري والتجربة الأرضية (من الأسفل).

كما يتضمن مفهوم العقيدة الدقة الاصطلاحية في تسمية الأشياء بمسمياتها الشرعية، بعيداً عن تمييع المصطلحات الذي تمارسه العولمة، ومثال ذلك التمييز القرآني الدقيق بين المصطلحات، كما يوضحه د. صلاح الخالدي في سياق حديثه عن "بني إسرائيل" و "اليهود"، حيث يرى أن القرآن يستخدم مصطلح "بني إسرائيل" في سياق الامتداد ليعقوب عليه السلام، بينما يستخدم مصطلح "الذين هادوا" أو "اليهود" في سياق التحريف والمواجهة، وهذا يعلمنا أن العقيدة ليست مجرد إيمان قلبي، بل هي أيضاً "وعي اصطلاحى" يرفض التزييف التاريخي.⁽²⁷⁾

⁽²⁶⁾ نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 2016) المقدمة.

⁽²⁷⁾ عطا الله بخيت المعاينة، أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، رسالة ماجستير غير منشورة، 1989)، 12.

التعريف الجامع للعقيدة:

يمكن صياغة تعريف شامل يجمع بين الجانب القلبي والسلوكي:

"هي التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل بأركان الإيمان الستة وما تفرع عنها من غيبات وتشريعات، وتقتضي الانقياد التام ظاهراً وباطناً لله تعالى، والاحتكام إلى الوحي كمصدر وحيد للمعرفة الغيبية والقيمية"⁽²⁸⁾.

يتميز هذا التعريف بشموليته لمختلف جوانب العقيدة الإسلامية، وإبرازه للعلاقة الوثيقة بين الجانب النظري المتمثل في المعتقدات اليقينية، والجانب العملي المتمثل في الطاعة والانقياد.

1.1.3. تعريف التأثير

يمثل "التأثير" الرابط الديناميكي بين طرفي المعادلة (العولمة والعقيدة) فهو أحد المفاهيم المحورية في دراسة العلاقة بين طرفي المعادلة؛ إذ يشكل الإطار التحليلي لفهم التفاعلات المتبادلة بين هاتين الظاهرتين، وفيما يلي تحليل لمفهوم التأثير من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية.

1.1.3.1. التأثير لغة

يشق مصطلح "التأثير" في اللغة العربية من الجذر (أ. ث. ر) الذي يدل على إحداث تغيير أو ترك أثر في شيء ما محصلةً لتفاعل خارجي، وقد ورد في المعاجم اللغوية أن التأثير هو "تَرْكُ بَصْمَةٍ أو تَعْيُرٍ في شيء ما"⁽²⁹⁾ ويُقال "أثر في الشيء" بمعنى أو جَد فيه تغييراً ملموساً أو غير ملموس، مما يعكس الطبيعة الديناميكية لعملية التأثير باعتبارها فعلاً يُحدث تغييراً في حالة أو وضع سابق.

(28) عبد الرحمن حبنكة الميداني، *العقيدة الإسلامية وأسسها* (دمشق: دار القلم، 1979)، 14.

(29) علي بن الحسن الهنائي الأزدي، *المنجد في اللغة*، ed. by أحمد مختار عمر - ضاحي عبد الباقي (القاهرة:

عالم الكتب، 1988)، 5.

يقول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: "الهزمة والشاء والراء له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي"،⁽³⁰⁾ وهذا يشير إلى أن التأثير في أصله اللغوي يرتبط بترك أثر أو علامة باقية ويحمل دلالة التحول من حال إلى حال نتيجة عامل خارجي.

1.1.3.2. التأثير اصطلاحاً

في الاصطلاح العلمي، يُستخدم مفهوم "التأثير" لوصف عملية تفاعل معقدة تؤدي إلى إحداث تغيير في الأفكار أو السلوك أو القيم لدى الطرف المتأثر، ويرتبط هذا المفهوم ارتباطاً وثيقاً بالعلوم الاجتماعية والنفسية، حيث يُنظر إلى التأثير باعتباره عملية ديناميكية يُمكن أن تكون متبادلة بين طرفين أو أكثر، أو من طرف واحد باتجاه طرف آخر.⁽³¹⁾

وفي سياق دراسة العولمة وتأثيراتها على المجتمعات والثقافات، يكتسب مفهوم التأثير أهمية خاصة، إذ يشير إلى عمليات انتقال القيم الثقافية والسياسية والاقتصادية بين الدول والمجتمعات، وما ينتج عن ذلك من تحولات في الهياكل الاجتماعية والمنظومات القيمية،⁽³²⁾ وتتميز هذه العمليات بتعقيدها وتشابكها، إذ تتداخل فيها عوامل متعددة تتعلق بطبيعة المؤثر والمتأثر، وسياق التأثير، وآلياته، ومداه الزمني والمكاني؛ ويرى الدكتور وهبة الزحيلي، أحد علماء المدرسة الأشعرية المعاصرين، أن "التأثير في سياق العلاقة بين العولمة والعقيدة الإسلامية يتجلى في التغييرات التي تطرأ على فهم المسلمين لعقيدهم وممارستهم لها محصلة تعرضهم للقيم والأفكار الوافدة عبر قنوات العولمة المختلفة"⁽³³⁾، وهنا نوضح أنه لا يُقصد بالتأثير مجرد التلقي السلبي، بل هو عملية تفاعلية معقدة ويمكننا القول إن التأثير في هذا البحث يأخذ مسارين:

⁽³⁰⁾ أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ed. by عبد السلام هارون (مصر: مصطفى البابي الحلبي، 1969)، 53/1.

⁽³¹⁾ Ritz Hassan، "Ritz Challenge tok Islam"، Yale Global Online (Yale Üniversite) (2003).

⁽³²⁾ Md. Yusuf Ali، "THE IMPACT OF GLOBALIZATION ON MUSLIM THOUGHT، CULTURE AND SOCIETY: CHALLENGES AND OPPORTUNITIES TO THE MUSLIM UNITY IN 21ST CENTURY"، TAFHIM: IKIM Jurnal of Islam and the Contemporary World 1/4 (2015)، 43–68.

⁽³³⁾ وهبة الزحيلي، العولمة وآثارها في العالم الإسلامي (دمشق: دار الفكر، 2002)، 35.

1. التأثير البنائي (الإيجابي): وهو استجابة العقيدة للتحدي، مما يولد "تجديداً" في وسائل العرض وآليات الدفاع (كما في قاعدة "الجمع بين القراءتين" للعلواني³⁴).
2. التأثير التفكيكي (السلبى): وهو ما يُعرف بـ "الغزو الفكري" أو "الاستلاب"، حيث تؤدي العولمة إلى تآكل المفاهيم العقديّة (مثل الولاء والبراء) أو تحريفها لتوافق النموذج الغربي.

وفي ضوء ما سبق، يمكن تعريف التأثير في سياق العلاقة بين العولمة والعقيدة الإسلامية بأنه:

«عملية التغيير التي تحدث في فهم المسلمين لعقيدتهم وممارستهم لها، ومحصلة تفاعلهم مع القيم والأفكار والممارسات التي تنتقل عبر قنوات العولمة المختلفة سواء كان هذا التغيير إيجابياً يتمثل في تعزيز العقيدة وتجديد فهمها، أو سلبياً يتمثل في إضعافها أو تشويهها».

1.2. التأسيس المفاهيمي والسياق التاريخي: جدلية العولمة والعقيدة

إن مقارنة أثر العولمة في العقيدة الإسلامية تقتضي منهجاً لا يفصل بين التطور التاريخي وبين الاشتباك المفاهيمي بين هذين القطبين، ففي الوقت الذي تمثل فيه العقيدة "مركز الثبات" المستمد من مرجعية الوحي المطلقة، تبرز العولمة كـ "قوة متغيرة" تفرض هيمنتها عبر سطوة الواقع المعاصر.

لذا، يهدف هذا المبحث إلى:

- تحرير المفاهيم: فحص الدلالات العميقة للمصطلحين لإزالة اللبس المنهجي.
- التتبع الجذري: رصد الأصول التاريخية التي شكلت هذا المشهد، وصولاً إلى فهم دقيق لطبيعة الصراع أو التدافع القائم بين الثابت العقدي والمتغير العولمي.

1.2.1. النظام العولمي: المفهوم، النشأة، والاشكاليات

برزت ظاهرة "العولمة" كأحد أكثر التحديات تعقيداً في الواقع المعاصر، إذ لم تعد مجرد تحول في الأطر الاقتصادية أو السياسية المادية، بل امتدت لتستهدف البنية الثقافية والمنظومة القيمية للأمم، ولا ينبغي للباحث المسلم أن ينظر إلى الحضارة الغربية التي تقود العولمة ككتلة واحدة

³⁴ طه جابر العلواني، القراءتان: قراءة الوحي وقراءة الكون (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2006)، 15-27

تجد تأصيل هذه القاعدة في "المقدمة" وفصل "مدخل إلى منهجية التعامل مع القرآن الكريم".

صماء، بل يجب تفكيكها إلى مكونات نافعة وأخرى ضارة، وهذا المنهج التفكيكي هو ما أصله الإمام بديع الزمان سعيد النورسي حين ميز بين "أوروبا النافعة" و"أوروبا الفاسدة"، مبيناً أن الصراع ليس مع العلم المادي بل مع الفلسفة التي تضلل الإنسان، حيث يقول: "أوروبًا اثنتان: إحداها: هي أوروبًا النافعة للبشرية، بما استفاضت من النصرانية الحقة، وأدت خدماتٍ لحياة الإنسان الاجتماعية.. وإنما أخطب أوروبًا الثانية الفاسدة، تلك التي تعفنت بظلمات الفلسفة الطبيعية، وحسبت سيئات الحضارة حسنات لها.. فسأقت البشرية إلى السفاهة وأردتها في الضلالة والتعاسة".³⁵

وانطلاقاً من أن **التفكيك المفاهيمي** هو المدخل الأساس لأي مقارنة نقدية جادة، يرتكز هذا المبحث على المحاور التالية:

- **تحرير الماهية والنشأة:** الوقوف على جوهر "النظام العولمي" وتتبع سياقاته التاريخية لضبط المصطلح وتخليصه من الضبابية.
- **رصد الإشكاليات البنيوية:** تبيان الفجوة الجوهرية بين مشاريع الهيمنة الثقافية التي تسعى لـ "تتميط المجتمعات" وصهرها في قالب واحد، وبين مفهوم "العالمية" كقيمة حضارية إسلامية أصيلة تهدف إلى الارتقاء بالإنسان مع الحفاظ على خصوصيته العقدية.

1.2.1.1. مفهوم النظام العولمي

أولاً: **ماهية النظام العولمي (بين الصيرورة التاريخية والقصدية الأيدولوجية)**

لا يمكن اختزال العولمة في جوهرها كتحول تقني أو اقتصادي مجرد، بل هي في العمق مشروع **أيديولوجي** يروم فرض نموذج حضاري أحادي، وتقديمه بوصفه القمة النهائية للتطور البشري، وقد تبلور هذا المنزع الفلسفي بوضوح في تنظيرات "النظام العالمي الجديد" التي أعقبت الحرب الباردة، مستهدفةً تأييد النموذج الغربي، وفي هذا السياق، يحلل الباحث يحيى سعيد قاعود أطروحات "فوكوياما" و"هانتنغتون" وتطبيقاتها في السياسة الأمريكية، معتبراً إياها:

³⁵ بديع الزمان سعيد النورسي، *اللمعات*، ترجمة احسان قاسم الصالحي (القاهرة: سوزلر للمشر، 2011)، 162.

"الفلسفة السياسية لمستقبل النظام العالمي الجديد... حيث تندرج هذه الأطروحات تحت مساعي تشكيل تاريخ الفكر السياسي في القرن الحادي والعشرين بما يخدم مركزية النموذج الغربي" (36) ومن هذا المنطلق، تظهر العولمة في سياق "نهاية التاريخ" لفرانسيس فوكوياما كمحاولة لتعميم الديمقراطية الليبرالية الغربية كصيغة نهائية للحكم البشري، وهو ما يترتب عليه ضمناً إقصاء حق الثقافات الأخرى -وعلى رأسها المرجعية الإسلامية- في تقديم بدائلها الحضارية والقيمية. في قراءة نقدية معمقة، يتجاوز المفكر محمد عابد الجابري التفسيرات المختزلة للعولمة، ليكشف عن أبعادها "الجيوسياسية" العميقة. فالعولمة لديه ليست مساراً حتمياً للتطور بقدر ما هي مشروع أيديولوجي يسعى لتعميم "النمط الحضاري الأمريكي" وتنميط العالم وفقاً له. إنها بعبارة وجيزة: إرادة هيمنة تتوسل بالأدوات التقنية لفرض منظومة قيمية أحادية على البشرية.

ويفصل الجابري هذا المفهوم الجيوسياسي للعولمة موضحاً أنها: "تعني الآن في المجال السياسي منظوراً إليه من زاوية الجغرافيا السياسية (الجيوبوليتيك)، العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلداً بعينه، هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات، على بلدان العالم أجمع... إنها، وبالدرجة الأولى، دعوة إلى تبني نموذج معين، وبعبارة أخرى: فالعولمة... هي أيضاً أيديولوجيا تعبر، بصورة مباشرة، عن إرادة الهيمنة على العالم وأمرته" (37).

يبرز هذا التحليل الطبيعية المزدوجة للنظام العولمي؛ فبينما يتدثر في ظاهره بعباءة التطور التقني والترابط الكوني، فإنه يحمل في باطنه حمولة أيديولوجية تسعى لجعل "النموذج الأمريكي" المعيار الوحيد والنهائي للقيم الإنسانية، مما يضع العقائد والثقافات المغايرة في مواجهة مباشرة مع محاولات التنميط والاحتواء.

(36) يحيى سعيد قاعد، أطروحات فوكوياما وهانتنتون والنظام العالمي الجديد: دراسة تحليلية مقارنة (الرياض:

مركز البيان للبحوث والدراسات، 1436)، 2 بتصرف.

(37) محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر: العولمة - صراع الحضارات - العودة إلى الأخلاق - التسامح

- الديمقراطية ونظام القيم - الفلسفة والمدينة (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997)، 115-

116؛ محمد عابد الجابري، "العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات"، العرب والعولمة، ed. by أسامة

أمين الخولي - السيد يسين، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها المركز (بيروت: مركز دراسات

الوحدة العربية، 1998)، 301.

ثانياً: التمايز المفهومي (العولمة مقابل العالمية)

لتحرير محل النزاع الفكري، وجب وضع حد فاصل بين مصطلحين كثيراً ما يقع الخلط بينهما:

1. **العولمة (Globalization)** : هي حركة "اختراق وتمييع"، تهدف إلى احتواء العالم وسحق الخصوصيات الثقافية لصالح نموذج أحادي (الأمركة).
2. **العالمية (Universalism)** : هي طموح إنساني للانفتاح على الكوني مع الحفاظ على الهوية؛ فهي "إغناء وتواصل" لا إلغاء للآخر.

ويعضد الدكتور عبد الوهاب المسيري هذا التمييز مؤكداً أن العولمة تقوم على "نفي الآخر" وإحلال الذات (النموذج الغربي) محله، بينما العالمية تقوم على "التفاعل الحضاري" الذي يحترم التنوع، فالعولمة حركة قهرية "من الأعلى إلى الأسفل"، بينما العالمية ارتقاء قيمي "من الداخل إلى الخارج".

لتحرير محل النزاع الفكري، ولتأسيس فهم دقيق للعلاقة بين الإسلام والغرب، لا بد من التمييز الصارم بين مصطلحي "العولمة (Globalization)" و"العالمية (Universalism)" يرى الجابري أن هذا الفرق ليس لغوياً فحسب، بل هو فرق جوهري في الفلسفة والغاية حيث يقرر أن: "هناك فرق في الدلالة بين «العالمية» و«العولمة»؛ العالمية طموح إلى الارتفاع بالخصوصية إلى مستوى عالمي فهي تفتح على ما هو عالمي وكوني؛ أما العولمة فهي احتواء للعالم أي هيمنة نمط معين، وتعميمه على العالم... العالمية إغناء للهوية الثقافية أما العولمة فهي اختراق لها وتمييع" (38).

ويتفق الدكتور عبد الوهاب المسيري مع هذا الطرح، معمقاً التحليل ليشمل البعد الإنساني والتعامل مع "الآخر"، فبينما تقوم العالمية على التفاعل، تقوم العولمة على المحو والإلغاء، وفي هذا الصدد يقول المسيري:

"العالمية هي الانفتاح على العالم، واكتساب أبعاد عالمية، وهي لا تلغي الآخر ولا تستبعده، بل تتفاعل معه... أما العولمة فهي نفي للآخر، وإحلال للذات محله، وهي عملية فرض لنموذج واحد،

(38) محمد عابد الجابري، "قضايا في الفكر المعاصر"، العرب والعولمة، ed. by أسامة أمين الخولي (بيروت:

مركز دراسات الوحدة العربية، 1997)، 127.

هو النموذج الأمريكي، على العالم بأسره"، ويضيف مؤكداً على خطورة هذا الطرح: "العولمة لا تعترف بالخصوصيات، بل تسعى لسحقها، في حين أن العالمية تؤكد على الخصوصية وتجعلها وسيلة للتواصل مع العالم."⁽³⁹⁾

إذن، العولمة هي حركة "من الأعلى إلى الأسفل" (فرض وقهر)، بينما العالمية هي حركة "من الداخل إلى الخارج" (ارتقاء وتواصل).

ثالثاً: عالمية الإسلام (أصالة الفطرة في مواجهة قهر العولمة)

بناءً على ما سبق، تبرز "عالمية الإسلام" كنموذج نقيض للعولمة؛ فهي لا تستهدف قولبة البشر قسراً، بل تخاطب "المشترك الفطري"، وقد أصّل العلامة محمد الطاهر بن عاشور لهذه الحقيقة بربطه بين عالمية الشريعة و"الفطرة السليمة"، معتبراً أن الإسلام هو النظام الذي يتسق مع جبلة الإنسان وعقله، فلا يأمر بما تمجه الطباع المستقيمة.

خلاصة المقارنة المنهجية

يمكن تلخيص الفرق الجوهرى الذي سيبنى عليه البحث فصوله القادمة في الجدول التالى:

وجه المقارنة	العولمة المعاصرة (الغربية)	العالمية الإسلامية
الفلسفة	مادية استهلاكية	فطرية قيمية
الهدف	صناعة إنسان السوق (تنميط)	تحرير الإنسان ليعود لأصله (تزكية)
الموقف من الآخر	الإلحاق والمحو	التدافع والتعارف
المرجعية	سطوة النموذج الأمريكى	مرجعية الوحي المطلق

تأسيساً على التمييز السابق، يمكننا فهم "عالمية الإسلام" كنموذج نقيض للعولمة المعاصرة، فعالمية الإسلام لا تسعى لنمذجة البشر قسراً، بل تخاطب المشترك الإنساني الأصيل فيهم، ويوصل العلامة محمد الطاهر بن عاشور لهذه الحقيقة بربط عالمية الشريعة بمفهوم "الفطرة"، مما يجعل قبولها نابعاً من ذات الإنسان لا مفروضاً عليه.

⁽³⁹⁾ عبد الوهاب المسيرى، العلمانية والحداثة والعولمة، ed. by سوزان حرفى (دمشق: دار الفكر، 2013)، 25-

يقول ابن عاشور في نص تأسيسي فارق:

"إن الإسلام جاء شريعة عامة لجميع البشر...، ولما كان الإسلام عاماً وجب أن يكون مؤسساً على أصول تتساوى في قبولها سائر الأمم، وهي أصول الفطرة... فالفطرة هي النظام الذي أوجد الله عليه الإنسان لتصدر عنه أعماله من الجبلة والعقل...، ومعنى كون الإسلام دين الفطرة: أنه لا يأمر ولا ينهاى إلا بما تقبله الفطرة السليمة ولا تمجه" (40) (فصل: خصائص النظام الاجتماعي في الإسلام - مبحث الفطرة).

وهنا يكمن الفرق الحاسم الذي سننطلق منه في فصول البحث القادمة: العولمة الغربية تحاول "صناعة" إنسان جديد وفق معايير السوق والاستهلاك (ضد الفطرة)، بينما العالمية الإسلامية تسعى "لتحرير" الإنسان ليعود إلى أصل خلقته (مع الفطرة)، محترمةً التنوع الثقافي الذي لا يصادم تلك الفطرة.

1.2.1.2. المسار التاريخي لظاهرة العولمة

لفهم ظاهرة العولمة بشكل أعمق، لا بد من تتبع تطورها التاريخي والسياقات المختلفة التي مرت بها، ويمكن تقسيم هذا التطور إلى عدة مراحل رئيسية:

المرحلة الأولى: بدايات العولمة (القرن الخامس عشر - القرن التاسع عشر)

شهدت هذه المرحلة بدايات التوسع الأوروبي والاستكشافات الجغرافية، التي مهدت الطريق لإقامة المستعمرات وتوسيع نطاق التجارة العالمية، ويرى المؤرخ الاقتصادي كيفن أورك أن "الاكتشافات الجغرافية الأوروبية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر شكلت البداية الحقيقية للعولمة، حيث أدت إلى ربط قارات العالم ببعضها البعض لأول مرة في التاريخ" (41).

الطاهر ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام (تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1984)،

20.(40)

(41) كيفن أورك، تاريخ العولمة الاقتصادية، ترجمة محمد كمال (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2010)،

المرحلة الثانية: العولمة الاستعمارية (القرن التاسع عشر - منتصف القرن العشرين)

تميزت هذه المرحلة بالتوسع الاستعماري الأوروبي وتقسيم العالم إلى مناطق نفوذ، مما أدى إلى تعميق الترابط الاقتصادي والسياسي بين مختلف أنحاء العالم، ويشير المفكر الاقتصادي إيمانويل والرشتاين إلى أن "النظام الرأسمالي العالمي الذي تشكل خلال هذه المرحلة قام على أساس تقسيم العالم إلى مركز وأطراف، حيث تتركز الثروة والقوة في المركز (الدول الأوروبية)، بينما تعاني الأطراف (المستعمرات) من الاستغلال والتبعية" (42).

المرحلة الثالثة: العولمة المعاصرة (منذ منتصف القرن العشرين)

بدأت هذه المرحلة بعد الحرب العالمية الثانية، وتسارعت وتيرتها مع انهيار الاتحاد السوفيتي ونهاية الحرب الباردة، وتتميز بالتطور الهائل في وسائل الاتصال والمواصلات، وتحرير التجارة العالمية، وظهور الشركات متعددة الجنسيات، وتنامي دور المؤسسات الدولية، ويرى المفكر الأمريكي فرانسيس فوكوياما أن "انهيار الاتحاد السوفيتي ونهاية الحرب الباردة مثلاً نهاية التاريخ، حيث انتصرت الليبرالية الديمقراطية والرأسمالية كنموذج وحيد للتنظيم السياسي والاقتصادي" (43).

المرحلة الرابعة: عولمة المعلومات والتكنولوجيا (منذ تسعينيات القرن العشرين)

تتميز هذه المرحلة بالثورة المعلوماتية وانتشار الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، مما أدى إلى تقليص المسافات وتسريع وتيرة التواصل والتفاعل بين مختلف أنحاء العالم، ويشير عالم الاجتماع مانويل كاستلز إلى أن "مجتمع المعلومات الذي نعيش فيه اليوم يتميز بتدفق المعلومات والأفكار عبر الحدود بسرعة غير مسبوقة، مما يؤدي إلى تشكيل هويات جديدة وتغيير أنماط العلاقات الاجتماعية" (44).

(42) إيمانويل والرشتاين، *النظام العالمي الحديث*، ترجمة عادل مختار الهواري (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2004)، 124.

(43) فرانسيس فوكوياما، *نهاية التاريخ والإنسان الأخير*، ترجمة حسين الشيخ (بيروت: مركز الإنماء القومي، 1993)، 56.

(44) مانويل كاستلز، *عصر المعلومات: الاقتصاد والمجتمع والثقافة*، ترجمة حسن قبيسي (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005)، 89/1.

ويرى الدكتور نور الدين الصابوني، أحد علماء المدرسة الماتريديية المعاصرين، أن "العولمة ليست ظاهرة جديدة تماماً، بل هي امتداد لعمليات تاريخية بدأت منذ قرون، لكنها اكتسبت في العصر الحالي أبعاداً جديدة وتأثيرات أعمق بفعل التطور التكنولوجي ووسائل الاتصال".⁽⁴⁵⁾

لا يمكن فهم العولمة كحالة "ستاتيكية" جامدة، بل هي سيرورة تاريخية تراكمية بل كما يرى الدكتور نور الدين الصابوني أن العولمة ليست وليدة اللحظة، بل هي امتداد لعمليات بدأت منذ قرون واكتسبت زخماً تكنولوجياً فريداً في عصرنا الحالي، ويمكن رصد هذا التحول عبر أربع محطات رئيسية:

- **مرحلة التأسيس (القرن 15 - 19):** بدأت مع الاستكشافات الجغرافية التي ربطت القارات تجارياً لأول مرة، وهي ما اعتبرها **كيفن أوروك** البداية الحقيقية لشبك العالم.
- **المرحلة الاستعمارية (القرن 19 - منتصف 20):** تميزت بفرض التبعية وتكريس نظام "المركز والأطراف" كما حله **إيمانويل والرشتاين**، حيث استنزف المركز الأوروبي ثروات الأطراف.
- **المرحلة المؤسسية (بعد 1945):** تسارعت مع نهاية الحرب الباردة، وبرزت فيها مقولة "نهاية التاريخ" لـ **فرانسيس فوكوياما**، التي بشرت بانتصار الليبرالية كنموذج أوحده.
- **المرحلة الرقمية (تسعينيات القرن 20 - الآن):** وهي "عصر المعلومات" الذي وصفه **مانويل كاستلز**، حيث تلاشت الحدود بفعل تدفق البيانات، مما أعاد تشكيل الهويات والروابط الاجتماعية.

1.2.1.3. أبرز منظري العولمة

بدلاً من الاكتفاء بسرد الأبعاد، نستعرض هنا كيف قارب كبار المنظرين هذه الظاهرة، وهو ما يعزز الفهم الفلسفي للبحث:

- **فرانسيس فوكوياما (التبشير بالنموذج):** يمثل التيار الذي يرى العولمة كقدر محتوم وغاية نهائية للتطور البشري تحت راية الديمقراطية الليبرالية.

⁽⁴⁵⁾ نور الدين الصابوني، *العولمة والعالم الإسلامي* (دمشق: دار الفكر، 2002)، 27.

- إيمانويل والرشتاين (النقد الهيكلية): يحلل العولمة كألية لاستمرار النظام الرأسمالي العالمي الذي يقوم على الاستغلال البنيوي للدول النامية.
- مانويل كاستلز (مجتمع الشبكات): يركز على دور التكنولوجيا في خلق فضاءات افتراضية تتجاوز سيادة الدول الوطنية وتغير مفهوم القوة.

1.2.2. مدخل مفاهيمي وتاريخي للعقيدة الإسلامية

قبل الولوج في التفاصيل الاصطلاحية لا بد من رصد مآزق الوعي المعاصر تجاه العقيدة في ظل العولمة؛ حيث ينقسم المشهد الفكري كما يصفه فهمي هويدي إلى تيارين يمثلان استجابات قاصرة:

- دعاة " غربة الزمان": وهم الغارقون في استحضار الماضي ومحاولة محاكاته بحرفية جامدة، هرباً من استحقاقات الحاضر.
- دعاة " غربة المكان": وهم المنبهرون بالنموذج الغربي (التغريب)، الساعون لاستنساخه دون اعتبار للخصوصية الحضارية.

وكلا الاتجاهين يمثلان حالة من "الهروب من الواقع"؛ فالأول يهرب إلى زمن غابر، والثاني يهرب إلى نمط حضاري غريب، بينما تظل العقيدة الصحيحة هي التي تمنح المسلم توازناً يربطه بأصله (الثابت) ويجعله فاعلاً في عصره (المتغير).

"ثمة مدرسة فكرية في حاضرنا الإسلامي تعيش الماضي وتستعذبه وتحاول أن تستحضره باستمرار..، وهؤلاء هم دعاة غربة الزمان... بالمقابل، فثمة مدرسة أخرى لا ترى خلاصاً إلا باستنساخ التجربة الغربية ومحاولة تطويع الواقع في إطارها، دون اعتبار لفوارق الخصوصية الحضارية..، وهؤلاء هم دعاة غربة المكان..، وبقيننا أن هؤلاء وهؤلاء يخطئون الطريق... إذ كل منهما يعد صيغة مبطنة للهروب من الواقع. هذا يهرب إلى زمن آخر، وذاك يهرب إلى نمط حضاري آخر!"⁴⁶.

⁴⁶ فهمي هويدي، أزمة الوعي الديني (صنعاء: دار الحكمة اليمانية، 1988)، 6-7.

1.2.2.1. المنشأ والتأسيس

تُمثل العقيدة الإسلامية "التصديق الجازم" واليقين المطلق بكل ما جاء به الوحي عن طريق النبي ﷺ، وهي "حجر الزاوية"⁽⁴⁷⁾ في البناء الإسلامي، حيث تضبط أركان الإيمان الستة (بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر)⁴⁸، وتكمن أهميتها في كونها المحدد الأول للسلوك البشري والموجه للرؤية الكونية للمسلم تجاه الخالق والكون والحياة بُنيت العقيدة في العهد النبوي على "الصفاء التوحيدي" وتجريد العبادة لله، ثم تطورت تاريخياً لمواجهة التحديات الفكرية:

- **المرحلة التأسيسية:** مرحلة الوحي التي ركزت على غرس التوحيد ونبذ الوثنية.
- **مرحلة التدوين والمحاكاة:** (بدءاً من العصر الأموي والعباسي) حيث اضطر العلماء لقيع أصول العقيدة والرد على الفلسفات الوافدة والعقائد الدخيلة، مما أدى لظهور "علم الكلام" كأداة للدفاع عن العقيدة بالبراهين العقلية والنقلية.

1.2.2.2. أبرز المدارس

خارطة المدارس العقدية (أهل السنة والجماعة)

تنفق هذه المدارس على الأصول الكلية وتختلف في مسالك الاستدلال والبحث، وهي:

1. المدرسة الأثرية (السلفية):

- **المنهج:** اتباع ما كان عليه السلف الصالح في فهم النصوص، وتقديم النقل على العقل مع إثبات ما أثبتته الوحي دون تكييف أو تمثيل.
- **الأبرز:** الأئمة الأربعة (أبو حنيفة، مالك، الشافعي، أحمد بن حنبل)، ثم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم اللذان قدما صياغة برهانية متينة لهذا المنهج.

2. المدرسة الأشعرية:

- **المنهج:** التوفيق بين الوحي والعقل، واستخدام الأدوات المنطقية للرد على المبتدعة.

⁽⁴⁷⁾ Hassan, "Globalization's Challenge to Islam" (2003).

⁴⁸ مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ed. by محمد فؤاد عبد الباقي (دار أحياء التراث، د.ت)، 1/36، 8.

○ أسسها الإمام أبو الحسن الأشعري، وتعد المذهب العقدي الأوسع انتشاراً في العالم الإسلامي تاريخياً.

3. المدرسة الماتريديّة:

○ **المنهج:** تقترب من الأشاعرة في التوفيق بين العقل والنقل، مع إعطاء مساحة أكبر للعقل في بعض المسائل العقديّة (خاصة في الحكمة والتعليل). أسسها الإمام أبو منصور الماتريدي، وهي المعتمدة لدى المدرسة الحنفيّة.

إن هذا التعدد المنهجي داخل إطار "أهل السنة" يعكس حيوية الفكر العقدي الإسلامي وقدرته على استيعاب التحديات، وهذا الثراء هو ما سيعتمد عليه البحث في مواجهة "تنميط العولمة"، حيث تمتلك العقيدة من المرونة المنهجية ما يسمح لها بالحفاظ على الثوابت مع استيعاب المتغيرات العصرية.

1.2.3. مفاهيم ذات الصلة (العقيدة والإيمان، العلمنة، والنظام العالمي)

ثنائية الإيمان والعقيدة (من التنظير إلى التحقق)

الإيمان (الجانب الوجداني والعملي):

- **دلاليًا:** هو التصديق الجازم واليقين القلبي بوجود الله وأركان الإيمان الستة.
- **واقعيًا:** يُفهم في المجتمع كالتزام روحي وأخلاقي؛ فهو القوة الدافعة للسلوك، ومصدر الطمأنينة النفسية، وعنصر جوهري في صياغة الهوية الإسلامية.

العقيدة (الإطار الفكري والمنهجي):

- **دلاليًا:** هي "الربط والإحكام"، وتمثل المبادئ الكلية التي تضبط نظرة المسلم للكون والحياة والغيبيات (البعث، الحساب، الجنة والنار).
- **واقعيًا:** هي المرجعية الثقافية التي تعزز الروابط الاجتماعية والتضامن بين أفراد الأمة، وتمثل "الثابت" في مواجهة المتغيرات.

العلاقة والتباين بينهما: العلاقة بينهما هي علاقة ترابط وتكامل؛ فالعقيدة هي "الإطار النظري" الثابت، بينما الإيمان هو "التطبيق العملي" المتفاوت (يزيد وينقص).

- **التدين:** وكما يقرر د. عياش الكبيسي، فإن التدين هو ثمرة هذا التفاعل؛ فهو "تفاعل الإنسان مع عقيدته"، ويأخذ شكلين: تدين فردي (سلوكي)، وتدين جمعي (مشروع أمة)⁽⁴⁹⁾.

العلمنة (من فصل السياسة إلى فصل القيم)

الدلالة العلمية والمتداولة: تُعتبر العلمنة منهجاً لإدارة الدولة يعتمد على حكم القانون والعلم والخبرات العلمية في إدارة شؤون الدولة والمجتمع.⁽⁵⁰⁾

حيث تُعرف العلمنة إجرائياً بأنها فصل الدين عن الشؤون العامة وحصره في الحيز الشخصي، والاعتماد على القوانين الوضعية؛ وفي الوعي المجتمعي تُعتبر أداة للتحديث تارة، وتهديداً للهوية الثقافية والدينية تارة أخرى.

العلمانية الشاملة كآزمة عقدية: لتعميق الفهم، يجب استحضار تفريق عبد الوهاب المسيري بين نوعين:

- **العلمانية الجزئية:** التي تقف عند حدود فصل الدين عن الدولة (سياق سياسي).
- **العلمانية الشاملة:** وهي "رؤية كونية (World Outlook) تفصل القيم الدينية والأخلاقية عن الحياة كلياً، وتتعامل مع العالم كـ "مادة استعمالية" لا قداسة لها، فتصبح المرجعية النهائية لـ "السوق أو المادة" بدلاً من الله⁽⁵¹⁾.

ينتقل الصراع هنا مع العولمة من كونه صراعاً سياسياً إلى صراع عقدي وجودي يستهدف "مرجعية الوحي".

⁽⁴⁹⁾ قناة الجزيرة، "موازن | الشباب والتدين.. ما الذي غيرته الحداثة؟".

⁽⁵⁰⁾ عامر العبود، "بحث عن العولمة أسباب العولمة ونتائجها وأنواعها"، حَلْوَاهَا (2019).

⁽⁵¹⁾ المسيري، العلمانية والحداثة والعولمة، 12-15.

النظام العالمي (بين التعاون والهيمنة)

- **دلاليًا:** هو شبكة التفاعلات الدولية والمؤسسات (كالأمم المتحدة) التي تهدف ظاهرياً إلى تحقيق الاستقرار الكوني وتقليص الفوارق. (52)
- **نقدياً:** يُنظر إليه في المجتمعات الإسلامية كأداة مزدوجة؛ فهو وسيلة لمواجهة التحديات العالمية (المناخ، الأزمات)، ولكنه أيضاً "آلية هيمنة" تفرضها القوى الكبرى لنمذجة العالم وفق رؤيتها الخاصة.

السياق التاريخي: من الاستعلاء الحضاري إلى صدمة التبعية

لفهم رد الفعل العقدي المعاصر، يجب استرجاع الحالة النفسية التي سبقت عصر العولمة. "لم تكن نظرة أوروبا اللاتينية إلى الإسلام لتعادل نظرة الإسلام إلى أوروبا... بينما أدى شعور المسلم بالتفوق إلى إهمال الشعوب التي يعتقدونها أدنى منه قوة وعلماً وعقيدة" (53).
يصف خالد زيادة حالة "شعور المسلم بالتفوق" قديماً، حيث كان المسلم ينظر إلى أوروبا بتجاهل نابع من الثقة في علو عقيدته وحضارته.

- **المفارقة التاريخية:** أدى هذا الشعور إلى إهمال دراسة الشعوب الأخرى، مما جعل مواجهة مع العولمة والاستعمار لاحقاً تمثل "صدمة حضارية" عنيفة؛ حيث تحول المسلم من "متبوع" مستغلٍ بعقيدته إلى "تابع" يواجه تحديات الهيمنة الثقافية (غربة المكان) أو الانكفاء الماضي (غربة الزمان).

إن ضبط هذه المفاهيم يكشف أن الصراع مع العولمة ليس اقتصادياً فحسب، بل هو صراع بين "عالمية إسلامية" تنطلق من الفطرة والإيمان، وبين "عولمة مادية" تتبنى "العلمانية الشاملة" كدين جديد يسعى لتأليه السوق والمادة.

(52) طارق عبد الرؤوف عامر، "العولمة (مفهومها - أهدافها - خصائصها)"، آفاق علمية وتربوية (blog)، 26،

أبريل، 2021.

(53) زيادة، تطور النظرة الإسلامية إلى أوروبا، 45.

2. الباب الثاني: الإطار النظري للبحث المظاهر والأساسيات الاعتقادية

يهدف هذا الباب إلى تحليل العلاقة بين العولمة والعقيدة الإسلامية، والوقوف على آليات التأثير المتبادل بينهما، مع تقييم تداعيات هذا التأثير نظرياً وعملياً، وينطلق هذا التحليل من استيعاب عميق لماهية العولمة وأبعادها المتشعبة، إلى جانب فهم طبيعة العقيدة الإسلامية وخصائصها المتفردة.

طبيعة وإشكالية العلاقة بين العولمة والعقيدة الإسلامية

تنتم العلاقة بين العولمة والعقيدة الإسلامية بالتعقيد والتشابك، وتتطلب تحليلاً معمقاً؛ إذ تتجلى إشكاليات هذه العلاقة عبر مستويات عدة:

1. **المستوى المعرفي والفكري:** تطرح العولمة تحديات بالغة أمام العقيدة الإسلامية، تتمثل في التدفق السريع للأفكار والفلسفات، وتعدد مصادر المعرفة، وتنوع المرجعيات الفكرية؛ مما يفرض على علماء العقيدة تطوير أدوات معرفية ومنهجية حديثة للتعاطي مع هذه التحديات.
2. **المستوى القيمي والأخلاقي:** تروج العولمة لمنظومة قيمية وأخلاقية قد تتعارض في بعض جوانبها مع المنظومة الإسلامية، مما يولد توتراً وصراعاً قيمياً داخل المجتمعات المسلمة، ولا سيما في أوساط الشباب.
3. **المستوى الاجتماعي والثقافي:** تترك العولمة بصماتها على البنى الاجتماعية والثقافية للمجتمعات الإسلامية، محدثةً تحولات في أنماط العلاقات والممارسات، وهو ما ينعكس بدوره على كيفية فهم المسلمين لعقيدتهم وممارستهم إياها.
4. **المستوى التكنولوجي والإعلامي:** تتيح العولمة ترسانة من الوسائل التكنولوجية والإعلامية المتقدمة التي تمثل سلاحاً ذا حدين؛ إذ يمكن توظيفها لنشر العقيدة الإسلامية والذود عنها، كما يمكن أن تُستغل للهجوم عليها وتشويه معالمها.

وفي هذا السياق يرى الدكتور محمد عمارة أن:

"العلاقة بين العولمة والعقيدة الإسلامية ليست علاقة صدامية بالضرورة، بل هي علاقة معقدة تتضمن جوانب إيجابية وأخرى سلبية، وتتطلب من المسلمين وعياً عميقاً بطبيعة العولمة وآلياتها، وفهماً دقيقاً لعقيدتهم وقدرتها على التفاعل الإيجابي مع المتغيرات المعاصرة".⁽⁵⁴⁾

في المقابل، يشدد الشيخ عبد الله بن بيه -أحد أبرز علماء المدرسة المالكية المعاصرين- على ضرورة التمييز بين العولمة كظاهرة موضوعية وبين العولمة كأيدولوجيا، قائلاً:

"العولمة كظاهرة موضوعية تعبر عن تطور تاريخي في العلاقات الإنسانية، وهي بهذا المعنى ليست شراً مطلقاً ولا خيراً مطلقاً، بل هي واقع يمكن التعامل معه بإيجابية؛ أما العولمة كأيدولوجيا تسعى إلى فرض نموذج ثقافي وقيمي معين على العالم كله، فهي تمثل تحدياً حقيقياً للعقيدة الإسلامية وللهوية الإسلامية بشكل عام".⁽⁵⁵⁾

خصوصية العقيدة الإسلامية في مواجهة العولمة

تمتلك العقيدة الإسلامية مقومات وخصائص ذاتية تؤهلها للتفاعل الإيجابي والفعال مع تحديات العولمة، ومن أبرز هذه الخصائص:

1. **الربانية:** تستمد العقيدة مصدريتها من الوحي الإلهي (القرآن والسنة)، مما يمنحها رسوخاً وقوة أمام التيارات الوافدة، وتتجلى هذه الربانية في "الغاية والوجهة"، حيث يجعل الإسلام غايته الأخيرة وحسن الصلة بالله والحصول على مرضاته؛ فالإله المنتهى، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ 6﴾ [الانشقاق: 6] ، وقوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: 42] ، ورغم وجود غايات إنسانية واجتماعية أخرى للإسلام، إلا

⁽⁵⁴⁾ محمد عمارة، العولمة والعقيدة: دراسة في التأثيرات المتبادلة (القاهرة: دار نهضة مصر، 2003)، 45.

⁽⁵⁵⁾ عبد الله بن بيه، صناعة الفتوى وفقه الأقليات (بيروت: دار المنهاج، 2007)، 112.

- أنها جميعاً خادمة لهذا الهدف الأكبر⁽⁵⁶⁾، ومن أهم مظاهر تأثير هذا الإيمان الرباني على فكر الإنسان: سعة النظر، وتحرر الفكر، ووحدة المعرفة. (57)
2. الشمولية: تتسم العقيدة باستيعابها لكافة جوانب الحياة الإنسانية، مقدماً رؤية متكاملة للكون والإنسان والحياة.
3. الوسطية والاعتدال: تتأسس العقيدة على منهج الوسطية، مما يكسبها القدرة على استيعاب المستجدات والمتغيرات بوزن دقيق، دون إفراط أو تفريط.
4. المرونة والتجدد: تتصف العقيدة الإسلامية بالحيوية والقدرة على التجدد عبر آليات الاجتهاد، مما يتيح لها مواكبة المتغيرات المعاصرة بفعالية.
5. العالمية: هي عقيدة موجهة للبشرية جمعاء، تخاطب الفطرة الإنسانية المشتركة، مما يمنحها القدرة على مد جسور التواصل مع شتى الثقافات والحضارات.

وتأكيداً لهذه الخصائص، يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "العقيدة الإسلامية بخصائصها المميزة قادرة على مواجهة تحديات العصر، ومنها تحديات العولمة، فهي عقيدة ربانية المصدر، عالمية التوجه، إنسانية النزعة، وسطية المنهج، تجمع بين الثبات والمرونة، وبين الأصالة والمعاصرة".⁽⁵⁸⁾

وبناءً على ما سبق بيانه، تتجلى دقة ما ذهب إليه الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي -أحد أبرز علماء المدرسة الأشعرية المعاصرين- حين أوضح أن: "خصوصية العقيدة الإسلامية تكمن في قدرتها على الجمع بين الثبات في الأصول والمرونة في الفروع، وهذا ما يمكنها من التفاعل الإيجابي مع المتغيرات المعاصرة، ومنها ظاهرة العولمة، دون أن تفقد هويتها وخصوصيتها"⁽⁵⁹⁾

⁽⁵⁶⁾ يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1983)، 7.

⁽⁵⁷⁾ عبد العزيز بو الشعير، النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي والغربي (بيروت: مندى المعارف، 2014)، 163 وما بعدها.

⁽⁵⁸⁾ القرضاوي، المسلمون والعولمة، 2000، 78.

⁽⁵⁹⁾ البوطي، قضايا ساخنة: التشريع - الإرهاب - العولمة الإنسانية والعولمة الاستعمارية، 56.

2.1. العولمة وتأثيراتها على العقيدة الإسلامية

لا يمكن قراءة التأثيرات السلبية للعولمة بمعزل عن أهدافها المضمرة الرامية إلى سلب إرادة الشعوب وتطويع هوياتها؛ فالعولمة في وجهها المهيمن ليست سوى امتداد لسياسات السيطرة التقليدية، ولكن بأدوات ناعمة وأكثر نفاذاً، وفي تشخيص دقيق لهذا الواقع، يرى الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الله سلقيني أن ما يشهده العالم اليوم تحت غطاء العولمة هو في حقيقته إعادة إنتاج لمنظومات الارتهان، حيث يقرر في سياق تشريحه لهذه الظاهرة: "إن ما يواجهه المسلمون اليوم يتطلب إدراكاً عميقاً لـ (وسائل الاستعباد في العصر الحديث) التي تتخفى خلف شعارات العولمة.. مما يحتم ضرورة (التحول من الاستعباد المعاصر إلى عالمية الإسلام) لإنقاذ البشرية من هيمنة المادة وإعادة الاعتبار لكرامة الإنسان" (60)

وبناءً على هذا الطرح، يتضح أن العولمة المادية تسعى إلى تكبيل المجتمعات الإسلامية اقتصادياً وثقافياً، مما يهدد "حرية الإرادة" والسيادة القيمية التي كفلها التوحيد، ويحول الشعوب من فاعلين حضاريين إلى مستهلكين تابعين لمركزية مادية واحدة.

ولفهم آليات هذا التأثير، لا بد أولاً من إدراك طبيعة العولمة ذاتها بوصفها ظاهرة مركبة تتداخل فيها الأبعاد الاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والسلوكية. ففي ظل هذا "الفضاء المفتوح"، يتجاوز الانتماء الحدود السياسية والجغرافية للدول ليصبح انتماءً عالمياً قسرياً في كثير من الأحيان، مما يحدث تحولات جذرية تمتد آثارها لتشمل جوهر المنظومة العقدية للإنسان أينما وجد.

ويسهم في صنع هذه التحولات وتسريع وتيرتها بروز قوى فاعلة جديدة على الساحة الدولية، وعلى رأسها الشركات عابرة القوميات؛ إذ تتسم هذه الكيانات بضخامة حجمها وتنوع أنشطتها وقدرتها الفائقة على عبور الحدود السياسية والثقافية، مما جعل القضايا الكبرى -بما فيها العقيدة والقيم- تكتسي طابعاً عالمياً خاضعاً لمنطق السوق والمادة" (61)

انطلاقاً من هذا الفهم المعمق، يتناول هذا القسم آليات تأثير العولمة على العقيدة الإسلامية؛ حيث يتبين أن العولمة تمارس ضغوطها من خلال قنوات متعددة ومتنوعة، تعمل بشكل متزامن

(60) إبراهيم عبد الله سلقيني، التحول من الاستعباد المعاصر إلى عالمية الإسلام (ديار بكر: مكتبة سيدا، 2025)، مقدمة الكتاب-الرؤية المركزية.

(61) أسامة أمين الخولي (تحقيق)، العرب والعولمة (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1995)، 63.

ومتداخل لزعزعة اليقين العقدي أو تذويب الهوية، ولغرض التحليل المنهجي، يمكن تصنيف هذه الآليات إلى أربع فئات رئيسية، هي:

2.1.1. الآليات الفكرية والمعرفية

تتمثل الآليات الفكرية والمعرفية في مجموعة الأفكار والنظريات والفلسفات التي تروج لها العولمة، والتي تترك أثراً بالغاً في فهم المسلمين لعقيدهم وتصوراتهم الشاملة عن الكون والإنسان والحياة.

ولفهم خطورة هذه الآليات، يجب إدراك أن العقيدة الإسلامية تمثل الحصن الثقافي والتربوي الذي يحمي شخصية المسلم؛ فهي المانحة لمعايير القبول والرفض، والدافع الرئيس للسلوك، بل هي التي تمنح الفرد أدوات الحوار مع "الأخر"، وفي المقابل، نجد أن العولمة اعتمدت تاريخياً على "العلمانية" (فصل الدين عن الحياة) كطريق رئيس للتوغل وتشكيل الحياة بعيداً عن الوحي⁽⁶²⁾.

وتعمل العولمة على اختراق النسق العقدي الإسلامي عبر الآليات الفكرية الآتية:

1- نشر الفلسفات المادية والعلمانية الشاملة:

تروج العولمة لفلسفات تفصل بين الدين والحياة، وتقتصر الدين على الجانب الروحي والشعائري فقط، وفي هذا السياق، يوضح الدكتور طه جابر العلواني أن هذا الفصل يؤدي حتماً إلى "تشويه فهم المسلمين لشمولية العقيدة الإسلامية وتكاملها"⁽⁶³⁾.

ولا تتوقف العولمة عند "العلمانية الجزئية" (فصل الدين عن الدولة)، بل تتجاوزها إلى "العلمانية الشاملة"، وهي رؤية كونية تفصل القيم الدينية والأخلاقية عن الحياة بكل جوانبها، وتتعامل مع العالم كمادة استعمالية لا قداسة لها، جاعلةً المرجعية النهائية للدولة أو السوق بدلاً من الله⁽⁶⁴⁾ ويقودنا هذا إلى مفهوم "الإنسانية" كأداة لإزاحة الإله؛ فهي ليست مجرد محاولة لإعادة تأويل الأديان أو تهميشها، بل هي رؤية قائمة على "مركزية الإنسان" تسعى إلى جبّ الأديان وعدم

⁽⁶²⁾ حسنة، العولمة: فرص وتحديات، 29 بتصرف.

⁽⁶³⁾ طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي (هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995)، 89.

⁽⁶⁴⁾ المسيري، العلمانية والحداثة والعولمة، 12-15.

الاعتراف بها، وصولاً إلى إقرار الإلحاد" (65) ولم تكن هذه التحولات وليدة اللحظة، بل بدأت جذورها مبكراً عبر "الانبهار بالتشريعات الوضعية"، وهو ما رصدته المؤرخون في إعجاب المثقف المسلم بقوانين الأوروبيين التي "لا تهتدي بقوانين مقدسة... بل بقوانين وتشريعات بشرية ناتجة من نور العقل وحده"، مما مهد تاريخياً لإحلال العقل الوضعي محل الوحي. (66)

2- حصر الدين في الشعائر وإعادة تأويل النصوص (تفريغ الدين من مضمونه):

من أخطر آليات العولمة الفكرية سعيها لـ "أمركة" العقيدة من الداخل عبر ما يُسمى بمشاريع "تطوير الخطاب الديني"، وتهدف هذه المشاريع، وفقاً لتقارير رسمية، إلى تقليل الاهتمام بالجانب الديني في الشأن العام، وإغراق الشعوب الإسلامية بأنماط الحياة الغربية، وصولاً إلى تحريف المفاهيم الشرعية؛ كقصر مفهوم "الجهاد" على جهاد النفس والالتزام بالعبادات الفردية فقط. (67) وقد أدى هذا المسار إلى "علمنة" العقل المسلم دون أن يشعر، حيث أُقيم جدار عازل بين الدين والحياة، ويصف المفكر فهمي هويدي هذه المعضلة بقوله: "بات مقبولاً أن ينشغل المسلمون بما إذا كان الصابون يحتوي على شحوم الخنزير أم لا... بينما لا تستوقفهم مجاعة تهدد ملايين المسلمين... لقد انفصل الدين عن السلوك، وضاعت دائرة الحلال والحرام حتى انحصرت في رموز بسيطة لا تصب في مجرى الحياة العريض. (68)

3- ترويح النسبية المعرفية والأخلاقية:

تعمل العولمة على ترسيخ مفاهيم النسبية التي تدّعي أن الحقائق والقيم متغيرة وغير مطلقة، وهذا الطرح يصطدم مباشرة بيقينية العقيدة الإسلامية وثبات قيمها الأخلاقية والتشريعية، مما يولد شكاً لدى المسلم في إطلاقية أحكام دينه.

(65) علي، أحمد محمد، بعض مفاهيم العولمة والحدثة.. رؤية د (عبد الوهاب المسيري. مركز خطوة للتوثيق والدراسات، 2017)، 2.

(66) زيادة، تطور النظرة الإسلامية إلى أوروبا، 77.

(67) أحمد سويلم، ثقافتنا في مفترق الطرق (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2004)، 28-29.

(68) هويدي، أزمة الوعي الديني، 99.

4- تعدد مصادر المعرفة وتنوعها:

تفرض العولمة عبر منصات المفتوحة تدفقاً هائلاً لمصادر معرفية متنوعة ومتضاربة، ورغم ما يبدو في ذلك من انفتاح إلا أنه يخلق حالة من التشتت المعرفي لدى المسلمين مما يضعف مرجعيتهم العقديّة الصافية ويجعلها عرضة للتشويش.

5- انتشار الشبهات والطعون في ثوابت العقيدة:

تستغل العولمة وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري لضخ سيل من الشبهات التي تستهدف أصول الإسلام، ويؤكد الشيخ صالح الفوزان على خطورة هذه الآلية مبيناً أن "من أخطر آثار العولمة على العقيدة الإسلامية انتشار الشبهات والطعون في أصول الإيمان، وترويج الشكوك في ثوابت الدين، مما يتطلب من علماء العقيدة جهوداً مضاعفة في الرد على هذه الشبهات وتحسين عقيدة المسلمين"⁽⁶⁹⁾.

2.1.2. الآليات الثقافية والاجتماعية

تتمثل الآليات الثقافية والاجتماعية في مجموعة القيم والممارسات والأنماط السلوكية التي تروج لها العولمة، والتي تؤثر عميقاً في البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمعات الإسلامية.

تعتمد هذه الآليات على اختراق "الإدراك" بدلاً من "الوعي"؛ فبينما كان الصراع الأيديولوجي يستهدف تشكيل الوعي، تستهدف العولمة السيطرة على الإدراك عبر الصورة السمعية والبصرية لتسطيح الوعي وتعطيل فاعلية العقل"⁽⁷⁰⁾ والهدف من ذلك هو فرض "عولمة" تخترق الآخر وتسلبه خصوصيته، بدلاً من "عالمية" تسعى للتعارف وإغناء الهوية.

وتتجلى أبرز هذه الآليات في المحاور التالية:

- **نشر الثقافة الاستهلاكية وتكريس (التشيؤ):** تروج العولمة لثقافة تجعل من الاستهلاك والتملك غاية في حد ذاتها، وهنا يبرز مفهوم "التشيؤ"، حيث "يتحول الإنسان إلى شيء، تتمركز أحلامه حول الأشياء، فلا يتجاوز السطح المادي..، وحينما يتشياً الإنسان، فإنه سينظر إلى مجتمعه وتاريخه باعتبارهما قوى غريبة عنه... فيصبح الإنسان معمولاً به

(69) صالح الفوزان، شرح العقيدة الواسطية (الرياض: مكتبة المعارف، 1997)، 123.

(70) الخولي، العرب والعولمة، 1995، 143.

لا فاعلاً" (71) وفي هذا السياق، يوضح د. عبد الوهاب المسيري الأثر التدميري لذلك قائلاً: "العولمة تروج لنموذج إنساني جديد، هو الإنسان ذو البعد الواحد، الإنسان الاستهلاكي الذي تتحدد قيمته بما يستهلك وما يمتلك، وهذا يتناقض مع النموذج الإنساني الإسلامي، الذي يرى الإنسان كائناً متعدد الأبعاد، له بعد روحي وأخلاقي إلى جانب البعد المادي" (72)

• **تغيير أنماط العلاقات الاجتماعية وإشاعة الفردية:** تعمل العولمة على تفكيك الروابط الأسرية والاجتماعية التقليدية. فالآلة الإعلامية الأمريكية، على سبيل المثال، تركز "أيدولوجيا الفردية المستسلمة" عبر نشر أوهايم كالخيار الشخصي وغياب الصراع الاجتماعي، وهي أيدولوجيا "تضرب في الصميم الهوية الثقافية بمستوياتها" (73) ويؤكد الشيخ محمد الغزالي أن "من أخطر آثار العولمة على المجتمعات الإسلامية تفكيك الروابط الأسرية والاجتماعية، ونشر النزعة الفردية والأنانية، مما يؤثر في البعد الاجتماعي للعقيدة الإسلامية" (74)

• **الاستلاب الثقافي وفرض الغرب كمرجعية:** تسهم العولمة في نشر القيم الغربية لتخلق ازدواجية سلوكية، مع اتهام القيم الإسلامية بأنها بالية، وقد أدى ذلك إلى اختراق الوعي الإسلامي المعاصر، ففي نهايات القرن التاسع عشر أضحى أوروبا مصدر إلهام، وعلى هذا النحو "فإن أوروبا اخترقت الوعي الإسلامي المعاصر وأضحى بعداً من أبعاد هذا الوعي" (75) ولم يكن هذا التوجه منفصلاً عن الجذور الاستعمارية لعلم الاجتماع الغربي الذي نشأ لتسوية الاحتلال، وهو ما يؤكد د. أحمد خضر بأن هذا العلم "استعماري بطبيعته، وذو صلة بأعمال المخابرات، هدفه الأول ضرب الدين والعقيدة بصفة عامة، والإسلام وشريعته بصفة خاصة" (76)

(71) أحمد محمد علي، "بعض مفاهيم العولمة والحداثة.. رؤية د. عبد الوهاب المسيري"، مركز خطوة للتوثيق والدراسات (blog)، 2017،

(72) عبد الوهاب المسيري، *العولمة والصهيونية* (القاهرة: دار الفكر المعاصر، 2001)، 67.

(73) الخولي، *العرب والعولمة*، 1995، 301-302.

(74) محمد الغزالي، *قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة* (القاهرة: دار الشروق، 1990)، 45.

(75) زيادة، *تطور النظرة الإسلامية إلى أوروبا*، 18.

(76) أحمد إبراهيم خضر، "علم الاجتماع: بحوث سطحية وأخرى استعمارية"، شبكة الألوكة. (2012)

- **تغيب اللغة العربية وفصل الأجيال عن القرآن:** تُعد اللغة العربية الجدار الحصين للهوية، وفي ذلك يقول أحمد سويلم: "تشكل اللغة العربية أحد المحاور الرئيسية في منظومة الهوية الثقافية العربية..، ولا شك أن لغتنا تجيء على قمة العناصر المستهدفة من أعدائنا؛ لأن اختراقها يعني ضمناً اختراق المجتمع واختراق ثقافته..، ومن ثم فإن حرباً تستهدف اللغة العربية إنما تريد أن تسقط جداراً قوياً من بناء هذه الأمة"⁽⁷⁷⁾
- **استنساخ الحركات الغربية (الحركة النسوية نموذجاً):** يتم استنساخ حركات تحمل جذوراً علمانية لتغيير بنية المجتمع، وتصف هاجر السنافي حركة تحرير المرأة بأنها "حركة علمانية، استمدت أصولها وجذورها من العلمانية الغربية..، وتحمل أفكار هذه الحركة.. تحرير المرأة من الآداب والشرائع الإسلامية..، والدعوة للعلمانية الغربية أو اللادينية بحيث يتم إبعاد الدين عن مجال الحياة الاجتماعية خاصة... جعل القدوة للمسلمين أوروبا والغرب في كل الأمور"⁽⁷⁸⁾
- **إسقاط القدوات والرموز التاريخية (التفكيك):** تميل العولمة إلى التفكيك وإسقاط القدوات. لذا، يُعد التمسك بالمرجعية المعيارية لضبط العقيدة (كوجوب اعتقاد فضل الصحابة، والخلفاء الراشدين، وأمّهات المؤمنين) حائط صد ضروري ضد هذا الاختراق، كما تقرر مراجع العقيدة الأساسية"⁽⁷⁹⁾
- **ضعف المناعة الثقافية والتعليمية:** تستغل العولمة الفراغ التربوي لتمرير أهدافها. يفسر فهمي هويدي نجاح هذا الغزو الفكري بهشاشة الحصانة، مشيراً إلى أن "شبابنا، وجمهور المتدينين... لم يتح لهم أن يتلقوا أي قدر من الثقافة الإسلامية يحصنهم... مناهج التعليم خالية مما يمكن أن نسميه ثقافة إسلامية..، وسائل الإعلام الأخرى تقدم غذاء هزياً..، وفي غيبة مؤسسات أهلية للتربية الإسلامية الرشيدة... لا بد وأن يصبحوا ضحايا لمختلف صور الالتباس وسوء الفهم"⁽⁸⁰⁾

⁽⁷⁷⁾سويلم، ثقافتنا في مفترق الطرق، 47-48.

⁽⁷⁸⁾هاجر السنافي، أثر الانحراف الفكري على المرأة المسلمة (السعودية: جامعة طيبة، المدينة المنورة، بحث تكميلي - ماجستير غير منشور، 2011)، 50-51.

⁽⁷⁹⁾نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، المبحث الثاني (وجوب اعتقاد فضلهم وعدالتهم والكف عما شجر بينهم).

⁽⁸⁰⁾هويدي، أزمة الوعي الديني، 18.

2.1.3. الآليات الإعلامية والتكنولوجية

تتمثل الآليات الإعلامية والتكنولوجية في مجموعة الوسائل والأدوات التي توفرها العولمة، والتي تؤثر جوهرياً في طريقة تلقي المسلمين للمعلومات وتفاعلهم معها، وتعتمد هذه الآليات على اختراق الحواجز الجغرافية والثقافية لخلق بيئة اتصالية تخدم التوجهات العولمية، وتبرز خطورتها من خلال المحاور التالية:

- **تسطيح الوعي والسيطرة على الإدراك عبر الصورة:** في عصر العولمة، لم يعد الاختراق يقتصر على الطرح الفكري المجرد، بل انتقل إلى استهداف الإدراك المباشر. يحلل د. محمد عابد الجابري هذا التحول بعمق قائلاً: "أما الاختراق الثقافي، فهو يستهدف أول ما يستهدف السيطرة على الإدراك، اختطافه وتوجيهه وبالتالي سلب الوعي، والهيمنة على الهوية الثقافية... فوسيلة السيطرة على الإدراك هي الصورة السمعية البصرية التي تسعى إلى تسطيح الوعي، إلى جعله يرتبط بما يجري على السطح من صور ومشاهد ذات طابع إعلامي إشهاري، مثير للإدراك مستفز للانفعال، حاجب للعقل"⁽⁸¹⁾ وفي ذات السياق، يؤكد د. نصر حامد أبو زيد أن "وسائل الإعلام العالمية تلعب دوراً محورياً في تشكيل الوعي العالمي، وصياغة الرأي العام، وتوجيه الأفكار والقيم، مما يؤثر في تصورات المسلمين عن عقيدتهم وقيمهم"⁽⁸²⁾
- **مسخ الهوية وصناعة "القدوة البديلة":** يُعد الإعلام أداة رئيسية للتطبيع مع النموذج الغربي، وتغييب الهوية الإسلامية، خاصة لدى المرأة، ويشير الباحثون إلى أن "الإعلام بخدمته لأهداف الليبراليين كان له أثر بالغ في إفساد فكر المرأة المسلمة..، وإغراقها في الهامشية التي تحصر اهتمامات المرأة في شكلها ومظهرها فقط... كما أن هذا الإعلام يروج لنشر نموذج المرأة الغربية في العالم الإسلامي، وجعلها القدوة التي ينبغي الاحتذاء بها"⁽⁸³⁾.
- **الترويج للأفكار اللادينية والانحلال الأخلاقي:** لم يكن استخدام الإعلام لتفكيك العقائد وليد اللحظة؛ بل هو امتداد لجهود تاريخية منظمة. فقد "كان اهتمام اليهود مبكراً في تأسيس

⁽⁸¹⁾ الجابري، "قضايا في الفكر المعاصر"، 128.

⁽⁸²⁾ نصر حامد أبو زيد، *تقد الخطاب الديني* (القاهرة: سينا للنشر، 1994)، 78.

⁽⁸³⁾ السنافي، *أثر الانحراف الفكري على المرأة المسلمة*، 62.

الصحف والسيطرة عليها وذلك للترويج... للأفكار الهدامة، والنظريات الزائفة، وقد استطاعت أن تجعل عقول البشر تتقبل هذا الفكر العفن والمنشور في صحف اليهود، التي احتضنت الأفكار اللادينية والإلحادية والدعوة للفجور والانحلال" (84) وهذا يعكس خطورة الإعلام كأداة لنشر "الإلحاد الجديد" المهدد للعقيدة.

- **الفضاء الإلكتروني والتكنولوجيا الرقمية (سلاح ذو حدين):** توفر شبكة الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي منصات مفتوحة تسرع من انتشار الشبهات. كما يخلق الواقع الافتراضي عالماً موازياً بقوانين وقيم خاصة تؤثر في إدراك المسلم للحقيقة؛ ومع ذلك يرى د. عبد الله الطريقي أن هذه الأدوات تظل محايدة في أصلها موضحاً أن "التكنولوجيا الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي سلاح ذو حدين، يمكن استخدامه في نشر العقيدة الصحيحة والدفاع عنها، كما يمكن استخدامه في نشر الشبهات والطعون فيها، مما يتطلب من المسلمين وعياً عميقاً بكيفية التعامل مع هذه التكنولوجيا" (85).
- **استراتيجيات المواجهة (الإعلام البديل وإبراز قيمة "السماحة"):** أمام هذا الغزو، تبرز الحاجة لخطوات عملية وفكرية. فعلى الصعيد العملي، يرى أحمد سويلم أن المواجهة ممكنة عبر الاستثمار الإعلامي الجاد: "تلك هي لعبة الإعلام في المخطط الأمريكي... بدلاً من إنشاء مزيد من الفضائيات وإطلاق مزيد من الأقمار التي تثبت برامج مكررة ممجوجة... كان من الممكن أن يجتمع العرب الأثرياء حول فضائية موحدة أو أكثر مهمتها الأساسية مواجهة هذا الإعلام الأمريكي الخطير" (86) أما على الصعيد الفكري، وللرد على التشويه الإعلامي الذي يتهم الإسلام بالتعصب، تبرز قيمة "السماحة" كاستراتيجية للتعايش؛ يقرر العلامة محمد الطاهر بن عاشور أن "من أهم خصائص هذا الدين: السماحة..، وهي سهولة المعاملة في اعتدال..، وبها وصف النبي صلى الله عليه وسلم هذا الدين فقال: (أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة) " (87) مما يجعل من السماحة قيمة حضارية قادرة على تفكيك التهم الغربية وتأسيس فقه للتعايش في عصر العولمة.

(84) المعاينة، أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر، 3.

(85) عبد الله الطريقي، الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993)، 56.

(86) سويلم، ثقافتنا في مفترق الطرق، 42.

(87) ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام.

2.1.4. الآليات الاقتصادية والسياسية

تتمثل الآليات الاقتصادية والسياسية في مجموعة السياسات والممارسات التي تفرضها العولمة، والتي تؤثر بعمق في البنية الهيكلية للمجتمعات الإسلامية، ولئن كانت العولمة تبدو في ظاهرها مجرد نظام اقتصادي عالمي أو غطاءً نظرياً لحركة اقتصاد السوق الحر وأنشطة الشركات متعددة الجنسيات، إلا أنها تحمل في طياتها أبعاداً أيديولوجية خطيرة.

ويؤكد عمر عبيد حسنة هذا المعنى مبيناً أن البعد الاقتصادي للنظام العالمي الجديد يبقى ذا أبعاد سياسية وثقافية، من خلال سعي الغرب إلى "فرض رؤيته الخاصة ومعاييرها الثقافية على باقي الشعوب، معممًا عليها نمطه الخاص في التفكير والسلوك... مما يفضي حتماً إلى تجريد الإنسانية من التنوع الثقافي والتعدد الحضاري" (88).

وتتجلى هذه الآليات بوضوح عبر مسارين رئيسيين:

أولاً: الآليات الاقتصادية (تسلع العالم وتطويع الإرادة)

تستهدف العولمة الاقتصادية إخضاع العالم لنموذج مادي بحت، ويظهر ذلك في:

فرض النموذج الرأسمالي والتصادم مع الاقتصاد الإسلامي: يفرض النظام الاقتصادي العالمي النموذج الرأسمالي كخيار أوحده، مما يهمل القيم الاقتصادية الإسلامية؛ يرى د. محمد عمارة أن هذا النظام "يؤثر في النظام الاقتصادي الإسلامي وقيمه، ويحول دون تطبيق المبادئ الاقتصادية الإسلامية، مثل تحريم الربا، وفرض الزكاة، وتحقيق العدالة الاجتماعية." (89)

الاستهلاكية كبديل للعقيدة (التسلع): أخطر ما تفرزه العولمة الاقتصادية هو تحويل الإنسان والكون إلى مجرد سلع؛ يوضح د. عبد الوهاب المسيري مفهوم التسلع بأنه "يشير إلى أن السلعة و عملية تبادل السلع تصبح هي النموذج الكامن في رؤية الإنسان للكون ولعلاقاته... التسلع يعني تحول العالم إلى حالة السوق، أي سيادة منطق الأشياء" (90) هذا المنطق ينافس مفهوم "العبادة" ويهدد مبدأ "الاستخلاف" في العقيدة الإسلامية.

(88) حسنة، العولمة: فرص وتحديات، 18.

(89) محمد عمارة، الإسلام والاقتصاد (القاهرة: دار الشروق، 1993)، 89.

(90) علي، "بعض مفاهيم العولمة والحداثة.. رؤية د. عبد الوهاب المسيري".

الاقتصاد كأداة للسيطرة (الإغراق بالديون): تلعب المؤسسات المالية الدولية دوراً محورياً في سلب استقلالية القرار الاقتصادي للدول، وهذا الأسلوب له جذور تاريخية في السيطرة وتوجيه السياسات، حيث "برز اليهود كعنصر مؤثر في المال والاقتصاد من خلال بعض الأسر اليهودية مثل عائلة روتشيلد التي كان لها الدور الأكبر في إغراق أغلب الدول الأوروبية بالقروض وكانت مطالبهم في مقابلها أرض فلسطين" (91).

ثانياً: الآليات السياسية (نهاية التاريخ والأمركة)

تستخدم العولمة أدوات سياسية لفرض هيمنتها وتشكيل الأنظمة بما يخدم مصالحها، وذلك عبر:

العولمة كأيدولوجيا للهيمنة (الأمركة): العولمة ليست مجرد انفتاح بريء، بل هي مشروع استعماري جديد. يحلل د. محمد عابد الجابري ذلك قائلاً: "العولمة - في المجال السياسي - العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلداً بعينه، هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات، على بلدان العالم أجمع... فالعولمة هي أيضاً إيدولوجيا تعبر، بصورة مباشرة، عن إرادة الهيمنة على العالم وأمركته" (92).

• نهاية التاريخ وفرض النموذج الليبرالي: يفرض النظام السياسي العالمي النموذج

الديمقراطي الليبرالي كبديل نهائي، وتُعد فكرة (نهاية التاريخ) لفرانسيس فوكوياما "التعبير الفلسفي عن العولمة... إنها تعني أن النموذج الغربي الليبرالي هو سقف التطور البشري، وأنه لا يوجد أي نموذج آخر... يمكن أن يقدم بديلاً" (93) هذا الطرح يمثل حتمية مادية تلغي الغيب وتتحدى صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان؛ وفي هذا الصدد، يؤكد د. راشد الغنوشي أن فرض هذا النموذج "يؤثر في النظام السياسي الإسلامي وقيمه، ويحول دون تطبيق المبادئ السياسية الإسلامية، مثل الشورى، والعدل، والمساواة" (94)

(91) المعايطة، أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر، 2.

(92) الجابري، "قضايا في الفكر المعاصر"، 115-116.

(93) المسيري، العلمانية والحداثة والعولمة، 40-45.

(94) راشد الغنوشي، الحريات العامة في الدولة الإسلامية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1993)،

• **اختراق النخب عبر المنظمات الدولية والسرية:** إلى جانب المنظمات الدولية الظاهرة التي توجه العلاقات الدولية، تمتد آليات السيطرة لتشمل اختراق النخب عبر الكيانات الخفية لتوجيه القرار العالمي. تاريخياً، "استطاع اليهود تأسيس الجمعيات السرية ومن أخطرها الجمعية الماسونية..، وقد استطاعت احتواء القادة وذوي النفوذ في العالم الغربي وتجنيدهم لخدمة الأهداف... المنتظرة" (95).

2.2. مجالات تأثير العولمة على العقيدة الإسلامية

يتناول هذا القسم مجالات تأثير العولمة على العقيدة الإسلامية بتحليل معمق؛ حيث لم تقتصر العولمة على الجانب الاقتصادي، بل امتدت لتؤثر بشكل جذري في الأفكار والمعتقدات، وخاصة في المجتمعات الإسلامية، وينبع هذا التأثير من كون "الأيدولوجية من أهم مكونات تعريف العولمة، والعولمة تتوافق مع أيديولوجية الليبرالية الجديدة" (96).
لذا، لا يمكن فهم هذا التأثير دون تفكيك البنية المعرفية للعقيدة الإسلامية ومقارنتها بالنموذج الوافد، وهو ما يتضح من خلال المحاور التالية:

أولاً: "التوحيد" كقاعدة للنسق المعرفي والوجودي

يعتقد المفكر إسماعيل راجي الفاروقي أن الفارق الجوهرى بين النظامين المعرفيين الإسلامى والغربى يكمن بالأساس فى الرؤية العقيدية لكل نظام؛ حيث يُعد "التوحيد" الأساس العقدي التوحيدي الجوهري للنظام المعرفي الإسلامى، والذي فى ضوءه ينبني النظام كله.
ويتفق مع هذا الطرح د. حسن حنفي، مبيناً أن علم التوحيد "قديماً هو العلم الذى تحدت فيه تصوراتنا للعالم..، وهو الذى حدت لنا المبادئ الأولية للحياة. علم التوحيد يبدأ بمقدمتين نظريتين: الأولى عن العلم، إجابة عن سؤال: كيف أعلم؟ (نظرية فى المعرفة)، والثانية عن الوجود، إجابة عن السؤال: ماذا أعلم؟ (نظرية فى الوجود)" (97).

(95) المعاينة، أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر، 2.

(96) جورج فيك - يلدينج بول، العولمة والرعاية الإنسانية، ترجمة طلعت السروجي (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005)، 35.

(97) حسن حنفي، دراسات إسلامية (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، 1982)، 300-301.

بناءً على ذلك، فإن مبدأ التوحيد يؤكد أن الله هو الخالق الواحد المطلق، وهو "المبدأ الذي يمنح الحضارة الإسلامية هويتها ويربط جميع مكوناتها معاً ليُجعل منها كياناً عضويّاً متكاملًا..، ولا يقوم الجوهر ضرورة بتغيير طبيعة تلك العناصر، بل يحوّلها ليصنع منها حضارة"⁽⁹⁸⁾... فالله سبحانه هو المبدأ وهو المنتهى (الهدف النهائي) الذي تقصد إليه وتتناهي عنده كل سلاسل الأهداف المترابطة وإذا لم يتصل العمل بهذا الهدف النهائي، فإن كل حلقة من حلقات الحياة تصبح هباءً.

إن التوحيد، ببساطة، هو نظرة شاملة للواقع والحقيقة والتاريخ، يتكثف في شهادة (لا إله إلا الله)، وهي جملة تحمل أعظم المعاني؛ فكل ما في الإسلام من غنى وحضارة وحكمة يجتمع في هذه الكلمة البالغة القصر "⁽⁹⁹⁾ وبالتالي، فإن حل مشكلات الفكر والإنسان يكمن في هذه العقيدة التي تُمثل قاعدة الأفكار وتصورات الحياة.

ثانياً: العقيدة بين الإيمان الغيبي والتطبيق العملي (الشريعة)

إن الإيمان بعالم الغيب هو مقتضى التعاليم الإسلامية، وينقسم تحمّل المسلم لهذه التعاليم إلى شقين:

1. **الاعتقاد الجازم (العقيدة):** وهو ما يُكلف الإنسان بتحمّله تصديقاً وإيماناً، كوجود الله وثبوت البعث، وتطلب العقيدة من المسلم أن يعقد قلبه تصديقاً جازماً لا يداخله شك، وهي "ما يتدين به الإنسان من تصوّر لما وراء عالم الشهادة، كتصور لبداية العالم، ومصيره..، والعلاقات بينها وبين الإنسان"⁽¹⁰⁰⁾

2. **التطبيق السلوكي (الشريعة):** وهو ما يُكلف بأن يتحمّله بالعمل تطبيقياً في سلوكه.

ثالثاً: درجات الاعتبار الديني ومستويات الالتزام في المجتمع

في هذا البحث، يُنظر إلى العقيدة ليس فقط كمجموعة من المبادئ النظرية المجردة، بل كتصور شامل يحدد الالتزام الداخلي والواقع العملي للمسلم، ولتحديد مدى تأثر الفرد أو المجتمع بالعوامة، يمكن تصنيف مستويات الاعتبار الديني والالتزام إلى ثلاث درجات استناداً إلى المعايير المجتمعية

⁽⁹⁸⁾ أبو الشعير، النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي والغربي، 149-150.

⁽⁹⁹⁾ أبو الشعير، النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي والغربي، 154.

⁽¹⁰⁰⁾ أبو الشعير، النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي والغربي، 160.

والدراسات الاستقصائية، مثل تقارير (Religion Online) ودراسات (European University Institute) حول مستويات التدين والالتزام الهوياتي

1. **الالتزام الكامل:** ويتحقق بالنطق بالشهادتين، والالتزام المستمر بالشعائر الأساسية (الصلاة، الصيام، الزكاة، الحج)، والتمسك بالأخلاق الإسلامية (الصدق، الأمانة)؛ هذا المستوى يعكس ارتباطاً روحياً وقيماً عالياً.
2. **الالتزام الجزئي:** يتمثل في الإيمان بالشهادتين مع القصور في أداء بعض العبادات الأساسية لأسباب مختلفة. يُعد صاحب هذا المستوى مسلماً، لكن درجة ارتباطه العملي بالعقيدة تحتاج إلى تعزيز، وهو فئة مستهدفة بشدة من قبل المؤثرات العولمية.
3. **الابتعاد عن الشعائر (مسلم بالهوية):** وهم الأشخاص الذين يُعلنون إيمانهم نظرياً لكنهم لا يلتزمون بالشعائر أو القيم العملية، ويُنظر إليهم على أنهم "مسلمون ثقافياً" أو "بالهوية" فقط، ويُعد هذا المستوى هامشياً في إطار العقيدة التقليدية، وهو النموذج الذي تسعى العولمة لتكريسه عبر فصل الدين عن الحياة.

من خلال ما سبق، يتضح أن العولمة قد أثرت بعمق على المجتمعات الإسلامية، وفرزت تحديات جديدة تتعارض بشكل مباشر مع الأركان الأساسية للإسلام ومفاهيمه التوحيدية الكبرى. وتأسيساً على ذلك، تؤثر العولمة في العقيدة الإسلامية في مجالات متعددة ومتنوعة تشمل جميع قطاعات العقيدة، ويمكن تصنيف هذه المجالات إلى أربع مجالات رئيسية:

2.2.1. التأثير في مجال الإيمان بالله تعالى

يمثل الإيمان بالله تعالى الركن الأول والأساس من أركان العقيدة الإسلامية، ويشمل الإيمان بوجوده سبحانه، ووحدانيته، وصفاته، وأفعاله، ولأن "التوحيد" هو روح الإسلام وجوهره، فإن العولمة توجه تأثيراتها العميقة نحو هذا الركن سعياً لتفكيك مركزيته في حياة المسلم.

أولاً: حقيقة التوحيد والغاية من الخلق (الرؤية الإسلامية)

لإدراك حجم التأثير العولمي، لا بد من استحضار الرؤية الإسلامية النقية للتوحيد، فالإسلام يقصد إلى إعداد الإنسان ليكون عبداً خالصاً لله لا لأحد سواه، ومعنى التوحيد أن يفرد الإنسان ربه بالعبادة والاستعانة، وهو ما يردده المسلم يومياً في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ ﴿ [الفاتحة: 5] ، وقد أمر الله رسوله ﷺ بإعلان هذه الحقيقة قائلاً: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ 162 لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: 163-162] " (101).

ويقرر القرآن بوضوح أن الغاية من خلق الإنس والجن هي العبادة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ 56﴾ [الذاريات: 56]؛ بل إن خلق العالم كله، سماواته وأرضه، غايته أن يعرف الناس ربهم القادر العليم، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ [الطلاق: 12]، فالكون سُجَّر لخدمة الإنسان، أما الإنسان فقد خُلِقَ لمعرفة الله وعبادته، وكفى به شرفاً أن يكون "سيداً في الكون، عبداً لخالقه وحده" (102)

ثانياً: مسارات التأثير العولمي على عقيدة التوحيد

تتصادم العولمة مع هذه الرؤية القرآنية من خلال طرح بدائل فلسفية ومادية تؤثر في عقيدة الإيمان بالله عبر المسارات التالية:

- **نشر الفلسفات الإلحادية والمادية:** تروج العولمة لتيارات تنكر وجود الله تعالى أو تقلل من تدبيره للكون، ويحذر الشيخ محمد متولي الشعراوي من هذا الخطر مؤكداً أن "من أخطر آثار العولمة على العقيدة الإسلامية نشر الفلسفات الإلحادية والمادية التي تنكر وجود الله تعالى، أو تقلل من دوره في الكون والحياة، مما يؤثر في عقيدة التوحيد لدى المسلمين، ويزعزع يقينهم بوجود الله تعالى ووحدانيته" (103)؛ ويطرافق ذلك مع ترويج

(101) القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، 8.

(102) القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، 9-10.

(103) محمد متولي الشعراوي، العقيدة والمنهج (القاهرة: أخبار اليوم، 1999)، 45.

نظريات علمية مادية تُفسر نشأة الكون والحياة تفسيراً عشوائياً أو مادياً بحتاً، لعزل الخالق عن خلقه.

- **إحلال "النزعة الإنسانية العلمانية" (بدعة الفردانية):** في مقابل الرؤية الإسلامية التي تجعل الإنسان عبداً لله وسيداً في الكون، تروج العولمة للنزعة الإنسانية (Humanism) التي تجعل من الإنسان ذاته محور الكون ومركزه المطلق (الفردانية والذاتية)، وفي هذا الصدد، يرى د. محمد سعيد رمضان البوطي أن "العولمة تروج للنزعة الإنسانية العلمانية التي تجعل من الإنسان محور الكون ومركزه، وتقلل من دور الله تعالى في حياة الإنسان، مما يؤثر في عقيدة الألوهية لدى المسلمين، ويضعف شعورهم بالعبودية لله تعالى" (104)
- **خطر "الحلولية" والتأثير على عقيدة التنزيه:** من أعمق التأثيرات الفلسفية للعولمة تسريب مفهوم "الحلولية وحدة الوجود المادية"، والتي تلغي مباينة الخالق للمخلوق؛ يوضح د. عبد الوهاب المسيري هذا المفهوم قائلاً: "الحلولية هي المذهب القائل بأن العالم كلُّ واحد متماسك بشكل عضوي..، ويذهب مذهب الحلول إلى أن كل ما في الكون (الإله والإنسان والطبيعة) مكوّن من جوهر واحد... المبدأ الواحد المنظم للكون ليس مفارقاً أو متجاوزاً له أو منزهاً عنه، وإنما كامن حالّ فيه"، ويضيف مبيناً خطورتها: "ولأن الكون كله مكون من جوهر واحد، يُنكر هذا المذهب وجود الحيز الإنساني المستقل..، وينكر أي اختلاف بين الإنسان والطبيعة (المادة)" (105) هذا التصور يضرب صميم عقيدة التنزيه والربوبية في الإسلام.
- **نشر الشبهات حول الأسماء والصفات والأفعال:** تستغل العولمة منصاتها الإعلامية والتكنولوجية المفتوحة لبث الشبهات التي تستهدف أفعال الله تعالى (كقضية الشر والقدر)، وتشكك في صفاته سبحانه، مما يولد ارتباكاً عقدياً لدى المتلقي المسلم الذي يفتقر إلى التحصين الكافي.

2.2.2. التأثير في مجال الإيمان بالرسل والكتب السماوية

يمثل الإيمان بالرسل والكتب السماوية الركنين الثالث والرابع من أركان العقيدة الإسلامية، ويشمل ذلك التصديق الجازم بجميع الرسل والكتب التي أنزلها الله تعالى لهداية البشرية، والإيمان بخاتم

(104) البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، 78.

(105) علي، "بعض مفاهيم العولمة والحداثة.. رؤية د. عبد الوهاب المسيري".

الأنبياء محمد ﷺ، وبأن القرآن الكريم هو كلام الله المعجز المحفوظ، وتستهدف العولمة، بآلتها الفكرية والإعلامية، هذين الرقمنين لقطع صلة الإنسان بالوحي الإلهي، وذلك من خلال المسارات التالية:

- **نشر الشبهات حول النبوة والرسالة:** تسعى العولمة إلى توظيف وسائل الإعلام والاتصال المفتوحة لبث الشبهات المستمرة حول مفهوم النبوة بشكل عام، ونبوة محمد ﷺ بشكل خاص، ويحذر الدكتور محمد عمارة من هذا الاستهداف الممنهج قائلاً: "من أخطر آثار العولمة على العقيدة الإسلامية نشر الشبهات حول النبوة والرسالة، وخاصة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، من خلال وسائل الإعلام والاتصال المختلفة، مما يؤثر في عقيدة النبوة لدى المسلمين، ويزعزع يقينهم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة رسالته"⁽¹⁰⁶⁾
- **التشكيك في مصداقية القرآن الكريم (المنهج النقدي التاريخي):** تروج العولمة لتبني المناهج الغربية في قراءة النصوص المقدسة، مثل "الدراسات النقدية" التي تشكك في المصدر الإلهي للقرآن الكريم.

يبرز ذلك بوضوح في ترويج العولمة لمنهج "القراءة التاريخية للقرآن" (أو النقد التاريخي)، وهو منهج استشراقي وحدائي يتعامل مع القرآن الكريم ليس بوصفه حياً إلهياً مطلقاً، بل كـ "منتج ثقافي وتاريخي" بشري، متأثر بالبيئة المحيطة والتقاليد اليهودية والمسيحية السابقة؛ إن هذا الطرح يهدف إلى نزع القداسة عن النص القرآني، والتشكيك في حفظه، وتحويل أحكامه إلى مجرد نصوص تاريخية منتهية الصلاحية، مما يضرب عقيدة الوحي في الصميم.

- **تقديم تفسيرات مادية ونفسية للمعجزات:** تنطلق العولمة من رؤية مادية تنكر الغيب (الماورائيات)، ولذلك، تعتمد إلى تفريغ "المعجزة" من طابعها الخارق للعادة، محاولة تقديم تفسيرات مادية، علمية، أو حتى نفسية (باراسيكولوجية) لها، إن هذا التوجه يسلب المعجزة دلالتها العقدية كبرهان إلهي على صدق الأنبياء، ويحجمها في إطار الظواهر الطبيعية القابلة للتحليل البشري المادي.

(106) محمد عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام (القاهرة: نهضة مصر، 2004)، 56.

• الترويج لـ "النسبية الدينية" وضرب عقيدة الخاتمية: من أخطر الإفرازات الفكرية للعولمة نشر مفهوم "النسبية الدينية"، والذي يقوم على فكرة أن جميع الأديان (السماوية والوضعية) متساوية في الصحة والصدق، وأنها مجرد "تعبيرات ثقافية وتجارب روحية" مختلفة تقود جميعها إلى الحقيقة المطلقة.

هذا المفهوم يهدم صلب العقيدة الإسلامية، وفي هذا السياق، يقرر الشيخ محمد الغزالي أن "العولمة تروج للنسبية الدينية، التي ترى أن جميع الأديان متساوية في الصحة والصدق، وأنها مجرد تعبيرات ثقافية مختلفة عن الحقيقة الدينية الواحدة، مما يؤثر في عقيدة خاتمية رسالة الإسلام لدى المسلمين، ويضعف شعورهم بتميز الإسلام وتفردته" (107).

2.2.3. التأثير في مجال الإيمان باليوم الآخر

يمثل الإيمان باليوم الآخر الركن الخامس من أركان العقيدة الإسلامية، وهو ركن محوري يشمل التصديق الجازم بالبعث، والحساب، والجنة، والنار؛ وتتجلى خطورة العولمة في هذا المجال في سعيها الحثيث لقطع صلة الإنسان بالآخرة، وحصر غاياته وتطلعاته في النطاق الدنيوي المادي البحت، وذلك عبر المسارات التالية:

• إنكار الحياة الآخرة عبر الفلسفات المادية: تروج العولمة لتيارات وفلسفات مادية تقصر الوجود الإنساني على الحياة الدنيا، وتنفي فكرة البعث وما وراء الطبيعة؛ ويحذر الدكتور عمر سليمان الأشقر من هذا التوجه المدمر قائلاً: "من أخطر آثار العولمة على العقيدة الإسلامية نشر الفلسفات المادية التي تنكر الحياة الآخرة، وترى أن الحياة الدنيا هي كل شيء، مما يؤثر في عقيدة البعث لدى المسلمين، ويضعف شعورهم بالمسؤولية أمام الله تعالى" (108).

• تكريس النزعة الاستهلاكية كغاية للوجود: تعمل العولمة على إغراق المجتمعات في النزعة الاستهلاكية والمادية، محوِّلة المتعة والمنفعة الآتية إلى غاية نهائية للحياة؛ هذا الانغماس يُضعف الحضور القلبي لليوم الآخر؛ وفي هذا المعنى، يقرر الشيخ محمد متولي الشعراوي أن "العولمة تروج للنزعة الاستهلاكية والمادية، التي تجعل من المتعة والمنفعة

(107) الغزالي، عقيدة المسلم، 89.

(108) عمر سليمان الأشقر، العقيدة في الله (عمان: دار النفائس، 1999)، 67.

المادية غاية الحياة، مما يضعف الإيمان باليوم الآخر لدى المسلمين، ويجعلهم يعيشون للدنيا فقط، ويغفلون عن الآخرة" (109)

- **التشكيك في عدالة الجزاء الأخروي:** تلجأ الآلة الفكرية العولمية إلى بث الشبهات حول مفاهيم الثواب والعقاب، وتثير التساؤلات حول "عدالة الجزاء الأخروي"، لا سيما فيما يتعلق بقضية العذاب الأبدي في النار؛ إن هذا التشكيك يهدف إلى تقويض اليقين في حكمة الله وعدله، مما يضرب عقيدة الجنة والنار في نفوس المسلمين.
- **إحلال "الفلسفات الوجودية" بدلاً عن الغاية الإلهية:** تتصادم العولمة مع الغاية الأخروية للخلق (الغائية الإسلامية) من خلال الترويج للفلسفات "الوجودية" العنثية؛ تقوم هذه الفلسفات على فكرة أنه لا يوجد معنى موضوعي أو غاية نهائية خُلق من أجلها الإنسان، وأن الفرد هو من يخلق معنى حياته بنفسه انطلاقاً من العدم؛ هذا الطرح ينسف تماماً عقيدة "الغاية من الخلق" ومبدأ الاستعداد للعرض على الله يوم القيامة.

2.2.4. التأثير في مجال الإيمان بالقضاء والقدر

يمثل الإيمان بالقضاء والقدر الركن السادس والأخير من أركان العقيدة الإسلامية، وهو ركن يبعث في نفس المسلم الطمأنينة واليقين، حيث يشمل الإيمان الجازم بعلم الله تعالى المحيط، وكتابته للمقادير، ومشينته النافذة، وخلقته لكل شيء، وتتجلى خطورة العولمة في هذا المجال في محاولتها تفرغ هذا الركن من محتواه عبر عدة مسارات فكرية وفلسفية تهدف إلى إرباك العقل المسلم، ومن أبرزها:

- **نشر "الفلسفات الحتمية المادية" وإنكار التدبير الإلهي:** تروج العولمة لفلسفات مادية حتمية ترى أن الكون مجرد آلة صماء تعمل وفق قوانين مادية فيزيائية صارمة، مستبعدةً بذلك أي تدخل للقدرة أو المشيئة الإلهية، ويُشخص الدكتور يوسف القرضاوي هذا الخطر بوضوح قائلاً: "من أخطر آثار العولمة على العقيدة الإسلامية نشر الفلسفات الحتمية المادية، التي ترى أن كل شيء في الكون محكوم بقوانين مادية صارمة، وتنفي دور الله

(109) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (القاهرة: أخبار اليوم، 1991)، 45/1.

تعالى في تدبير الكون، مما يؤثر في عقيدة القضاء والقدر لدى المسلمين، ويضعف شعورهم بتدبير الله تعالى للكون والحياة"⁽¹¹⁰⁾

- **تعزيز النزعة العقلانية المتطرفة:** تعمد العولمة إلى تضخيم دور "العقل البشري" ليصبح المرجعية المطلقة والوحيدة للمعرفة والحكم على الأشياء (العقلانية المتطرفة)؛ وهذا المنهج ينفي دور الوحي في فهم حقائق الكون الماورائية، ويؤدي إلى رفض المسلمات الغيبية التي لا يدركها العقل المحدود؛ مما ينعكس سلباً على فهم المسلمين واستسلامهم لقضايا القضاء والقدر التي تبنى في أساسها على التسليم لحكمة الخالق.
- **ترويج "الفلسفات الوجودية" والحرية المطلقة:** في مقابل الحتمية المادية تبرز الفلسفة الوجودية كأداة أخرى للعولمة لضرب مفهوم القدر؛ حيث تدعي هذه الفلسفة أن الإنسان حرٌّ حريّة مطلقة في اختياراته وأفعاله، وأنه لا يخضع لأي قدر مسبق أو إرادة عليا، ويشير العلامة عبد الله بن بيه إلى أثر ذلك مبيناً أن "العولمة تروج للفلسفات الوجودية التي ترى أن الإنسان حر تماماً في اختياراته وأفعاله، وأنه لا يخضع لأي قدر مسبق، مما يؤثر في فهم المسلمين للعلاقة بين القدر وحرية الإنسان، ويخلق نوعاً من الارتباك في فهمهم لهذه القضية المعقدة"⁽¹¹¹⁾.
- **التشكيك في عدالة القدر (معضلة الشر والألم):** تستثمر الآلة العولمية في إثارة الشبهات الفلسفية القديمة وتجديدها، وعلى رأسها ما يُعرف بـ "معضلة الشر" حيث يتم التركيز على وجود الشر، والحروب، والألم، والكوارث في العالم، واستغلال ذلك للتشكيك في عدالة القدر الإلهي؛ هذا الطرح يهدف إلى ضرب ثقة المسلم في حكمة الله تعالى وعدله ورحمته، وهي صفات لا ينفصل الإيمان بها عن الإيمان بالقضاء والقدر.

2.3. نماذج من تأثيرات العولمة على العقيدة الإسلامية في الواقع المعاصر

لفهم تأثيرات العولمة على العقيدة الإسلامية بشكل أعمق، وتجاوز حدود التنظير المجرد إلى رصد الواقع العملي؛ لا بد من دراسة نماذج واقعية ولموسة تعكس هذه التأثيرات في المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

⁽¹¹⁰⁾ يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة (القاهرة: مكتبة وهبة، 1990)، 78.

⁽¹¹¹⁾ بن بيه، صناعة الفتوى وفقه الأقليات، 56.

ولكن، وقبل استعراض هذه النماذج، يجدر التأكيد على أن رصد التأثيرات العولمية يجب ألا يقود إلى التفوق أو "الرفض العاطفي" المطلق، بل يجب أن يُؤسس لآلية تعامل منهجية تقوم على "الاستيعاب النقدي" للوافد الغربي.

وفي هذا السياق، يبرز طرح "إسلامية المعرفة" كأداة منهجية حيوية لفرز معطيات العولمة والتعامل معها، حيث يقرر الدكتور طه جابر العلواني هذا المبدأ بوضوح قائلاً: "قضية إسلامية المعرفة إذن قضية منهجية..، وتتضح أفكارها ومعالمها المنهجية في إطار محاور ستة... [منها]:
مناهج التعامل مع التراث الإنساني والتراث الغربي منه على وجه الخصوص" (112)

وانطلاقاً من هذه الرؤية المنهجية النقدية التي تزن الأمور بميزان العقيدة، نستعرض فيما يلي أبرز النماذج الواقعية لتأثيرات العولمة على المجتمعات الإسلامية المعاصرة:

2.3.1. نموذج التأثير في المجتمعات العربية

تشهد المجتمعات العربية تنوعاً وعمقاً في تأثيرات العولمة على بنيتها العقدية والاجتماعية، ولا يمكن فصل هذه التأثيرات عن الطبيعة الأيديولوجية للعولمة؛ إذ "إن الأيديولوجية من أهم مكونات تعريف العولمة، والعولمة تتوافق مع أيديولوجية الليبرالية الجديدة" (113) وقد انعكس هذا التوافق على الواقع المعاصر للمجتمعات العربية من خلال عدة مسارات ونماذج ملموسة، أبرزها:

- انتشار التيارات الفكرية العلمانية والليبرالية: تشهد الساحة العربية تمدداً ملحوظاً للتيارات الفكرية التي تدعو إلى فصل الدين عن الدولة والحياة العامة، مما يضرب جذور شمولية العقيدة الإسلامية، ويصف الدكتور محمد عمارة هذا الأثر قائلاً: "تشهد المجتمعات العربية انتشاراً متزايداً للتيارات الفكرية العلمانية والليبرالية، التي تدعو إلى فصل الدين عن الدولة والحياة العامة، مما يؤثر في فهم المسلمين لشمولية العقيدة الإسلامية، ويحصر الدين في الجانب الروحي والشعائري فقط" (114)

(112) طه جابر العلواني، *إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم* (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996)،

فصل: المحاور الستة لإسلامية المعرفة.

(113) فيك - بول، *العولمة والرعاية الإنسانية*، 35.

(114) محمد عمارة، *الإسلام والسياسة* (القاهرة: دار الشروق، 2005)، 89.

• **تراجع دور المؤسسات الدينية أمام الفضاء المفتوح:** تعاني المؤسسات الدينية التقليدية (كالأزهر، ودار الإفتاء، ووزارات الأوقاف) من تراجع في تأثيرها المباشر، مقابل تغوّل وتنامي دور وسائل الإعلام والاتصال الحديثة التي باتت تشكل الوعي الديني للشباب هذا التحول خلق أزمة في المرجعية، وهو ما يؤكد الدكتور طه جابر العلواني بقوله إن هذا التراجع "يؤدي إلى نوع من الفوضى المعرفية والمرجعية، مما يؤثر في وحدة العقيدة الإسلامية وتماسكها"⁽¹¹⁵⁾

• **ظهور تفسيرات حديثة للنصوص الدينية (المناهج النقدية الغربية):** أفرزت العولمة محاولات لإعادة قراءة التراث الإسلامي وتفسير النصوص الدينية وفق المناهج النقدية الغربية، مما يؤثر في استقرار الفهم العقدي والتشريعي.

يظهر ذلك بوضوح في الدعوات المعاصرة لما يُسمى بـ "القراءة التاريخية للنصوص الشرعية" (التاريخانية)، حيث يتم تأويل آيات الموارد، أو أحكام الأسرة، أو الحجاب، باعتبارها مجرد "عادات سياقية" ارتبطت بالبيئة العربية القديمة ولا تصلح للعصر الحالي، مما يفرغ النص القرآني من صفته التشريعية الأبدية، ويخضعه لمعايير الثقافة الغربية الغالبة.

• **تنامي ظاهرة "التدين الشكلي" أو الاستهلاكي:** أثرت النزعة المادية للعولمة على طبيعة التدين؛ فظهر نمط من "التدين الشكلي" الذي يركز على المظاهر والطقوس المجردة، دون أن يكون له انعكاس حقيقي على الجوهر، والقيم، والأخلاق التزكوية، مما يسطح عمق العقيدة ويضعف فاعليتها الحضارية في حياة المسلم.

• **تفكيك الروابط الاجتماعية (واستهداف الأسرة كنواة عقديّة):** تروج العولمة للنزعة الفردية التي تفكك الروابط الاجتماعية والأسرية، وفي مواجهة هذا التأثير السلبي، يبرز الحفاظ على كيان الأسرة ليس فقط كشأن اجتماعي، بل كـ "ضرورة عقديّة" وحضارية، ويؤصل العلامة محمد الطاهر بن عاشور لهذا المعنى مؤكداً أن: "العائلة هي الخلية الأولى للمجتمع، وبصلاحها يصلح المجتمع..، وقد أحاط الإسلام الأسرة بسياج من الأحكام التي تضمن تماسكها، وجعل رابطة النسب والمصاهرة من أقوى الروابط.."

⁽¹¹⁵⁾ العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، 1995، 67.

فالنظام الاجتماعي في الإسلام لا يستقيم إلا بسلامة العائلة، لأنها المدرسة الأولى التي يتلقى فيها الفرد أخلاقه وعقيدته"⁽¹¹⁶⁾.

2.3.2. نموذج التأثير في المجتمعات الإسلامية غير العربية

تشهد المجتمعات الإسلامية الكبرى غير العربية (مثل: تركيا، إيران، ماليزيا، وإندونيسيا) تفاعلاً مركباً مع تيارات العولمة؛ حيث تندمج التأثيرات العولمية الوافدة مع الموروثات الثقافية والتاريخية العميقة لهذه الشعوب، وقد أفرز هذا التفاعل تأثيرات متنوعة على فهم العقيدة الإسلامية وممارستها، تختلف في بعض جوانبها عن السياق العربي، ومن أبرزها:

• **تنامي ظاهرة "الإسلام المحلي" والتثاقف:** أدت أدوات التواصل العولمية إلى تفاعل متسارع بين النص الديني والسياقات المحلية، مما عزز بروز ما يُعرف بـ "الإسلام المحلي" الذي يتلون بثقافة وتقاليد الشعوب؛ وينتج عن ذلك أشكال متنوعة من التدين والممارسة تختلف في بعض مظهراتها عن النموذج العربي التقليدي؛ ويقرأ المفكر محمد أركون هذه الظاهرة من زاوية إيجابية قائلاً: "تشهد المجتمعات الإسلامية غير العربية تنامياً لظاهرة الإسلام المحلي الذي يتأثر بالثقافات والتقاليد المحلية، مما يؤدي إلى تنوع في فهم العقيدة الإسلامية وممارستها، وهذا يعكس مرونة الإسلام وقدرته على التكيف مع السياقات الثقافية المختلفة"⁽¹¹⁷⁾

• **ظهور حركات التجديد الديني وإعادة قراءة التراث:** في مواجهة التحديات الفكرية المتسارعة التي تفرضها العولمة، برزت في هذه المجتمعات حركات تجديدية فاعلة تسعى إلى إعادة قراءة التراث الإسلامي وتأويله في ضوء المتغيرات المعاصرة، ورغم أهمية هذا الحراك الفكري، إلا أنه محفوف بمخاطر التأويل المنفلت، وفي هذا السياق ينبه المفكر عبد الكريم سروش إلى أن "ظهور حركات التجديد الديني في المجتمعات الإسلامية غير العربية يعكس حيوية الفكر الإسلامي وقدرته على التجدد والتطور، لكنه يتطلب ضوابط منهجية وأصولية، لضمان عدم الانحراف عن جوهر العقيدة الإسلامية"⁽¹¹⁸⁾

⁽¹¹⁶⁾ ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، فصل: نظام العائلة.

⁽¹¹⁷⁾ محمد أركون، الفكر الإسلامي: قراءة علمية (بيروت: مركز الإنماء القومي، 1996)، 45.

⁽¹¹⁸⁾ عبد الكريم سروش، القبض والبسط في الشريعة، ترجمة دلال عباس (بيروت: دار الجديد، 2002)، 78.

- تنامي ظاهرة "الإسلام السياسي" بمقاربات إقليمية: كرد فعل على التمدد العلماني للعولمة، أو كمحاولة لتقديم نموذج إسلامي موازٍ تشهد هذه المجتمعات حضوراً قوياً لظاهرة "الإسلام السياسي" الذي يسعى إلى تأكيد مرجعية العقيدة الإسلامية في المجال السياسي وإدارة الدولة، وتتخذ هذه الحركات مقاربات تتأثر بطبيعة النظام السياسي المحلي ومدى اندماجه أو تصادمه مع النظام العالمي، مما يعيد تشكيل فهم المسلمين لعلاقة العقيدة بالسياسة والشأن العام.

2.3.3. نموذج التأثير في المجتمعات الإسلامية في الغرب

تشهد المجتمعات الإسلامية التي تعيش في الغرب (أوروبا وأمريكا) تأثيرات عميقة ومزدوجة للعولمة على بنائها العقدي والاجتماعي، وتبرز خصوصية هذا النموذج في كون هذه الأقليات تعيش داخل المركز المصدّر لقيم العولمة، مما يفرض عليها تحديات غير مسبقة تتمثل في المحاور التالية:

- **تحديات الهوية والاندماج (بين الذوبان العولمي والتمايز العقدي):** تواجه المجتمعات الإسلامية في الغرب ضغوطاً هائلة للذوبان في مفهوم "المواطنة العالمية المطلقة" التي تلغي الفوارق العقدية، وفي هذا السياق يوضح الدكتور طارق رمضان أن هذه الأقليات "تواجه تحديات الهوية والاندماج التي تؤثر في فهمهم للعقيدة الإسلامية وممارستهم لها في سياق مجتمعي مختلف، وهذا يتطلب منهم إعادة قراءة التراث الإسلامي في ضوء السياق الغربي مع الحفاظ على جوهر العقيدة الإسلامية"⁽¹¹⁹⁾

ولضبط هذا "الجوهر العقدي" ضد الذوبان، تبرز عقيدة (الولاء والبراء) كحجر زاوية لحفظ الهوية؛ حيث تقرر المراجع المعيارية للعقيدة أن "من مقتضيات كلمة التوحيد، ولوازمها: الولاء والبراء... فأیما عبد تخلى عن هذا الأصل العظيم فقد تخلى عن العمل بمقتضى: لا إله إلا الله"⁽¹²⁰⁾

⁽¹¹⁹⁾ طارق رمضان، المسلمون في الغرب (الرياض: مكتبة العبيكان، 2004)، 56.

⁽¹²⁰⁾ نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، الباب الثالث: مسائل متفرقة / الفصل الثاني:

الولاء والبراء.

غير أن هذا التمايز العقدي لا يعني الانعزال؛ وهنا يقدم العلامة محمد الطاهر بن عاشور مقاربة مقاصدية توازن بين "الهوية" و"الانفتاح"، مبيناً أن "الجامعة الإسلامية (الأخوة في الدين) لا تلغي الجامعة البشرية (الأخوة في الإنسانية) ... فالإسلام قرر مبدأ الأخوة بين المسلمين لشد أزهم، لكنه لم يهمل حقوق الإنسانية العامة، فأمر بالعدل والإحسان مع المخالفين... فالرابطة الإسلامية هي الرابطة الخاصة، والرابطة الإنسانية هي الرابطة العامة" (121) يقدم هذا الطرح نموذجاً متوازناً يرفض الذوبان ويرفض الانعزال في آن واحد.

- **ظهور "فقه الأقليات" كاستجابة منهجية:** أفرزت تحديات العولمة في المهجر ضرورة تأسيس ما عُرف بـ "فقه الأقليات"، والذي يسعى لتنزيل الأحكام العقدية والشرعية على واقع المسلم الغربي، وعن هذا التطور، يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "ظهور فقه الأقليات في المجتمعات الإسلامية في الغرب يعكس مرونة الشريعة الإسلامية وقدرتها على التكيف مع السياقات المختلفة، لكنه يتطلب ضوابط شرعية ومقاصدية، لضمان عدم الانحراف عن جوهر العقيدة الإسلامية" (122)
- **تأثر الشباب المسلم بالثقافة الغربية:** يتعرض الشباب المسلم لضخ ثقافي غربي مكثف، مما يؤدي إلى ظهور أشكال هجينة وجديدة من التدين الإسلامي، تحاول التوفيق بين مسلمات العقيدة الإسلامية وبين القيم الغربية السائدة (كالفرديانية والحرية الشخصية)، وهو ما قد يفرز في بعض الأحيان تميعاً في المفاهيم العقدية القطعية.
- **تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا (رهاب الإسلام):** في مقابل دعوات الانفتاح العولمي، تتصاعد في الغرب ظاهرة "الإسلاموفوبيا" كعنصرية مضادة. هذا التناقض يؤثر بشدة على الحالة النفسية للمسلمين هناك، وينعكس على نظرتهم إلى عقيدتهم (إما بالتمسك الشديد بها كرد فعل دفاعي، أو بالانسحاب ومحاولة إخفاء الهوية لتجنب الصدام)، مما يعقد من علاقتهم بالمجتمع الغربي الحاضر.

(121) ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، فصل: الجامعة الإسلامية والجامعة البشرية.

(122) يوسف القرضاوي، في فقه الأقليات المسلمة (القاهرة: دار الشروق، 2001)، 89.

2.4. خلاصة الباب

تكشف مضامين هذا الباب عن طبيعة العلاقة المعقدة والمتشابكة بين العولمة والعقيدة الإسلامية؛ فهي ليست مجرد احتكاك عابر، بل تفاعل وصراع يمتد ليلاصم كافة قطاعات العقيدة وأركانها، بدءاً من الإيمان بالله تعالى وتنزيهه عن المادية والحلولية، مروراً بالإيمان بالرسول والكتب في وجه دعوات التشكيك والنسبية، وصولاً إلى الإيمان باليوم الآخر والقضاء والقدر في مواجهة الفلسفات العبثية والوجودية.

وقد تبين لنا أن العولمة لتحقيق اختراقها لا تعتمد على أداة واحدة، بل توظف شبكة متكاملة من الآليات المترابطة:

- آليات فكرية ومعرفية: لتفكيك المسلمات العقيدية وإحلال النموذج المعرفي المادي.
- آليات ثقافية واجتماعية: لفرض النزعة الاستهلاكية والفردانية وتفكيك نواة الأسرة.
- آليات إعلامية وتكنولوجية: لاختطاف "الإدراك" وتسطيح الوعي وبناء نماذج قدوة بديلة.
- آليات اقتصادية وسياسية: لتكريس "تسلع العالم" وفرض الهيمنة الأيديولوجية والسياسية (الأمركة).

وقد أثبت استعراض النماذج الواقعية أن مسارات هذا التأثير ليست نمطية، بل تتباين بشدة باختلاف السياقات السوسولوجية والثقافية. فالتحديات التي تواجه المجتمعات العربية المعاصرة (كاتساع العلمنة وتراجع دور المؤسسات التقليدية)، تختلف في مظهراتها عن تلك التي تشهدها المجتمعات الإسلامية الكبرى غير العربية (كظهور الإسلام المحلي ومحاولات التجديد)، وتختلف جذرياً عن التحديات الوجودية المركبة التي تواجه الأقليات المسلمة في الغرب (كصراع الهوية، والاندماج، وصياغة فقه الأقليات).

تأسيس للمرحلة القادمة: ختاماً، فإن مواجهة هذا السيل العولمي لا تتحقق بالتفوق أو الرفض العاطفي المجرد، بل تتطلب وعياً منهجياً عميقاً بطبيعة العولمة وأدواتها الخفية والمعلنة، وفهماً دقيقاً ومقاصدياً لمرتكزات العقيدة الإسلامية كما تستوجب امتلاك عقلية نقدية (كالتنادي بها إسلامية المعرفة) قادرة على الفرز الدقيق؛ لاستيعاب واستثمار الوجه الإيجابي المشترك للعولمة، مع بناء حائط صد فكري ومجتمعي منيع أمام إفرازاتها السلبية الهدامة.

3. الباب الثالث: جوانب التأثير الاعتقادي للمجتمع المسلم بالعولمة وسبل التعافي

3.1. جوانب التأثير الاعتقادي للمجتمع المسلم بالعولمة.

3.1.1. التأثيرات الإيجابية للعولمة على العقيدة الإسلامية

يهدف هذا الباب إلى تسليط الضوء على الوجه الآخر للعولمة، والمتمثل في التأثيرات الإيجابية والفرص التي تتيحها لخدمة العقيدة الإسلامية، ويستند هذا التحليل إلى فهم عميق لطبيعة العولمة وأبعادها التقنية المفتوحة، وكذلك لطبيعة العقيدة الإسلامية وخصائصها العالمية المميزة، سعياً لتقييم نتائج هذا التفاعل على المستويين النظري والعملي.

3.1.1.1. الفرص التي أتاحتها العولمة لنشر العقيدة الإسلامية (الآفاق الحضارية)

لا يقتصر وجه العولمة على التهديدات الثقافية فحسب، بل إنها تمثل في جوهرها فرصة تاريخية استثنائية لتقديم الإسلام كبديل حضاري عالمي، لا سيما في ظل أزمة القيم والسيولة الأخلاقية التي تشهدها المجتمعات الغربية، وفي هذا السياق يرى الفيلسوف روجيه غارودي أن الإسلام يمثل "دين المستقبل" القادر على ملء الفراغ الروحي، مؤكداً أن:

"الإسلام ليس مجرد ديانة بين الديانات، بل هو (مشروع حضاري) يمتلك القدرة على إنقاذ البشرية من انتحارها المادي؛ إن وعود الإسلام تكمن في قدرته على الربط بين العلم والقيم، وبين الفرد والجماعة، في توازن افتقدته الحضارة الغربية المعاصرة" (123).

أولاً: عالمية الرسالة وتناغمها مع الفطرة الإنسانية

قبل استعراض الأدوات والوسائل، يتعين إدراك طبيعة "الرسالة" الجوهرية التي يحملها الإسلام، والتي تجعل من فضاء العولمة منصة مثالية لبثها؛ حيث تتسم العقيدة الإسلامية بـ "الربانية" التي تتسق تماماً مع الفطرة البشرية وتلبي احتياجاتها الوجودية.

وقد أصل الدكتور يوسف القرضاوي لهذا التلازم بين الربانية والإنسانية، مبيناً أن غاية المجتمع المسلم هي تحقيق سعادة الإنسان وفوزه، حيث يرى أن:

(123) روجيه غارودي، وعود الإسلام، ترجمة ذوقان قرقوط (بيروت - القاهرة: دار الرقي - مكتبة مدبولي،

"المعاني الربانية التي توجه المسلم، من الإيمان والتوحيد والإنابة... هي في حقيقتها معانٍ إنسانية؛ لأنها جزء من كيان الإنسان كما فطره الله، وفكرة الإسلام: أن الإنسان لا يستطيع أن يكون ربانياً حقاً دون أن يكون إنسانياً، كما لا يستطيع أن يكون إنسانياً حقاً دون أن يكون ربانياً" (124).

إن هذه النزعة الإنسانية العالمية الكامنة في صلب العقيدة وجدت في آليات العولمة - رغم تحدياتها - فضاءً رحباً للانتشار العابر للحدود، محولةً العالم من جزر معزولة إلى ساحة مفتوحة للتدافع القيمي والبناء الحضاري.

ثانياً: وسائل الاتصال الحديثة كممكنات لنشر العقيدة

لقد أزاحت العولمة التقنية الحواجز الجغرافية والسياسية التي كانت تحول دون وصول "الكلمة"؛ مما مكن الخطاب الإسلامي من الانتقال من المحلية إلى "الكونية" وتتمثل هذه الفرصة في تحويل وسائل الاتصال الحديثة من مجرد أدوات تقنية إلى "وسائط دعوية" قادرة على:

- مخاطبة الآخر بلسانه وثقافته (تجسيماً لعموم الرسالة).
- تقديم الصورة الصحيحة للعقيدة وتصحيح الصور النمطية المشوهة.
- إتاحة المراجع الفقهية والعقدية للباحثين عن الحق في كل بقاع الأرض.

3.1.1.1.1 وسائل الاتصال الحديثة ونشر العقيدة الإسلامية

تمثل وسائل الاتصال الحديثة، التي تعد من أبرز إفرزات العولمة التقنية، فرصة ذهبية لنشر العقيدة الإسلامية على نطاق عالمي غير مسبوق، وتتجلى هذه الفرصة في عدة جوانب عملية:

- **الوصول إلى جمهور عالمي وتجاوز الحدود:** توفر شبكة الإنترنت إمكانية الوصول إلى جمهور واسع يتجاوز الحدود الجغرافية والسياسية، مما يتيح إيصال رسالة التوحيد إلى مناطق لم تكن متاحة من قبل، وفي هذا الصدد، يؤكد الدكتور يوسف القرضاوي أن: "وسائل الاتصال الحديثة نعمة من نعم الله تعالى، يجب على المسلمين استثمارها في نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة، والرد على الشبهات المثارة حولها، وقد أتاحت هذه الوسائل

(124) القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، 65.

فرصاً غير مسبوقه للوصول إلى الناس في مشارق الأرض ومغاربها، بتكلفة زهيدة وجهد قليل، مقارنة بالوسائل التقليدية " (125).

- **التواصل المباشر وتجاوز التشويه الإعلامي:** أتاحت وسائل التواصل الاجتماعي للمنصات الدعوية والمؤسسات الإسلامية فرصة التواصل المباشر مع الجمهور دون الحاجة إلى وسطاء، وهذا يضمن تقديم العقيدة بصورتها النقية، وهو ما يشير إليه العلامة عبد الله بن بيه موضحاً أن "وسائل الاتصال الحديثة أتاحت للعلماء والدعاة فرصة التواصل المباشر مع الجمهور دون الحاجة إلى وسطاء، مما يسمح بتقديم العقيدة الإسلامية بصورتها الصحيحة بعيداً عن التشويه والتحريف الذي قد يمارسه بعض وسائل الإعلام التقليدية" (126).
- **كسر الحواجز الرقابية:** تسمح هذه الوسائل بتجاوز الحواجز الرقابية الصارمة التي قد تفرضها بعض الأنظمة، أو الدول المناهضة للدين مما يتيح للأقليات والباحثين عن الحق الوصول إلى المصادر الإسلامية الأصيلة في بيئات كانت مغلقة تماماً.
- **تنوع أشكال المحتوى وجاذبيته:** تتيح التكنولوجيا الرقمية تنوعاً هائلاً في قوالب العرض (نصوص تفاعلية، تصاميم مرئية، مقاطع فيديو، توينات صوتية "بودكاست") مما يسمح بتقديم مفاهيم العقيدة الإسلامية بأساليب عصرية تناسب مختلف الفئات العمرية، والثقافات، والأنماط الإدراكية للمتلقين حول العالم.

3.1.1.1.2 الانفتاح الثقافي وتعزيز الحوار بين الأديان

أدت العولمة من خلال كسرها للحواجز الجغرافية والاتصالية إلى تعزيز حالة من الانفتاح الثقافي المتسارع، ورغم التحديات التي تفرضها هذه الحالة إلا أنها أتاحت فرصاً استثنائية لتقديم العقيدة الإسلامية ليس بوصفها إرثاً محلياً، بل كرسالة عالمية تخاطب المشترك الإنساني.

(125) القرضاوي، المسلمون والعولمة، 2000، 120.

(126) بن بيه، صناعة الفتوى وفقه الأقليات، 145.

أولاً: التأسيس المفاهيمي (العالمية المبنية على الفطرة مقابل العولمة القسرية)

لنجاح استثمار هذا الانفتاح لا بد من إبراز الفارق الجوهرى بين "العولمة" (التي تسعى لفرض نموذج ثقافى مادى واحد قسراً) وبين "عالمية الإسلام" (التي تخاطب الفطرة الإنسانية المشتركة مع احترام التنوع).

يؤصل العلامة محمد الطاهر بن عاشور لهذا الفارق، والذي يمثل حجر الزاوية فى نجاح الانفتاح الإسلامى، قائلاً: "إن الإسلام جاء شريعة عامة لجميع البشر..، ولما كان الإسلام عاماً وجب أن يكون مؤسساً على أصول تتساوى فى قبولها سائر الأمم، وهى أصول الفطرة... فالفطرة هى النظام الذى أوجد الله عليه الإنسان لتصدر عنه أعماله من الجبلة والعقل..، ومعنى كون الإسلام دين الفطرة: أنه لا يأمر ولا ينهى إلا بما تقبله الفطرة السليمة ولا تمجه" (127)

هذه الفطرة العالمية تجسدت واقعياً وعملياً فى القدوة؛ فكما يوضح الدكتور يوسف القرضاوى، فإن من سمات هذا الدين أنه فُدم عبر نموذج بشرى يسهل تواصل الثقافات معه: "وإذا نظرنا إلى الشخص الذى جسد الله فيه الإسلام، وجعله مثلاً حياً لتعاليمه، وكان خلقه القرآن - نستطيع أن نصفه بأنه (الرسول الإنسان)، وسيرته ليست سيرة إله، ولا بعض إله، ولا ملاك متجرد من اللحم والدم، بل هى سيرة النبى الإنسان... بمثل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: 110]" (128).

ثانياً: مجالات استثمار الانفتاح الثقافى العولمى

تأسيساً على عالمية الفطرة والنموذج الإنسانى للرسالة، تتجلى فرص العولمة فى الانفتاح الثقافى عبر المسارات التالية:

- تعزيز وتوجيه الحوار بين الأديان: أسهمت العولمة فى تكثيف المؤتمرات والمنتديات العالمية، مما أتاح منصات لتقديم العقيدة الإسلامية بصورتها الصحيحة، ويؤكد الدكتور

(127) ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعى فى الإسلام، فصل: خصائص النظام الاجتماعى فى الإسلام-مبحث الفطرة.

(128) القرضاوى، الخصائص العامة للإسلام، 75.

محمد سعيد رمضان البوطي على أهمية استثمار هذه المنصات، مبيناً أن "الحوار بين الأديان، الذي تعزز في ظل العولمة، يمثل فرصة لتقديم العقيدة الإسلامية بصورة صحيحة، وتصحيح المفاهيم الخاطئة عنها، شريطة أن يكون هذا الحوار قائماً على أسس علمية وموضوعية، وأن يحترم خصوصيات كل دين وعقيدة" (129).

- **تصحيح الصور النمطية عبر التبادل الثقافي:** أدت العولمة إلى احتكاك المجتمعات ببعضها مما سمح بتجاوز الحواجز المسبقة، ويرى الدكتور محمد عمارة أن "الانفتاح الثقافي الذي أتاحتها العولمة يمثل فرصة ذهبية لنشر العقيدة الإسلامية من خلال الحوار البناء مع الآخر، وتقديم الإسلام بصورته الحقيقية، بعيداً عن الصور النمطية المشوهة التي روجتها بعض وسائل الإعلام الغربية" (130).
- **ترسيخ مبادئ التعايش السلمي:** وفرت بيئة التواصل العالمي فرصة لإبراز الجانب الحضاري للعقيدة الإسلامية التي تدعو إلى التسامح والبر والقسط مع المخالفين، مما يهيئ بيئة آمنة ومناسبة لدعوة الآخرين وتأليف قلوبهم.
- **تطوير "خطاب إسلامي عالمي":** دفعت العولمة المفكرين والدعاة المسلمين إلى تجاوز الخطابات المحلية والإقليمية الضيقة، والعمل على بلورة خطاب إسلامي عالمي ينطلق من الثوابت العقدية، ولكنه يستخدم لغة العصر ويخاطب العقل الإنساني الجمعي، مما يتناسب تماماً مع الطبيعة العالمية للرسالة الخاتمة.

3.1.1.1.3 تيسير تعلم العقيدة الإسلامية عبر التقنيات الحديثة

أتاحت التقنيات الحديثة، التي تُعد من أبرز مظهرات العولمة التكنولوجية فرصاً استثنائية وغير مسبوقة لتيسير تعلم العقيدة الإسلامية، ونشرها، وتقريب مفاهيمها للأذهان، وتتجلى هذه الفرصة في تحويل التكنولوجيا من أداة استهلاكية إلى وسيلة بناء معرفي عبر الجوانب التالية:

- **المنصات التعليمية الإلكترونية:** توفر هذه المنصات إمكانية تعلم العقيدة الإسلامية عن بُعد بطرق تفاعلية، مما يكسر حواجز الزمان والمكان، ويسهل وصول المعرفة الإسلامية

(129) البوطي، قضايا ساخنة: التشريع - الإرهاب - العولمة الإنسانية والعولمة الاستعمارية، 89.

(130) عمارة، العولمة والعقيدة: دراسة في التأثيرات المتبادلة، 2003، 78.

المؤصلة إلى شرائح واسعة من الناس حول العالم خاصة في المناطق التي تفتقر إلى المدارس أو المؤسسات الإسلامية.

- **تطبيقات الهواتف الذكية:** جعلت هذه التطبيقات المحتوى الإسلامي متاحاً في جيب كل مسلم، مما يتيح إمكانية الوصول إليه في أي وقت ومكان هذا الارتباط المستمر يسهل تعلم العقيدة، واستحضار معانيها، وممارستها في تفاصيل الحياة اليومية.
- **المكتبات الرقمية وقواعد البيانات:** وفرت الرقمنة إمكانية الوصول الفوري إلى آلاف الكتب، والمخطوطات، والمراجع العقيدة الإسلامية التي كانت حبيسة الأرفف مما أتاح للباحثين والدارسين وعموم المسلمين فرصة الاطلاع على التراث الإسلامي وتحقيقه بسهولة ويسر.
- **توظيف الوسائط المتعددة:** تتيح الوسائط المتعددة (من صوت، وصورة، ومقاطع فيديو تفاعلية) إمكانية تقديم مباحث العقيدة الإسلامية - التي قد تبدو مجردة أو معقدة للبعض - بطرق جذابة، ومبسطة، ومؤثرة، تتناسب مع الأنماط الإدراكية لمختلف الفئات العمرية والثقافية.

الرؤية الشرعية والفكرية لاستثمار التقنية:

في سياق التأكيد على حتمية استثمار هذه الأدوات، يقرر الدكتور طه جابر العلواني أن: "التقنيات الحديثة أتاحت فرصاً غير مسبوقة لتيسير تعلم العقيدة الإسلامية ونشرها، من خلال المنصات التعليمية الإلكترونية، وتطبيقات الهواتف الذكية، والمكتبات الرقمية، والوسائط المتعددة، وهذه الفرص يجب استثمارها بشكل أمثل لتقديم العقيدة الإسلامية بصورة صحيحة وجذابة، تناسب متطلبات العصر وتحدياته"⁽¹³¹⁾

ومن منظور التأصيل الشرعي لهذه الأدوات بوصفها وسائل دعوية، يرى الشيخ صالح الفوزان أن: "التقنيات الحديثة نعمة من نعم الله تعالى يجب على المسلمين استثمارها في نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة، وتيسير تعلمها وفهمها، وقد أتاحت هذه التقنيات إمكانية الوصول إلى المعرفة

⁽¹³¹⁾ العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، 1995، 112.

الإسلامية بسهولة ويسر مما يسهم في تعزيز العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين، وتصحيح المفاهيم الخاطئة عنها لدى غير المسلمين"⁽¹³²⁾

3.1.1.2. تعزيز الوعي بالعقيدة الإسلامية في ظل العولمة: (الاستجابة المنهجية)

إن الاستجابة الفاعلة لتحديات العولمة لا تبدأ من الرفض السلبي أو الانكفاء على الذات، بل تنطلق من الفهم العميق لآليات "الهيمنة" التي تسعى لتهيئة المجتمعات للاستلاب الحضاري، وفي هذا السياق يكشف المفكر محمد إبراهيم مبروك عن طبيعة هذه العملية المعقدة التي تستهدف العقل الجمعي قائلاً:

"إنها عملية استعباد مستهدفة تُمارس على الشعوب لا نقول الفقيرة، ولكن «المستضعفة»، وتتم تهيئة تلك الشعوب لهذا الاستعباد عبر السياسة - الفكر - الاقتصاد - الإعلام، فمن خلال هذه الوسائل تتم تهيئة الشعوب للانقياد حسب إرادة تلك الدول المتألهة... كل ذلك تحت غلاف جميل من الشعارات البراقة: الحرية - المساواة - الديمقراطية"⁽¹³³⁾.

وعليه، فإن الوعي العقدي في عصر العولمة يمر عبر "تفكيك" هذه الشعارات، وإدراك الفوارق الجوهرية بين دلالاتها الغربية المادية وبين المقاصد الربانية للإنسان.

الانتقال من "صدمة التغريب" إلى "اليقظة العقيدة"

لم تقتصر إيجابيات العولمة على الجانب التقني والاتصالي فحسب، بل أحدثت -على نحو غير مباشر- حراكاً فكرياً عميقاً داخل العقل المسلم؛ حيث تحول الضغط الثقافي الخارجي إلى "قوة دافعة" أدت إلى رد فعل إيجابي يتمثل في تعزيز الوعي الذاتي بالعقيدة واستكشاف مكامن القوة والتميز فيها، ويتجلى هذا الوعي المتجدد في المحاور التالية:

3.1.1.2.1 تحفيز التجديد في فهم العقيدة الإسلامية

شكلت العولمة بما تحمله من تركيز غربي مكثف على المناهج العقلانية والنقدية، صدمة إيجابية وتحدياً استفز العقل المسلم المعاصر؛ لقد كشف هذا التحدي عن إشكالية خطيرة تتمثل في الخلط

⁽¹³²⁾ الفوزان، شرح العقيدة الواسطية، 156.

⁽¹³³⁾ محمد إبراهيم مبروك، "تهيئة الشعوب للاستعباد في عصر العولمة"، تقرير ارتيادي (استراتيجي) 6/2009

بين "ثوابت الوحي" وبين "الاجتهاد البشري المتغير"، مما حتم ضرورة تحريك عجلة التجديد وتجاوز حالة التقليد والجمود.

وفي تشخيص دقيق لهذه الإشكالية التي حركتها التحديات العولمية، يقرر المفكر عمر عبيد حسنة حقيقة منهجية بالغة الأهمية قائلاً: "إن القيم المستمدة من معرفة الوحي في الكتاب والسنة هي قيم ومنطلقات ومرجعيات وأسس واستراتيجيات ضابطة لمسيرة الحياة..، وليست برامج وخطط تفصيلية؛ لأن ذلك منوط بمعرفة العقل وكسبه ونظره وعطائه ضمن الإطار المرجعي لمعرفة الوحي"، ويحذر من خطورة تغييب العقل مبيناً أنه: "إذا توقف العقل... أو سقط في حمأة التقليد... فقد وقع في محاصرة القيم وعزلها عن واقع الحياة... إن التوهم بأن القيم الواردة في الكتاب والسنة... قادرة على تنظيم أمور الحياة بمجالاتها المختلفة دون فعل العقل، بحجة قدسيتها... يعتبر من الإصابات البالغة للعقل المسلم المعاصر، بل لعلها إشكالية العقل المسلم اليوم" (134).

وانطلاقاً من هذه الصحوه الفكرية، أسهمت العولمة في تحفيز التجديد في فهم العقيدة عبر مسارات عملية تتمثل في:

- إثارة نوازل وأسئلة عقديّة جديدة: أفرزت العولمة قضايا وإشكالات غير مسبوقة (أخلاقية، علمية، وفلسفية) تتطلب اجتهادات جادة في فهمها وتفسيرها، مما أسهم في كسر حالة الجمود وتجديد دماء الفكر العقدي الإسلامي، ويؤكد الدكتور محمد عمارة هذا الأثر مبيناً أن: "العولمة بما أثارته من أسئلة وتحديات جديدة، أسهمت في تحفيز التجديد في فهم العقيدة الإسلامية من خلال دفع علماء العقيدة إلى إعادة قراءة التراث العقدي الإسلامي في ضوء المتغيرات المعاصرة" (135).
- مواجهة التحديات بتطوير الآليات المعرفية: دفعت هذه الموجة علماء العقيدة إلى الخروج من دائرة الردود التقليدية القديمة، والعمل على تطوير أدوات معرفية ومنهجية جديدة، تتناسب مع طبيعة وحجم التحديات الفكرية المعاصرة.
- الانفتاح المنهجي وإثراء البحث العقدي: أسهمت العولمة في انفتاح الفكر الإسلامي على المناهج المعرفية الحديثة (كعلم الاجتماع، والفلسفة المعاصرة، واللسانيات)، إن هذا

(134) حسنة، العولمة: فرص وتحديات، 135.

(135) عمارة، العولمة والعقيدة: دراسة في التأثيرات المتبادلة، 2003، 92.

التلاقح أثرى البحث في العقيدة الإسلامية، وطور من أدواته التحليلية والنقدية للرد على الشبهات بأسلوب علمي رصين.

• **تجديد لغة الخطاب العقدي:** أدرك المفكرون والدعاة أن لغة الماضي قد لا تصلح لمخاطبة جيل العولمة، مما دفعهم إلى تجديد الخطاب العقدي الإسلامي ليكون أكثر حيوية، وقدرة على مخاطبة العقل المعاصر، ومواجهة التحديات الثقافية الراهنة.

ضوابط التجديد العقدي: لتجنب الانزلاق نحو تمييع العقيدة تحت شعار التجديد، يضع الدكتور طه جابر العلواني الضابط المنهجي لذلك قائلاً: "التجديد في فهم العقيدة الإسلامية، الذي تحفزه العولمة، لا يعني تغيير أصول العقيدة وثوابتها، بل يعني تجديد فهمنا لها، وتطوير أدوات عرضها وشرحها، بما يتناسب مع متطلبات العصر وتحدياته، وهذا التجديد ضرورة شرعية وحضارية، لضمان استمرارية العقيدة الإسلامية وفعاليتها في حياة المسلمين"⁽¹³⁶⁾.

3.1.1.2.2 تعزيز الهوية الإسلامية في مواجهة تحديات العولمة

تمثل الهوية الإسلامية، في مرتكزاتها العقيدية الصافية الدرع الحصين أمام محاولات التتميط الثقافي و"العولمة القسرية" التي تهدف إلى صهر العالم في قالب قيمي واحد، وفي تأصيل محورية هذا الجانب يؤكد الدكتور هاني بن علي البلوي أن صون الهوية هو صمام الأمان لمواجهة الهيمنة قائلاً:

"تعمل العولمة الثقافية على إذابة الخصوصيات الثقافية للشعوب، وفرض قيم ومبادئ ثقافة القوي على الضعيف، مما يؤدي إلى ضياع الهوية وتمييع العقيدة لذا فإن التمسك بالهوية الإسلامية ومقوماتها العقيدية ليس مجرد خيار ثقافي، بل هو ضرورة وجودية للحفاظ على كيان الأمة في مواجهة تيار التغريب"⁽¹³⁷⁾.

⁽¹³⁶⁾ العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، 1995، 123.

⁽¹³⁷⁾ هاني البلوي، الهوية الإسلامية وأثر العولمة على الجانب العقدي فيها (مجلة جامعة تبوك للعلوم الإنسانية،

2018)، 12.

ومن المفارقات الإيجابية للعولمة أنها، وبصورة غير مباشرة قد استحثت مكامن الممانعة الذاتية لدى الأمة؛ إذ أثار الضغط الثقافي الكاسح وعباً جمعياً بأهمية استعادة الخصوصية الدينية في مواجهة تيارات "التنميط" التي تسعى لمسح الهويات المتفردة.

أولاً: مركزية "الإنسان" في الهوية الإسلامية

لإدراك قيمة هذه الهوية التي استنفر المسلمون للدفاع عنها، لا بد من فهم نظرتها الفريدة للإنسان في مقابل ما تفرزه الفلسفات العولمية؛ يوضح الدكتور يوسف القرضاوي هذا التباين الجوهرى قائلاً: "ولقد عرف العالم... اتجاهين فكريين، يناقض أحدهما الآخر: اتجاه يؤله الإنسان: يجعله إله نفسه لا رب خلقه، ولا إله يدبر أمره... فهو يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، واتجاه آخر ينظر إلى الإنسان على أنه مجرد (حيوان)... حيوان متطور، أو حيوان (منتج)...، ومن زاويتها ينظر إليه ويتعامل معه... أما الإسلام، فلا يرفع الإنسان إلى مقام الألوهية، ولا يهبط به إلى درك الحيوانية.⁽¹³⁸⁾"

هذه الرؤية المتوازنة للإنسان هي صلب الهوية التي هبت المجتمعات المسلمة لحمايتها، وتجلت هذه الاستجابة في عدة مسارات:

ثانياً: مسارات تعزيز الهوية في عصر العولمة

- إحياء الاهتمام بالعقيدة الإسلامية: أدت حالة الاستلاب الثقافي التي فرضتها العولمة إلى ردة فعل إيجابية تمثلت في إحياء الاهتمام بدراسة العقيدة الإسلامية وتأصيلها، باعتبارها الدرع الصلب والمكون الأساسي للهوية القادر على صد الاختراقات الفكرية.
- إعادة اكتشاف التراث والاعتزاز به: دفعت محاولات تهميش التاريخ الإسلامي شباب الأمة ومفكرها إلى إعادة اكتشاف تراثهم الإسلامي الضخم، والاعتزاز به، وتقديمه كرافد حضاري ومصدر للانتماء، في مواجهة سيولة العولمة الثقافية التي تفتقر إلى الجذور.
- تطوير خطاب إسلامي معاصر: حفزت هذه التحديات المفكرين على تطوير خطاب إسلامي معاصر، يجمع بين "الأصالة" في المضمون العقدي، و"المعاصرة" في أدوات العرض والتواصل، مما يعزز حضور الهوية الإسلامية دون انغلاق أو ذوبان.

⁽¹³⁸⁾القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، 81.

- تعزيز الانتماء لـ "الأمة الإسلامية" (الجامعة العقديّة): أسهمت العولمة (بتقنياتها التي أزلت الحدود) في ربط قضايا المسلمين ببعضهم البعض، مما عزز الشعور بالانتماء لـ "الأمة الإسلامية" كإطار هوياتي جامع، يتجاوز الانتماءات القومية والوطنية الضيقة التي لم تعد قادرة وحدها على الصمود أمام التكتلات العالمية.

ثالثاً: رؤية المفكرين لثنائية (الاستعصاء والانفتاح)

لقد أدرك رواد الفكر الإسلامي أهمية هذا الحراك الهوياتي، فيلخص الدكتور محمد عمارة هذا المشهد بقوله: "العولمة، بما تمثله من تحد للهويات الثقافية والدينية، أسهمت في تعزيز الوعي بأهمية الحفاظ على الهوية الإسلامية، من خلال إحياء الاهتمام بالعقيدة الإسلامية، وتعزيز الانتماء للأمة الإسلامية، وإعادة اكتشاف التراث الإسلامي، وتطوير خطاب إسلامي معاصر" (139).

غير أن هذا التمرس خلف الهوية لا يعني الانعزال؛ وهو ما يؤكد الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي موضحاً أن: "العولمة... دفعت المسلمين إلى التمسك بهويتهم الإسلامية، والاعتزاز بها، والدفاع عنها..، وهذا التمسك بالهوية الإسلامية لا يعني الانغلاق على الذات، بل يعني الانفتاح الواعي على الآخر، مع الحفاظ على الخصوصية الثقافية والدينية" (140).

3.1.1.2.3 تطوير أساليب الدعوة والدفاع عن العقيدة الإسلامية

أسهمت العولمة بآلياتها التقنية والمعرفية المتسارعة في إحداث نقلة نوعية في أساليب الدعوة إلى الله والدفاع عن العقيدة الإسلامية، فقد وفرت أدوات جديدة من جهة، وأثارت تحديات استوجبت تطوير الخطاب الدعوي والدفاعي من جهة أخرى، ليكون قادراً على الصمود والتأثير في الفضاء المفتوح.

أولاً: "الإخاء الإنساني" كمنطلق للخطاب الدعوي العالمي

لكي ينجح الخطاب الدعوي في استثمار العولمة كان لابد من إبراز القيم الإسلامية ذات البعد العالمي التي تخاطب الفطرة، ومن أهم هذه القيم "مبدأ الإخاء الإنساني" الذي يمثل أرضية صلبة لدعوة الآخرين.

(139) عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، 2004، 78.

(140) البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، 134.

يؤصل الدكتور يوسف القرضاوي لهذا المبدأ موضحاً أنه: "فَرَّرَ بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْبَشَرَ جَمِيعًا أَبْنَاءُ رَجُلٍ وَاحِدٍ وَامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، ضَمَّتْهُمْ هَذِهِ الْبِنُودَةُ الْوَاحِدَةُ الْمَشْرُوكَةُ، وَالرَّحْمُ الْوَاصِلَةُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي أَوَّلِ سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتَقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: 1] ،" ويضيف مبيناً التطبيق النبوي لهذا المبدأ: "وقد كان رسول الله ﷺ يقرر هذا الإخاء ويؤكد كل يوم أبلغ تأكيد وأوثقه... كان يقول دبر كل صلاة: (اللهم ربنا ورب كل شيء... أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة)" (141) هذا المنطلق الإنساني يمنح الدعوة الإسلامية قبولاً واسعاً في الأوساط العالمية.

ثانياً: مظاهر تطوير أساليب الدعوة والدفاع

تتجلى مساهمة العولمة في تطوير المنظومة الدعوية عبر المسارات التالية:

- **ابتكار وتطوير وسائل الدعوة:** أتاحت العولمة توظيف وسائل حديثة ومؤثرة، مثل منصات التواصل الاجتماعي، والمواقع التفاعلية، والقنوات الفضائية الموجهة باللغات المختلفة، مما أسهم في توسيع النطاق الجغرافي والديموغرافي للدعوة بشكل غير مسبوق.
- **تجديد الخطاب الدعوي:** فرضت العولمة على الدعاة التخلي عن القوالب الجامدة، وتجديد الخطاب ليكون أكثر استيعاباً لمقتضيات العصر، وقدرة على مخاطبة العقلية الناقدة مع مراعاة التنوع الثقافي والسوسيولوجي للمجتمعات المختلفة.
- **تطوير آليات الدفاع عن العقيدة:** في مواجهة سيل الشبهات العولمية تطورت أساليب الدفاع والمنافحة عن العقيدة؛ حيث بات المتخصصون يستفيدون من التقنيات الحديثة، والمناهج العلمية المعاصرة (كالفلسفة التحليلية، وعلم مقارنة الأديان، وعلم الكلام الجديد) لتفكيك الشبهات ورد الطعون بأسلوب علمي ومنهجي رصين.
- **تعزيز التشبيك والتواصل بين العلماء:** أزالت العولمة الحدود الجغرافية بين علماء الأمة ودعاتها ومؤسساتها؛ مما أتاح إمكانية التواصل المباشر، وتبادل الخبرات، وتنسيق الجهود لتوحيد المواقف الفكرية والدفاعية في القضايا العقديّة الكبرى.

(141) القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، 106.

ثالثاً: التأطير المنهجي للتطوير الدعوي

حول حتمية هذا التطور، يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "العولمة بما وفرتة من وسائل وأدوات جديدة أسهمت في تطوير أساليب الدعوة والدفاع عن العقيدة الإسلامية، من خلال توسيع نطاق الدعوة، وتجديد الخطاب الدعوي..، وهذا التطوير ضرورة شرعية وحضارية لضمان فاعلية الدعوة وتأثيرها في العصر الراهن" (142).

غير أن هذا التطوير يجب ألا يمس الثوابت، وهو ما ينبه إليه العلامة عبد الله بن بيه بقوله: "إن تطوير أساليب الدعوة والدفاع عن العقيدة الإسلامية الذي تحفزه العولمة يجب أن يراعي ثوابت الشريعة ومقاصدها، وأن يستفيد من التقنيات الحديثة والمناهج العلمية المعاصرة دون إفراط أو تفريط، وهذا التطوير يتطلب جهوداً متكاملة من العلماء والدعاة والمؤسسات الإسلامية لضمان فاعليته وتأثيره" (143).

3.1.1.3. تأثيرات العولمة الإيجابية على مجالات العقيدة الإسلامية

ينتقل هذا القسم لبيان الانعكاسات الإيجابية للعولمة وتطبيقاتها على أركان العقيدة الإسلامية ومجالاتها التفصيلية، ونستهل ذلك بالركن الأول والأساس:

3.1.1.3.1. التأثيرات الإيجابية على مجال الإيمان بالله تعالى

رغم التحديات المادية التي تفرضها العولمة، إلا أنها أسهمت بشكل غير مباشر وبفعل أدواتها المعرفية المفتوحة في تعزيز الإيمان بالله تعالى وتثبيت اليقين في النفوس، وذلك عبر المسارات التالية:

- تعزيز الأدلة العلمية على وجود الله وعظمته: أتاحت العولمة المعرفية وتدفق المعلومات إمكانية الاطلاع الواسع والسريع على الاكتشافات العلمية الحديثة في مجالات معقدة مثل: علم الكونيات، والفيزياء الكمية، وعلم الأحياء الجزيئي، وقد قدمت هذه العلوم أدلة مادية وبراهين قاطعة على دقة التصميم الإلهي للكون؛ يوضح الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي هذا الأثر الإيجابي قائلاً: "العولمة بما أتاحتها من إمكانية الاطلاع على الاكتشافات

(142) القرضاوي، المسلمون والعولمة، 2000، 145.

(143) بن بيه، صناعة الفتوى وفقه الأقليات، 167.

العلمية الحديثة أسهمت في تعزيز الإيمان بالله تعالى من خلال تقديم أدلة جديدة على وجوده وعظمته فالعلم الحديث، كلما تقدم وتطور كشف عن آيات الله في الكون والحياة، وأثبت عجز الإنسان عن الإحاطة بأسرار الوجود، مما يؤكد الحاجة إلى الإيمان بالله تعالى، مصدر الوجود ومدبره" (144).

• **تطوير وتجديد "علم الكلام الإسلامي":** دفعت التحديات الفلسفية التي أفرزتها العولمة علماء المسلمين إلى تطوير المباحث العقيدية و"علم الكلام"، ليوكب التطورات العلمية والفلسفية المعاصرة؛ هذا التطور مكّن الفكر الإسلامي من تقديم إجابات عقلانية متماسكة، ومقنعة عن الأسئلة الوجودية الكبرى المتعلقة بوجود الله تعالى، وصفاته، وأفعاله، بلغة يستوعبها إنسان العصر.

• **تعزيز الوعي بوحدانية الله وكشف زيف المادية:** أدت حالة الانفتاح والتثاقف إلى وضع الفلسفات المادية والإلحادية تحت المجهر النقدي مما أسهم في كشف زيفها وإبراز عجزها عن تقديم تفسير متماسك ومقنع لغاية الوجود، وفي هذا السياق؛ يرى الشيخ محمد متولي الشعراوي أن: "العولمة بما أتاحتها من إمكانية التواصل والحوار بين الثقافات والحضارات، أسهمت في تعزيز الوعي بوحدانية الله تعالى من خلال كشف زيف الفلسفات المادية والإلحادية، وإبراز عجزها عن تقديم تفسير مقنع للوجود والحياة، فالإنسان المعاصر كلما اطلع على مختلف الفلسفات والأفكار أدرك الحاجة إلى الإيمان بآله واحد، خالق الكون ومدبره" (145).

• **تيسير الوصول إلى "المعرفة الإلهية":** كسرت العولمة التكنولوجية احتكار المعرفة الجغرافية؛ حيث أتاحت إمكانية الوصول الفوري والمجاني إلى آفاق المعرفة الإلهية من خلال المكتبات الرقمية، والمنصات التعليمية المفتوحة، والمواقع الإلكترونية الموثوقة التي تقدم محتوى علمياً، وفكرياً، وتزكويماً يغذي الإيمان بالله تعالى في القلوب والعقول.

(144) البوطي، قضايا ساخنة: التشريع - الإرهاب - العولمة الإنسانية والعولمة الاستعمارية، 112.

(145) الشعراوي، العقيدة والمنهج، 89.

3.1.1.3.2 التأثيرات الإيجابية على مجال الإيمان بالرسول والكتب السماوية

يمثل الإيمان بالرسول والكتب السماوية ركيزة أساسية في بناء العقيدة الإسلامية، وعلى الرغم من التحديات الفكرية التي تفرضها العولمة إلا أنها أسهمت بشكل غير مباشر وبفعل أدواتها المعرفية والتواصلية المفتوحة في تعزيز الإيمان بهذا المجال، وذلك عبر المسارات التالية:

- **تيسير الوصول إلى السيرة النبوية والمصادر الموثوقة:** أتاحت العولمة التكنولوجية إمكانية الوصول غير المحدود إلى مصادر السيرة النبوية المطهرة، فمن خلال المكتبات الرقمية الضخمة، والمنصات التعليمية، والمواقع الإلكترونية المتخصصة؛ بات المحتوى العلمي والفكري حول حياة الرسول ﷺ وسيرته العطرة متاحاً بلغات متعددة، مما ينشر ويرسخ محبته والإيمان برسائله في نفوس المسلمين ويزيد إمكانية الوصول للاطلاع على سيرته عند غير المسلمين أيضاً.
- **تطوير وتجديد "الدراسات القرآنية":** دفعت التحديات والمناهج النقدية التي رافقت العولمة علماء المسلمين إلى تطوير الدراسات القرآنية وعلوم التفسير؛ لتواكب التطورات العلمية والمنهجية المعاصرة، وقد أثمر هذا التحدي عن تقديم فهم أعمق للقرآن الكريم، وإبراز وجوه جديدة لإعجازه (العلمي، والتشريعي، والبياني) بلغة تتناسب مع العقلية المعاصرة.
- **تعزيز الوعي بعالمية الرسالة الإسلامية وتليتها للفطرة:** أسهمت العولمة في إزالة الحواجز الثقافية، مما سلط الضوء على عالمية الرسالة الإسلامية، وإبراز قدرتها الفريدة على تلبية احتياجات الإنسان المعاصر، بغض النظر عن انتمائه الثقافي أو الحضاري، وفي هذا السياق؛ يقرر الدكتور محمد عمارة أن: "العولمة، بما أتاحتها من إمكانية التواصل والحوار بين الثقافات والحضارات أسهمت في تعزيز الوعي بعالمية الرسالة الإسلامية، من خلال إبراز تناسبها مع الفطرة الإنسانية، وقدرتها على تلبية احتياجات الإنسان المعاصر... فالإسلام بعقيدته وشريعته وأخلاقه يقدم إجابات شافية عن الأسئلة الوجودية والقيمية التي تشغل الإنسان المعاصر، في ظل أزمة القيم والمعنى التي تعاني منها الحضارة المادية"⁽¹⁴⁶⁾

(146) عمارة، العولمة والعقيدة: دراسة في التأثيرات المتبادلة، 2003، 123.

• **تيسير الحوار بين أتباع الديانات السماوية:** أتاحت منصات العولمة إمكانية عقد حوارات جادة بين أتباع الديانات المختلفة، مما أسهم في تعزيز الوعي بوحدة الرسائل السماوية في أصولها العقيدية ومقاصدها الكبرى، ويؤكد الشيخ محمد الغزالي على أهمية هذه الثمرة الإيجابية مبيناً أن: "العولمة بما أتاحتها من إمكانية الحوار بين أتباع الديانات السماوية، أسهمت في تعزيز الوعي بوحدة الرسائل السماوية في أصولها ومقاصدها، وإبراز مكانة الإسلام كخاتم لهذه الرسائل، فالحوار الديني إذا كان قائماً على أسس علمية وموضوعية، يكشف عن وحدة المصدر الإلهي للديانات السماوية، ويبرز تميز الإسلام بشموليته وخلوده وعالميته"⁽¹⁴⁷⁾

3.1.1.3.3 التأثيرات الإيجابية على مجال الإيمان باليوم الآخر

يمثل الإيمان باليوم الآخر الركن الخامس من أركان العقيدة الإسلامية، وعلى الرغم من النزعة المادية الطاغية للعولمة والتي تسعى لحصر اهتمام الإنسان في الحياة الدنيا، إلا أن هذه النزعة ذاتها أسهمت بشكل غير مباشر في تعزيز الإيمان باليوم الآخر والبعث، وذلك من خلال مسارات وتفاعلات عكسية تجلت في الجوانب التالية:

• **كشف "أزمة المعنى" في الحضارة المادية:** أبرزت العولمة الفراغ الروحي وأزمة المعنى التي تعاني منها الحضارة المادية المنكرة للحياة الآخرة، هذا الخواء جعل من الإيمان باليوم الآخر ضرورة ملحة لتحقيق التوازن النفسي والروحي للإنسان، ويشخص الدكتور عمر سليمان الأشقر هذه الحالة بدقة قائلاً: "العولمة بما كشفتها من أزمة المعنى في الحضارة المادية أسهمت في تعزيز الوعي بأهمية الإيمان باليوم الآخر في تحقيق التوازن النفسي والروحي للإنسان، فالإنسان المعاصر في ظل الحضارة المادية، يعاني من الفراغ الروحي والقلق الوجودي وهو محصلة غياب البعد الأخروي في حياته، مما يجعله يبحث عن إجابات شافية لأسئلة المصير والغاية، وهي إجابات لا يجدها إلا في الإيمان باليوم الآخر، كما تقدمه العقيدة الإسلامية"⁽¹⁴⁸⁾

⁽¹⁴⁷⁾ الغزالي، عقيدة المسلم، 145.

⁽¹⁴⁸⁾ الأشقر، العقيدة في الله، 112.

- **تطوير الدراسات الإسلامية حول اليوم الآخر (الغيبات):** دفعت الشبهات والتساؤلات التي أفرزتها العولمة علماء العقيدة إلى تطوير الدراسات الإسلامية المتعلقة باليوم الآخر والغيبات؛ لتواكب التطورات العلمية والفلسفية المعاصرة، وتقدم فهماً أعمق ومؤصلاً لقضايا البعث، والحساب، والجنة، والنار، بلغة تخاطب عقل إنسان العصر وتجيب عن حيرته.
- **إبراز حتمية "البعد الأخروي" لضبط الحياة الدنيا:** أسهمت العولمة وانفتاح الثقافات في تعزيز الوعي بقصور النظرة المادية الاستهلاكية للحياة، وعجزها التام عن تلبية الاحتياجات الروحية والمعنوية، وفي هذا السياق يرى الشيخ محمد متولي الشعراوي أن: "العولمة بما أتاحتها من إمكانيات الاطلاع على مختلف الفلسفات والأفكار، أسهمت في تعزيز الوعي بقصور النظرة المادية للحياة، وعجزها عن تلبية الاحتياجات الروحية والمعنوية للإنسان، فالإنسان المعاصر كلما اطلع على مختلف الفلسفات والأفكار، أدرك الحاجة إلى الإيمان بالحياة الآخرة، كإطار معنوي يمنح الحياة الدنيا معناها وغايتها"⁽¹⁴⁹⁾
- **تيسير الوصول إلى المعرفة الأخروية:** أتاحت الأدوات التقنية للعولمة إمكانيات الوصول السهل والمباشر إلى المعرفة الإسلامية الدقيقة حول أحداث اليوم الآخر، وذلك من خلال المكتبات الرقمية، والمنصات التعليمية، والمواقع الإلكترونية الموثوقة التي تقدم محتوى علمياً، وفكرياً، ووعظياً يرقق القلوب ويربطها بقضايا البعث والجزاء.

3.1.1.3.4. التأثيرات الإيجابية على مجال الإيمان بالقضاء والقدر

يمثل الإيمان بالقضاء والقدر الركن السادس من أركان العقيدة الإسلامية، ورغم ما تحمله العولمة من نزعات مادية وعقلانية متطرفة تنكر الغيب، إلا أنها أسهمت، وبشكل غير مباشر، في ترسيخ الإيمان بهذا الركن العظيم، وذلك من خلال مسارات وتفاعلات تتجلى في الجوانب التالية:

- **كشف محدودية العقل البشري أمام تعقيدات الكون:** كشفت التطورات المتسارعة والأزمات العالمية المعقدة التي رافقت العولمة عن محدودية العقل البشري، وعجزه عن الإحاطة المطلقة بأسرار الكون والحياة، هذا العجز أبرز الحاجة الماسة إلى الإيمان بالقضاء والقدر كإطار معرفي ووجودي يبعث على السكينة، وفي هذا السياق يقول

⁽¹⁴⁹⁾ الشعراوي، تفسير الشعراوي، 78/1.

الدكتور يوسف القرضاوي: "العولمة، بما كشفته من محدودية العقل البشري، وعجزه عن الإحاطة بأسرار الكون والحياة، أسهمت في تعزيز الوعي بأهمية الإيمان بالقضاء والقدر... فالإنسان المعاصر في ظل التطور العلمي والتكنولوجي الهائل يكتشف يوماً بعد يوم حدود معرفته... مما يجعله يدرك الحاجة إلى الإيمان بالقضاء والقدر كإطار معرفي يفسر ما يعجز العقل عن تفسيره"⁽¹⁵⁰⁾.

- **تطوير الدراسات العقدية والإجابة عن إشكاليات (الجبر والاختيار):** دفعت العولمة وما حملته من تيارات فلسفية (كالحتمية المادية والوجودية) إلى تطوير الدراسات الإسلامية حول القضاء والقدر؛ لتواكب التطورات المعاصرة، ويؤيد ذلك العلامة عبد الله بن بيه موضحاً أن: "العولمة بما أتاحتها من إمكانيات الاطلاع على مختلف الفلسفات والأفكار، أسهمت في تعزيز الوعي بقصور الفلسفات المادية عن تقديم تفسير مقنع لقضايا الحرية والضرورة، والإرادة والجبر، وهي قضايا لا تجد تفسيراً مقنعاً إلا في الإيمان بالقضاء والقدر، كما تقدمه العقيدة الإسلامية، التي توازن بين الإرادة الإلهية والإرادة الإنسانية، وتجمع بين الحرية والمسؤولية"⁽¹⁵¹⁾.
- **ترسيخ الوعي بأهمية "التوكل على الله":** كشفت الأزمات العالمية (الاقتصادية، والصحية، والبيئية) الناتجة عن نظام العولمة عن هشاشة الاعتماد الكلي على القوى المادية والبشرية، وعجزها عن توفير الأمن والطمأنينة للإنسان، هذا الانكشاف المادي عزز في المقابل الوعي بأهمية التوكل الحقيقي على الله تعالى، واللجوء إليه في الشدائد، والرضا بتدبيره.
- **تيسير الوصول إلى المعرفة الإسلامية ودحض الشبهات:** أتاحت التقنيات الرقمية المرافقة للعولمة إمكانيات الوصول السهل إلى التراث العقدي الرصين، فمن خلال المكتبات الرقمية، والمنصات التعليمية، بات الباحثون وعموم المسلمين قادرين على الاطلاع على المحتوى العلمي والفكري الذي يشرح قضايا الإرادة الإلهية والإرادة الإنسانية، ويفكك الشبهات المثارة حول حكمة الله وعدله في خلقه.

(150) القرضاوي، الإيمان والحياة، 123.

(151) بن بيه، صناعة الفتوى وفقه الأقليات، 178.

3.1.1.4. نماذج من التأثيرات الإيجابية للعولمة على العقيدة الإسلامية في الواقع المعاصر

يتناول هذا القسم استعراضاً تطبيقياً لنماذج من التأثيرات الإيجابية للعولمة على العقيدة الإسلامية في الواقع المعاصر، ولضمان دقة وشمولية هذا الرصد، تم تقسيم الدراسة بالقياس على ثلاث دوائر مجتمعية رئيسية: (المجتمعات العربية، المجتمعات الإسلامية غير العربية، والمجتمعات الإسلامية في الغرب).

ويعود سبب هذا التقسيم المنهجي إلى أن تفاعل المجتمعات مع ظاهرة العولمة ليس تفاعلاً نمطياً أو أحادي الاتجاه؛ بل يتأثر بشدة بالخصوصية الثقافية، والتراكم التاريخي، والسياق السوسولوجي والسياسي لكل مجتمع، فهذا التنوع في الرصد يتيح لنا بناء صورة بانورامية دقيقة وموضوعية لكيفية تعاطي العقل المسلم مع معطيات العولمة، واستثمارها لخدمة العقيدة باختلاف بيئاته وتحدياته.

3.1.1.4.1 نموذج التأثير الإيجابي في المجتمعات العربية

تشهد المجتمعات العربية، بوصفها الحاضنة التاريخية واللغوية لرسالة الإسلام، حراكاً نوعياً وتأثيرات إيجابية متنوعة للعولمة على صعيد خدمة العقيدة الإسلامية، ومن أبرز هذه التأثيرات:

- **تجديد الخطاب الديني ومواكبة العصر:** أسهمت صدمة العولمة وتدفق الأفكار الوافدة في تحريك المياه الراكدة، دافعةً المؤسسات الدينية التقليدية الكبرى (مثل: الأزهر الشريف، ودور الإفتاء، ووزارات الأوقاف) إلى تطوير آلياتها وتجديد خطابها ليكون قادراً على المنافسة والتأثير، وفي هذا السياق، يقول الدكتور محمد عمارة: "العولمة بما أتاحتها من فرص للتواصل والحوار أسهمت في تجديد الخطاب الديني في المجتمعات العربية من خلال دفع المؤسسات الدينية التقليدية إلى تطوير خطابها ليواكب متطلبات العصر وتحدياته، فالأزهر الشريف على سبيل المثال طور خطابه ومناهجه ليكون أكثر قدرة على مخاطبة العقل المعاصر، ومواجهة التحديات الفكرية والثقافية الراهنة"⁽¹⁵²⁾.

- **تطوير وتحديث منظومة التعليم الديني:** أوجدت العولمة ضرورة حتمية لتطوير التعليم الديني في المجتمعات العربية، وذلك من خلال إدماج التقنيات الرقمية الحديثة، وتطوير

⁽¹⁵²⁾ عمارة، الإسلام والسياسة، 134.

المناهج التربوية والأساليب التعليمية لتتجاوز التلقين إلى التحليل والنقد، مما يعزز الرسوخ العقدي لدى الأجيال الناشئة المتصلة بالشبكة العالمية.

- **تعزيز دور المرأة في الدعوة والدفاع عن العقيدة:** أتاحت الفضاءات المفتوحة التي وفرتها العولمة فرصاً غير مسبوقة للمرأة المسلمة في المجتمعات العربية لتجاوز العوائق التقليدية والمكانية، فمن خلال منصات التواصل الاجتماعي، والمواقع الإلكترونية، والقنوات الفضائية، باتت المرأة تشارك بفاعلية في نشر العقيدة الإسلامية، وتصحيح المفاهيم، والرد على الشبهات، خاصة تلك الموجهة للأسرة.
- **تيسير الحوار وتقريب وجهات النظر بين المذاهب الإسلامية:** أذابت العولمة الاتصالية الحدود الجغرافية التي كانت تفصل بين أتباع المذاهب الإسلامية في العالم العربي، ووفرت منصات مفتوحة للحوار المباشر، ويرى الدكتور طه جابر العلواني أثر ذلك بوضوح مؤكداً أن: "العولمة بما أتاحتها من فرص للتواصل والحوار أسهمت في تعزيز الحوار بين المذاهب الإسلامية في المجتمعات العربية، من خلال توفير منصات للحوار والتواصل مما أسهم في تقريب وجهات النظر، وتعزيز الوحدة الإسلامية؛ فالحوار المذهبي إذا كان قائماً على أسس علمية وموضوعية يكشف عن وحدة الأصول والمقاصد، ويبرز أن الاختلاف في الفروع والاجتهادات لا يمس وحدة العقيدة والشريعة"⁽¹⁵³⁾

3.1.1.4.2 نموذج التأثير الإيجابي في المجتمعات الإسلامية غير العربية

تشهد المجتمعات الإسلامية الكبرى غير العربية (مثل: تركيا، وإيران، وماليزيا، وإندونيسيا) تفاعلاً حيويًا وتأثيرات إيجابية متنوعة للعولمة على صعيد العقيدة والفكر الإسلامي، وتبرز أهمية هذا النموذج في قدرة هذه المجتمعات على توظيف آليات العولمة لتعزيز روابطها العقيدية والثقافية، ويتجلى ذلك في المحاور التالية:

- **تجسير الهوية وتعزيز التواصل مع العالم العربي:** شكلت حواجز الجغرافيا واللغة تحدياً تاريخياً أمام هذه المجتمعات في تلقي المعرفة الإسلامية، إلا أن العولمة الاتصالية أتاحت إمكانية التواصل المباشر واللحظي مع العالم العربي، مما أسهم في تعزيز فهم العقيدة الإسلامية من مصادرها الأصلية، وفي تحليل هذا الأثر، يرى الدكتور محمد أركون أن:

(153) العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، 1995، 145.

"العولمة بما أتاحتها من فرص للتواصل والحوار؛ أسهمت في تعزيز التواصل بين المجتمعات الإسلامية غير العربية والعالم العربي، مما أسهم في تعزيز فهم العقيدة الإسلامية من مصادرها الأصلية؛ فالمسلمون في تركيا وإيران وماليزيا وإندونيسيا على سبيل المثال؛ أصبح بإمكانهم التواصل المباشر مع العلماء والمؤسسات الإسلامية في العالم العربي، والاطلاع على التراث الإسلامي بلغته الأصلية، مما أسهم في تعزيز فهمهم للعقيدة الإسلامية" (154).

- **تطوير نماذج حضارية إسلامية معاصرة:** انعكست حالة الانفتاح العولمي إيجاباً على هذه المجتمعات بدفعها نحو تطوير نماذج إسلامية معاصرة تجمع بين الأصالة الفكرية والمعاصرة التقنية، مع المراعاة الدقيقة لخصوصياتها الثقافية، ويتفق الدكتور عبد الكريم سروش مع هذه الرؤية مؤكداً أن: "العولمة بما أتاحتها من فرص للتواصل والحوار؛ دفعت المجتمعات الإسلامية غير العربية إلى تطوير نماذج إسلامية معاصرة تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وتراعي خصوصيات هذه المجتمعات؛ فالنموذج الماليزي على سبيل المثال يجمع بين التمسك بالعقيدة الإسلامية والانفتاح على العصر، ويراعي التنوع الثقافي والديني في المجتمع الماليزي، مما جعله نموذجاً ناجحاً للتنمية الإسلامية المعاصرة" (155).
- **تفعيل دور المؤسسات الإسلامية إقليمياً ودولياً:** أسهمت العولمة في تعزيز دور المؤسسات الإسلامية في هذه الدول، وإخراجها من العزلة المحلية إلى الفضاء العالمي، وذلك من خلال توفير منصات للتشبيك، وفرص للتواصل وعقد الشراكات والتعاون الاستراتيجي مع المؤسسات الدينية والأكاديمية الكبرى في العالم العربي والإسلامي.
- **الارتقاء بمناهج الدراسات الإسلامية:** أحدثت العولمة نقلة نوعية في أقسام الدراسات الإسلامية والعقدية في جامعات هذه الدول، من خلال دفعها للانفتاح على المناهج والأساليب البحثية الحديثة، والاستفادة من التجارب الأكاديمية العالمية، مما أثمر عن دراسات مقارنة وتحليلات نقدية تخدم العقيدة الإسلامية وترسخ مفاهيمها.

(154) أركون، الفكر الإسلامي: قراءة علمية، 89.

(155) سروش، القبض والبسط في الشريعة، 112.

3.1.1.4.3 نموذج التأثير الإيجابي في المجتمعات الإسلامية في الغرب

تشهد المجتمعات الإسلامية التي تعيش في المهجر الغربي (أوروبا وأمريكا) تفاعلاً استثنائياً مع العولمة؛ نظراً لوجودها في بؤرة المركز المصدر لهذه الظاهرة، ورغم قسوة التحديات، إلا أن العولمة أفرزت تأثيرات إيجابية متنوعة أسهمت في ترسيخ العقيدة الإسلامية وتكييف ممارستها، وذلك عبر المحاور التالية:

- "السماحة" كاستراتيجية للتعيش وتطوير "فقه الأقليات": في مواجهة دعوات الانغلاق أو التذويب، برزت الحاجة الملحة إلى إبراز القيم الإسلامية القادرة على استيعاب الآخر، وهنا برز مبدأ "السماحة" كاستراتيجية حضارية للتعامل والتعايش. يؤصل العلامة محمد الطاهر بن عاشور لهذا المبدأ مبيناً أنه يرد على شبّهات التعصب الغربية: "من أهم خصائص هذا الدين: السماحة..، وهي سهولة المعاملة في اعتدال، والرجوع إلى ما عليه الفطرة السليمة من اليسر..، والسماحة تقتضي التيسير والرفق، ونبذ التشدد في غير محله..، وبها وصف النبي صلى الله عليه وسلم هذا الدين فقال: (أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة)"⁽¹⁵⁶⁾

وتأسيساً على هذا المبدأ المقاصدي، دفعت العولمة إلى تطوير ما عُرف بـ "فقه الأقليات"، وفي هذا السياق، يقول الدكتور طارق رمضان: "العولمة بما أتاحتها من فرص للتواصل والحوار أسهمت في تطوير فقه الأقليات الذي يراعي خصوصيات المسلمين في المجتمعات الغربية، ويقدم حلولاً شرعية للمشكلات والتحديات التي تواجههم؛ فالمسلمون في الغرب يواجهون تحديات خاصة، تتعلق بالهوية والاندماج، والعلاقة مع المجتمع الغربي، وهذه التحديات تتطلب اجتهادات فقهية خاصة تراعي مقاصد الشريعة وقواعدها العامة، وتأخذ في الاعتبار خصوصيات الواقع الغربي"⁽¹⁵⁷⁾

- تعزيز الحوار بين الأديان وتصحيح المفاهيم: أسهمت العولمة وانفتاح المجتمعات الغربية في توفير منصات فعالة لتعزيز الحوار بين الأديان وقد أتاح هذا الانفتاح فرصة حقيقية لتقديم العقيدة الإسلامية بصورتها النقية، وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي رسختها ظاهرة

⁽¹⁵⁶⁾ ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، فصل: السماحة.

⁽¹⁵⁷⁾ رمضان، المسلمون في الغرب، 2004، 78.

(الإسلاموفوبيا)؛ ويرى الدكتور يوسف القرضاوي في هذا الصدد أن: "العولمة بما أتاحتها من فرص للتواصل والحوار أسهمت في تعزيز الحوار بين الأديان في المجتمعات الغربية... فالحوار الديني إذا كان قائماً على أسس علمية وموضوعية يكشف عن سماحة الإسلام وعالميته، ويبرز قدرته على التعايش مع الآخر، والإسهام في بناء الحضارة الإنسانية"⁽¹⁵⁸⁾

- **تطوير خطاب إسلامي معاصر يواكب العقل الغربي:** فرضت بيئة العولمة على الدعاة والمفكرين في الغرب حتمية تطوير خطاب إسلامي معاصر يتجاوز النقل الحرفي، ليخاطب العقلية الغربية التحليلية والنقدية، ويراعي سياقها السوسولوجي، ويقدم مفاهيم العقيدة الإسلامية بلغة العصر دون الإخلال بالثوابت.
- **تعزيز دور المؤسسات الإسلامية المهيمنة:** أسهمت العولمة الاتصالية في تقوية شوكة المؤسسات الإسلامية في الغرب (كالمراكز الثقافية والمجالس الفقهية)، من خلال إخراجها من عزلتها، وتوفير فرص مستدامة للتواصل، والدعم، والتعاون مع المؤسسات الإسلامية الكبرى في العالم العربي والإسلامي، مما منحها ثقلاً ومرجعية أقوى أمام الأقليات المسلمة هناك.

3.1.1.5. خلاصة

تمثل التأثيرات الإيجابية للعولمة جانباً بالغ الأهمية من جوانب العلاقة بين العولمة والعقيدة الإسلامية، وهو جانب يستحق الدراسة والتحليل بنفس القدر من العمق والشمولية الذي تحظى به التأثيرات السلبية، فقد أسهمت العولمة بشكل غير مباشر، في تعزيز العقيدة الإسلامية ونشرها، عبر توفير أدوات حديثة، وإثارة تحديات دفعت العقل المسلم إلى تجديد فكره وتطوير آلياته.

وتتجلى خلاصة هذه التأثيرات الإيجابية التي أفرزتها العولمة في المحاور والنتائج التالية:

- **على صعيد نشر العقيدة وأدوات الدعوة:** أتاحت التقنيات الحديثة فرصاً غير مسبوقة للوصول إلى الناس في مشارق الأرض ومغاربها، بتكلفة زهيدة وجهد قليل مقارنة بالوسائل التقليدية، وقد مكنت هذه الأدوات من تيسير الوصول إلى المعرفة الإسلامية، مما أسهم في تعزيز العقيدة في نفوس المسلمين، وتصحيح المفاهيم الخاطئة عنها لدى

(158) القرضاوي، في فقه الأقليات المسلمة، 123.

غير المسلمين شريطة استثمارها بشكل أمثل لتقديم العقيدة بصورة صحيحة وجذابة تناسب متطلبات العصر، وهذا التطوير في أساليب الدعوة بات "ضرورة شرعية وحضارية" لضمان فاعلية التأثير، وهو ما يتطلب جهوداً متكاملة من العلماء والدعاة والمؤسسات الإسلامية.

• على الصعيد الفكري وترسيخ أركان الإيمان:

- الإيمان بالله: أثبت العلم الحديث - الذي تيسر الاطلاع عليه بفضل العولمة - أنه كلما تقدم وتطور كشف عن آيات الله في الكون، وأثبت عجز الإنسان عن الإحاطة بأسرار الوجود، مما يؤكد الحاجة الماسة للإيمان بالله تعالى.
- الإيمان باليوم الآخر والقضاء والقدر: يعاني الإنسان المعاصر، في ظل الحضارة المادية، من الفراغ الروحي والقلق الوجودي الناتج عن غياب البعد الأخروي، ومحدودية العقل البشري أمام تعقيدات الحياة، هذه الأزمة جعلته يدرك الحاجة الماسة إلى الإيمان بالآخرة كإطار يمنح الدنيا غايتها، والإيمان بالقضاء والقدر كإطار معرفي يفسر ما يعجز العقل عن تفسيره.
- عالمية الإسلام: أثبت الإسلام بعقيدته وشريعته قدرته على تقديم إجابات شافية للأسئلة الوجودية التي تشغل الإنسان المعاصر المأزوم مبرزاً تميزه بشموليته وخلوده.

• على صعيد الهوية والنماذج المجتمعية: أسهمت العولمة في خلق وعي عميق بأن التمسك بالهوية الإسلامية لا يعني الانغلاق على الذات، بل يعني الانفتاح الواعي على الآخر مع الحفاظ على الخصوصية، وقد انعكس ذلك في نماذج واقعية ناجحة:

- في العالم العربي: تجلّى ذلك في تطوير المؤسسات الكبرى (كالأزهر الشريف) لخطابها ومناهجها لمواجهة التحديات، واستثمار الحوار المذهبي للكشف عن وحدة الأصول والمقاصد.
- في المجتمعات غير العربية: مكّنت العولمة المسلمين (في تركيا، إيران، ماليزيا، وإندونيسيا) من التواصل المباشر مع التراث الأصيل وعلمائه، وأفرزت نماذج (كالنموذج الماليزي) تجمع بين التمسك بالعقيدة والانفتاح على العصر بمرونة.
- في المجتمعات الغربية: دفعت التحديات الخاصة بالهوية والاندماج إلى بلورة "فقه الأقليات"، واستثمار "الحوار الديني" القائم على أسس علمية وموضوعية للكشف عن سماحة الإسلام وقدرته على التعايش وبناء الحضارة الإنسانية.

خلاصة القول إن الاستفادة المثلى من هذه التأثيرات الإيجابية تتطلب وعياً عميقاً بطبيعة العولمة وآلياتها، وفهماً للعقيدة الإسلامية وخصائصها فهماً دقيقاً ومقاصدياً، وقدرة فذة على استثمار الفرص في نشر العقيدة وتعزيزها، مع الحفاظ التام على أصالتها وثوابتها القطعية.

3.2. التأثيرات السلبية للعولمة على العقيدة الإسلامية

يسعى هذا القسم إلى تسليط الضوء على مكامن الاختراق التي تستهدف البنية العقدية للإنسان المسلم؛ إذ لا يقتصر خطر العولمة في شقها الثقافي على تغيير أنماط الاستهلاك المادية، بل يمتد ليشمل محاولة تحويل المجتمعات الإسلامية إلى مجرد "أسواق" مستهلكة للقيم الغربية الوافدة، مما يُفضي إلى تبدلات جذرية في الهوية والسلوك.

إن أخطر ما تفرزه العولمة هو تلك "اللوثات" التي تنتسل إلى عقل المسلم فتشل قدرته على النقد الحضاري مما يوقعه في أسر الانبهار بالآخرن ويصور الإمام النورسي هذه الحالة بصراحة تامة حين يتحدث عن تجربته الذاتية وكيف انقلبت العلوم الفلسفية "المزخرفة" إلى أمراض قلبية استوجبت معالجة فكرية جذرية "انقلبت تلك العلوم الأوروپيَّة الفلسفيَّة وفُوتئها.. إلى أمراضٍ قَلبيَّةٍ، نَشأتُ منها مَصاعِبٌ ومُعْضِلاتٌ كَثيرةٌ.. فما كانَ من سَعِيدِ الجَدِيدِ إلَّا القِيامُ بِنَمْخِيزِ فِكره والعملِ على نَفْضِه من أَدْرانِ الفَلَسَفَةِ المَزْخَرَفَةِ ولُوثاتِ الحَضارةِ السَّفِيهةِ.. لِكَبْحِ جِمَاحِ ما في رُوحِه من أَحاسيسٍ نَفْسانِيَّةٍ مُنحازةٍ لِصالحِ أوروپا".¹⁵⁹

وفي توصيف دقيق لهذا الواقع، يرى الباحث خضير جاسم حالوب أن العولمة تمثل ذروة التدافع الثقافي غير المتكافئ، معتبراً إياها:

"من أشد وأعنف وسائل الغزو الثقافي؛ لأنها تساهم في تنمية الاستهلاك الإسلامي للثقافة الغربية وأيديولوجياتها الخاصة... فنجحت في استبدال هوية المسلمين الثقافية، وجعلت منهم أسواقاً لتصريف منتجاتها، ولا زالت تسعى للقضاء على الدين وأمركة المسلمين" (160)

¹⁵⁹ النورسي، *اللمعات*، 162.

¹⁶⁰ خضير حالوب - كرار حسين، "وسائل الغزو الثقافي وأهدافها: العولمة أنموذجاً"، *مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية* 1/13 (2023)، 298.

يروم هذا الفصل استجلاء الانعكاسات السلبية للعولمة على البناء العقدي عبر تفكيك آليات اختراقها ومجالات تأثيرها، وتقييم مخرجاتها على المستويين المعرفي والواقعي، وينبثق هذا التحليل من إدراك عميق للطبيعة المزدوجة للعولمة في بعدها الاستهلاكي والأيدولوجي، في مقابل الخصائص الحصينة للعقيدة الإسلامية التي تمثل خط الدفاع الأول عن الذات الحضارية.

إن رصد هذه السلبيات وتحليلها لا يهدف إلى إنكار الفرص والمكتسبات التي أفرزتها العولمة - والتي تم استعراضها سابقاً- بل يأتي في سياق قراءة موضوعية شاملة تروم تشكيل وعي إسلامي متكامل؛ وعي يقوى على استثمار الأدوات الحديثة بفاعلية، مع مواجهة محاولات التنميط والتبعية بصلاصة عقدية ومنهجية واعية.

أولاً: الجذور الفلسفية والبنية المادية للصدام الحضاري

المنزع الإقصائي في التفكير الغربي: إن التأثيرات السلبية للعولمة لا تنبع من فراغ، بل هي ثمرة عداء تاريخي وبنية فكرية غربية تستبطن إقصاء الإسلام كمنظومة منافسة، وفي تشخيص دقيق للتعصب الذي يغلف سياسات العولمة، يؤكد الباحث آصف حسين على ضرورة تعرية هذا التوجه المستتر قائلاً:

إن هناك حاجة ماسة " لتوفير الحقائق التي تعكس التعصب والكره والعداء المستبطن في التفكير المعادي للإسلام في الغرب... لتوعية الباحثين بالأخطار المشحونة في التقليد المعادي للإسلام، ففي عالم مليء بالمعتقدات المختلفة التي يفترض أن تتعايش معاً، من الضروري الفهم المتبادل لأراء الآخرين كما هي " (161) لكشف هذه الجذور لحماية الهوية.

مادية الحضارة وإقصاء الغيب: تتضاعف خطورة هذا الطرح حين ندرك أن الحضارة الغربية التي تقود قاطرة العولمة المعاصرة تركز بنيتها على إقصاء الغيب وتأليه المادة، وهو ما يفككه الدكتور غازي التوبة كاشفاً عن الخلل الجوهرية في هذه البنية وتأثيراتها، حيث يرى أن:

(161) آصف حسين، صراع الغرب مع الإسلام (استعراض للعداء التقليدي للإسلام في الغرب)، ترجمة مازن

مطبّقاني (الرياض: مركز الفكر المعاصر - دار الوعي للنشر والتوزيع، 2013)، 21.

"الحضارة الغربية في بنيتها الأساسية قد استبعدت الوحي من توجيه الحياة، وأحلت مكانه العقل البشري المطلق والنزعة المادية، مما جعل تأثيراتها على مجتمعاتنا تتمثل في محاولة فك الارتباط بين المسلم وعقيدته، وتحويله إلى مجرد كائن استهلاكي يدور في فلك المنفعة الدنيوية"⁽¹⁶²⁾

ثانياً: خطورة الاختراق الثقافي واستحالة "الذوبان"

يبرز البعد الثقافي كأحد أخطر تجليات العولمة؛ كونه المعول الأساس لاختراق الكيانات الحضارية، وفي مقدمتها الكيان العربي الإسلامي، وقد تنامت مركزية "الثقافة" في استراتيجيات العولمة عبر ما يُعرف بـ "الغزو الناعم"، الذي يستهدف فرض قيم الغالب وتحطيم حصون المقاومة لدى الشعوب.

وعلى الرغم من هذا الضخ الثقافي الكثيف، يقر بعض المفكرين الغربيين باستحالة تحقيق "ثقافة عولمية" تذيب الشعوب ذات الجذور الدينية العميقة، وفي هذا السياق، يشير صمويل هنتنجتون في أطروحته (الغرب متفرد وليس عالمياً) إلى حقيقة سوسيولوجية مفادها أن استهلاك البضائع الغربية لا يعني بالضرورة الاندماج في نسيجها الحضاري لأن:

"الحضارة الغربية تختلف من حيث الثقافة، والدين، والقيم، والعادات، والتقاليد" ⁽¹⁶³⁾

ثالثاً: الموقف الإسلامي (التميز الإيجابي ورفض التبعية)

في مواجهة هذه الضغوط، تتجلى عبقرية العقيدة الإسلامية في صياغة موقف متوازن يقوم على "التميز دون الانعزال".

ثبات الهوية ورفض التبعية: يؤصل الدكتور يوسف القرضاوي لهذا الموقف مبيناً أن المجتمع المسلم لا يذوب في الثقافات الوافدة، ولا يقلدها فيما هو من خصائصها لئلا يفقد أصالته، ويؤكد أن التميز لا يعني القطيعة، بل إن المجتمع المسلم:

⁽¹⁶²⁾ غازي التوبة، الحضارة الغربية بنيتها وتأثيراتها علينا دراسة ونقد (اسطنبول: دار الأصول العلمية، 2023).

⁽¹⁶³⁾ كلاوس مولر، العولمة، دبت، 12 (نقلاً عن مقال هنتنجتون: "الغرب، متفرد وليس عالمياً").

"يستطيع أن يقتبس منها، وينتفع بما لديها من معارف وخبرات لا تضر بكيانه... لأن العلم المحض وما يتفرع عنه من مخترعات لا جنسية له ولا لون، إنه كالماء يأخذ لون الإناء الذي يوضع فيه"⁽¹⁶⁴⁾.

المخالفة المنهجية والتحسين القرآني: يتجلى الثبات العقدي في رفض المجتمع المسلم للمبادئ التي تصطدم مع الوحي، التزاماً بالمخالفة المنهجية التي حرص عليها النبي ﷺ لحماية الهوية من التماهي، وقد تضافرت النصوص القرآنية للتحذير من اتباع "الأهواء" الوافدة، سواء في العهد المكي كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: 18]، أو في العهد المدني الذي أكد على الاستقلال بالمرجعية في قوله تعالى:

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: 49]

القاعدة المعيارية: يختم القرضاوي هذا التأسيس بوضع "شعار" للمسلم في عصر العولمة يمثل ميزان القبول والرفض:

"إن كان فيها ما في الإسلام فقد أغنانا الله بالإسلام، وإن كان فيها ما يخالف الإسلام، فنحن لا نبيع ديننا بملك المشرق والمغرب"⁽¹⁶⁵⁾ تمثل المفاهيم في عصر العولمة حقل صراع استراتيجي؛ إذ لا تكفي القوى المهيمنة بإعادة تعريف الأشياء، بل تسعى لإعادة صياغة مصطلحات الأمة لتجريدها من استقلالها الحضاري والمنهجي، وفي بيان خطورة هذا المنزلق، يذكر الباحث مصطفى أنشاصي:

⁽¹⁶⁴⁾ القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، 292.

⁽¹⁶⁵⁾ القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، 293.

"تأخذ المفاهيم والمصطلحات حيزاً كبيراً في صراع الأمة مع الآخر، وقد غدت معركة المفاهيم جزءاً مهماً من معركة الآخر معنا... فكل شكل من أشكال المقاومة والممانعة ضدها يُسمى (إرهاباً)، وكل إساءة للثوابت تُدرج تحت (حرية التعبير)"⁽¹⁶⁶⁾.

إن التحديات الفكرية والعقدية التي تفرضها العولمة تتجاوز الخطر فيها حدود فرض أنماط الاستهلاك المادي، ليتحول إلى مشروع أيديولوجي شمولي يستهدف إعادة صياغة المفاهيم الدينية وتفكيك البنية التحتية للعقيدة الإسلامية، وتتجلى خطورة هذه التحديات في المحاور الرئيسة التالية:

- **التوظيف "النفعي" للدين (خطة "أمركة" العقيدة):** تسعى العولمة لتفريغ الدين من مضمونه الجهادي والتشريعي، وتحويله إلى طقوس روحية فردية لا تعارض الهيمنة الغربية (الإسلام الأمريكي)، وتكشف التقارير الرسمية هذا المخطط، حيث تشير إلى أن خطة تطوير الخطاب الديني تركز على: "تقليل الاهتمام بالجانب الديني في الحياة الاجتماعية العامة..، وأن إحدى الوسائل الأساسية للقضاء على الجانب الديني يجب أن تتضمن إغراق الشعوب... بأنماط مختلفة من الحياة العصرية الغربية"، ويمتد التحريف للمصطلحات، حيث رأت اللجان الغربية "أن لفظ (الجهاد) يجب أن يقتصر على جهاد النفس مع الالتزام بالعبادات فقط"⁽¹⁶⁷⁾ وهذا التوظيف النفعي للعقائد ليس جديداً، بل هو استنساخ لتجربة تاريخية، حيث "قام اليهود بابتداع مذهب جديد في النصرانية هو المذهب البروتستانتي بقيادة مارتن لوثر الذي دعا إلى عودة اليهود إلى فلسطين..، وجعل أساس اعتقاده أن قيام إسرائيل هي مشيئة الرب"⁽¹⁶⁸⁾ لتطويع الدين لخدمة أهداف سياسية.
- **تفكيك "الترابط العضوي" للإيمان (تحدي الدين الانتقائي):** تروج العولمة لنمط التدين الفردي والانتقائي حيث يأخذ الفرد من الدين ما يوافق هواه ويرفض الباقي؛ هذا التوجه يصطدم جذرياً مع طبيعة العقيدة الإسلامية؛ إذ إن أركان الإيمان "أصول ستة عظيمة...

⁽¹⁶⁶⁾ مصطفى أنشاصي، "معركة المفاهيم الحضارة.. الثقافة.. العولمة.. هي الدين"، شؤون العصر 24/11

(2007)، 1.

⁽¹⁶⁷⁾ سويلم، ثقافتنا في مفترق الطرق، 28-29.

⁽¹⁶⁸⁾ المعاينة، أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر، 2.

مترابطة متلازمة، لا ينفك بعضها عن بعض، فالإيمان ببعضها مستلزم للإيمان بباقيها، والكفر ببعضها كفر بباقيها"⁽¹⁶⁹⁾ فالإيمان وحدة واحدة لا تقبل التجزئة أو العلمنة.

- **تدويب عقيدة "الولاء والبراء" وسقوط مفهوم "دار الإسلام":** تفرض العولمة مفهوم "المواطنة العالمية المطلقة" و"المستهلك العالمي" لإلغاء الفوارق العقدية؛ هذا الطرح يهدد عقيدة "الولاء والبراء" التي تعد حجر الزاوية في التمايز الإسلامي، حيث يقرر المنهج المعياري للعقيدة أن: "من مقتضيات كلمة التوحيد، ولوازمها: الولاء والبراء... فأیما عبد تخلى عن هذا الأصل العظيم فقد تخلى عن العمل بمقتضى: لا إله إلا الله"⁽¹⁷⁰⁾ وقد أدى الضغط العولمي إلى تحول جيوسياسي خطير في الوعي؛ إذ يلاحظ الدكتور خالد زيادة أن "العالم لم يعد منقسماً إلى دار حرب ودار إسلام بقدر ما هو منقسم إلى عالم قوي وعالم يتأكد ضعفه"⁽¹⁷¹⁾ مما يعكس سيادة منطق القوة المادية على منطق العقيدة.

- **الطعن في ثوابت الشريعة (تحدي العلمنة القانونية):** تتحول العولمة من نمط حياة إلى "ناقض" لثوابت الدين من خلال التشكيك في صلاحية الشريعة، وخاصة قضايا المرأة بدعوى أن "الإسلام ظلم المرأة..، وهذا التشكيك يضرب في صميم العقيدة إذ يزرع الشك في عدالة الله وحكمته"⁽¹⁷²⁾ وفي مواجهة فرض القوانين الدولية الوضعية كمرجعية عليا تبرز عقيدة التحاكم للشريعة كضرورة إيمانية؛ لأن "التحاكم إلى ما أنزل الله من مقتضيات توحيد الألوهية..، والحكم بما أنزل الله واجب على الأفراد والجماعات والدول"⁽¹⁷³⁾

- **الاستقطاب الحاد (بين "غربة الزمان" و"غربة المكان"):** أفرزت صدمة العولمة حالة من الاستقطاب الفكري الخطير في المجتمع المسلم؛ بين منغلق وذائب، ويشخص المفكر فهمي هويدى هذا الانقسام قائلاً: "ثمّة مدرسة فكرية... تعيش الماضي وتستعذبه وتحاول أن تستحضره باستمرار... وهؤلاء هم دعاة غربة الزمان... بالمقابل، فثمّة مدرسة أخرى

⁽¹⁶⁹⁾نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، تمهيد في أصول الإيمان.

⁽¹⁷⁰⁾نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، الباب الثالث: مسائل متفرقة / الفصل الثاني: الولاء والبراء.

⁽¹⁷¹⁾زيادة، تطور النظرة الإسلامية إلى أوروبا، 79.

⁽¹⁷²⁾السنافي، أثر الانحراف الفكري على المرأة المسلمة، 128.

⁽¹⁷³⁾نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، • الباب الأول: الإيمان بالله / توحيد الألوهية.

لا ترى خلاصاً إلا باستنساخ التجربة الغربية... وهؤلاء هم دعاة غربة المكان... وبقيننا أن هؤلاء وهؤلاء يخطئون الطريق... إذ كل منهما يعد صيغة مبطنة للهروب من الواقع" (174).

- **الإلحاد الإعلامي ومقابله (الهروب إلى الخرافة):** تستغل القوى الموجهة للعولمة الآلة الإعلامية لنشر القيم اللادينية والإلحادية لضرب المعامل الإيمانية (175)، وفي مقابل هذا الضغط المادي والنفسي العنيف للعولمة تبرز ظاهرة عكسية خطيرة تتمثل في "الهروب إلى الغيب والخرافة" (كالجوء إلى عالم الجن والدروشة) كبديل عن التدين الواعي الفاعل؛ يصف هويدي هذا الهروب بأنه انصراف "عن هموم الدنيا إلى هموم القيامة، وعن الأسباب إلى الأقدار... إنها ثقافة عصور العجز والفشل" (176).
- **المنهجية العلاجية (الجمع بين القراءتين):** في مواجهة علمانية العولمة التي تفصل الدين عن العلم، يبرز المنهج المعرفي الإسلامي الذي يقدم الحل الجريء والمتمثل في "الجمع بين القراءتين" يؤصل الدكتور طه جابر العلواني لهذا المنهج بوصفه القلب النابض للتعافي قائلاً: "الجمع بين القراءتين أساس وقاعدة... فكل من القراءتين ركن معرفي ومصدر إنشائي لا يمكن تجاوزه..، ويستحيل قيام عمران رشيد، وحضارة سديدة بدون جمعها وضمهما معاً... قراءة الوحي وقراءة الكون" (177)

3.2.1.1. نشر الفلسفات المادية والإلحادية

تعد الفلسفات المادية والإلحادية من أشرس التحديات الفكرية والعقدية التي تفرضها العولمة على المجتمعات الإسلامية، فالأمر لم يعد مقتصرًا على تصدير منتجات تقنية، بل تعداه إلى تصدير "رؤية للكون" تتصادم جذرياً مع العقيدة الإسلامية، وتتجلى خطورة هذا الاختراق في المسارات التالية:

- **الترويج الكثيف للفلسفات المادية (حصر الوجود في المادة):** تسهم العولمة في طغيان النزعة المادية التي تنكر وجود الله تعالى، وتحصر الوجود في المادة المحسوسة وحدها،

(174) هويدي، أزمة الوعي الديني، 6-7.

(175) المعاينة، أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر، 3.

(176) هويدي، أزمة الوعي الديني، 64-76.

(177) العلواني، إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم، فصل: الجمع بين القراءتين.

نافيةً أي بعد روعي أو غيبي في الحياة؛ وتُمرر هذه الفلسفات عبر شبكة معقدة تشمل وسائل الإعلام العالمية، والإنترنت، وحتى بعض المناهج والمؤسسات التعليمية التي تتبنى هذه الرؤية وتروج لها كمسلّمات علمية.

• **نشر الأفكار الإلحادية الصريحة (الإلحاد الجديد):** وفرت الفضاءات المفتوحة للعولمة منابر مجانية لنشر الأفكار الإلحادية التي تدعو صراحة إلى التخلي عن الدين، وتصويره كـ "أسطورة" أو من مخلفات العصور القديمة التي تجاوزها العلم؛ ويتم ضخ هذا المحتوى عبر الكتب المترجمة، والمقالات، والمنصات الرقمية التي تستهدف عزل الإنسان عن خالقه.

• **تقديم "بدائل أيديولوجية" عن العقيدة الإسلامية:** تعمل العولمة على تقديم بدائل فكرية (كالعلمانية، والليبرالية المتطرفة، والوجودية) باعتبارها أنظمة الخلاص الملازمة للعصر الحديث ونماذج للتقدم، وفي تنفيذ بلوغ لتهافت هذه البدائل ونظرتها المشوهة للإنسان مقارنة بالإسلام، يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "وبعض المذاهب والفلسفات (الآلهة) الإنسان، واعتبرته كائنًا مستقلاً، (يقوم وحده) مستغنياً عن الله، فأساءت إلى الإنسان من حيث أرادت الإحسان إليه، وجعلته (نباتاً شيطانياً) خرج إلى الوجود من غير زارع، ولغير هدف، إلا أن يببس ويصبح هشياً تذروه الرياح..، وبعض المذاهب - كالأسمالية - تدلل الإنسان الفرد، وتطلق له العنان، حتى يتحطم في النهاية - باسم الحرية - دون أن تجعل للمجتمع حقاً في مراقبته..، وبعض آخر - كالشيوعية - يضغط على الإنسان الفرد، ويكبله بقيود شتى... باسم المجتمع، حتى يكاد يسحقه سحقاً؛ أما الإسلام، فقد تميز عن هذه الأديان والفلسفات بنظرته الشاملة المحيطة لماهية الإنسان، والنفاذ إلى أغوار طبيعته... دون ميل أو شطط" (178)،

• **زعزعة اليقين وتشكيك الشباب المسلم في عقيدته:** تستهدف هذه الماكينة العولمية الجيل الصاعد بشكل خاص، من خلال تعريضه لسيل متواصل من الشبهات والطعون التي تضرب في أصول العقيدة؛ ويوضح الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي هذه المنهجية قائلاً: "الفلسفات المادية والإلحادية التي تروج لها العولمة تستهدف تشكيك الشباب المسلم في عقيدته..، وهذه الشبهات والطعون، وإن كانت قديمة في جوهرها إلا أنها تقدم بأساليب

(178) القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، 86.

جديدة، وبلغة العصر مما يجعلها أكثر تأثيراً في الشباب المسلم خاصة من لم يتلق تعليماً دينياً متيناً⁽¹⁷⁹⁾.

إن خطورة هذا الضخ العولمي تكمن في مساسه بقلب العقيدة، وهو ما يؤكد الدكتور محمد عمارة بقوله: "العولمة بما تحمله من فلسفات مادية وإلحادية تمثل تحدياً خطيراً للعقيدة الإسلامية؛ لأنها تستهدف جوهر هذه العقيدة وأساسها، وهو الإيمان بالله تعالى؛ فالفلسفات المادية والإلحادية تنكر وجود الله تعالى، وتحصر الوجود في المادة وحدها..، وهذا يتناقض تماماً مع جوهر العقيدة الإسلامية"⁽¹⁸⁰⁾

3.2.1.2. تشويه مفاهيم العقيدة الإسلامية

لا تقتصر تحديات العولمة على نشر الإلحاد المباشر، بل تمتد إلى استراتيجيات أشد خطورة تتمثل في تشويه مفاهيم العقيدة الإسلامية وتفريغها من محتواها الأصيل، وتعتمد العولمة في شقها الأيديولوجي والإعلامي على آليات منهجية لتحقيق هذا الاختراق، أبرزها:

- **تقديم صورة نمطية مشوهة عبر الآلة الإعلامية:** تُسخر العولمة وسائل الإعلام العالمية والمنصات الرقمية لتقديم صورة مجتزأة ومشوهة عن الإسلام؛ حيث تعتمد تسليط الضوء على جوانب معينة وإخراجها من سياقها، مع التجاهل التام للجوانب الحضارية والإنسانية مما يرسخ صورة ذهنية سلبية عن العقيدة الإسلامية لدى الرأي العام العالمي.
- **الخلط المتعمد بين "العقيدة" و"الممارسات الخاطئة":** تعمل أدوات العولمة على استغلال الممارسات الخاطئة أو المتطرفة لبعض المنتسبين للإسلام، وتعميمها لتكون ممثلة للعقيدة الإسلامية ذاتها؛ هذا الخلط المنهجي يهدف إلى إلصاق تهم الإرهاب والرجعية بالدين، وتنفير المسلمين وغير المسلمين منه.
- **اختراق مفهوم "التوحيد" (جوهر العقيدة):** تسعى العولمة الثقافية عبر الترويج لبعض الفلسفات الروحانية الشرقية أو الغربية الحديثة (تحت مسميات مختلفة كطاقاة الكون أو

(179) البوطي، قضايا ساخنة: التشريع - الإرهاب - العولمة الإنسانية والعولمة الاستعمارية، 130.

(180) عمارة، العولمة والعقيدة: دراسة في التأثيرات المتبادلة، 2003، 85.

الروحانية الشاملة) إلى تشويه مفهوم التوحيد الخالص، ويتم ذلك من خلال تسريب مفاهيم مغلوبة تتناقض مع التوحيد الإسلامي مثل: وحدة الوجود، والحلول، والاتحاد¹⁸¹.

• تشويه مفهوم "الولاء والبراء" وتجريم التمايز العقدي: يُعد مفهوم "الولاء والبراء" الحصن الذي يحمي هوية المسلم من الذوبان، ولذلك تستهدفه العولمة بتشويه متعمد؛ حيث تصوره على أنه دعوة للكراهية، والعنصرية، وإقصاء الآخر متجاهلاً جوهره الحقيقي المتمثل في الحب في الله، والولاء للمؤمنين، والبراءة من أفعال الشرك والمعاصي دون الاعتداء على المخالفين المسالمين.

في سياق تحليل هذا التشويه الممنهج، يشير الدكتور يوسف القرضاوي إلى خطورة الآلة الإعلامية قائلاً: "العولمة بما تملكه من وسائل إعلامية ضخمة، تسهم في تشويه مفاهيم العقيدة الإسلامية، من خلال تقديم صورة مشوهة عنها تركز على جوانب معينة وتتجاهل جوانب أخرى... فالإعلام الغربي على سبيل المثال يركز على مفاهيم الجهاد والولاء والبراء، ويقدمها بصورة مشوهة تصورها على أنها دعوة إلى العنف والكراهية، متجاهلاً جوهرها الحقيقي ومقاصدها السامية"⁽¹⁸²⁾

ومن الزاوية العقديّة البحتة، يحذر الشيخ صالح الفوزان من تغلغل الفلسفات المشوهة لجوهر الدين مبيناً أن: "العولمة تسهم في تشويه مفهوم التوحيد، الذي يعد جوهر العقيدة الإسلامية، من خلال الترويج لمفاهيم مغلوبة، مثل وحدة الوجود، والحلول والاتحاد، وغيرها من المفاهيم التي تتناقض مع مفهوم التوحيد الصحيح؛ وهذه المفاهيم المغلوبة تجد طريقها إلى عقول بعض المسلمين، خاصة ممن لم يتلق تعليماً عقدياً صحيحاً مما يؤدي إلى انحرافهم عن العقيدة الصحيحة"⁽¹⁸³⁾.

3.2.1.3. الترويج للنسبية الدينية والأخلاقية والمعرفية

تُعد الفلسفة "النسبية" بمختلف تجلياتها من أخطر التحديات الفكرية والعقدية التي تفرضها العولمة؛ إذ إنها تستهدف هدم فكرة "اليقين" و"الحقيقة المطلقة" التي تمثل حجر الزاوية في العقيدة الإسلامية، وتتجلى هذه النسبية ومخاطرها في المحاور التالية:

¹⁸¹ أحمد دعدوش، "روحانية بدون تدين.. طائفة جديدة تنافس الإلحاد!"، موقع السبيل. (2025). *al-sabeel*

⁽¹⁸²⁾ القرضاوي، *المسلمون والعولمة*، 130.

⁽¹⁸³⁾ الفوزان، *شرح العقيدة الواسطية*، 167.

• **النسبية الدينية (تذويب الفوارق العقدية وادعاء نهاية التاريخ):** تروج العولمة لفكرة أن جميع الأديان متساوية، وأنه لا يوجد دين "حق" وآخر "باطل"، جاعلةً مسألة الاعتقاد مجرد خيار شخصي يخضع للذوق الفردي (كأي سلعة استهلاكية)؛ هذا الطرح يتناقض جذرياً مع عقيدة المسلم التي تؤمن بقطعية ومركزية الإسلام كدين خاتم وحق مطلق؛ ويمتد هذا التحدي لي طرح النموذج العولمي كبديل نهائي للأديان؛ وهو ما يتجلى في فكرة "نهاية التاريخ" لفرانسيس فوكوياما، والتي تُعد التعبير الفلسفي عن العولمة؛ "إنها تعني أن النموذج الغربي الليبرالي هو سقف التطور البشري، وأنه لا يوجد أي نموذج آخر (إسلامي أو غيره) يمكن أن يقدم بديلاً... هذا نوع من (الحتمية المادية) التي تلغي إرادة الإنسان وتلغي الغيب"⁽¹⁸⁴⁾.

• **النسبية المعرفية (تفكيك الحقيقة):** تروج آلة العولمة لفكرة أن المعرفة نسبية، وأنه لا توجد حقائق مطلقة، وأن كل ما يعتقد الإنسان من غيبيات أو ثوابت هو في الواقع مجرد "وجهات نظر" أو "سرديات كبرى" قابلة للتغيير والتبديل، وتتصادم هذه النسبية المعرفية مع العقيدة الإسلامية التي تؤسس لبنانياتها المعرفي على حقائق الوحي الإلهي المطلقة غير القابلة للتبديل.

• **النسبية الأخلاقية (فصل الأخلاق عن الوحي):** تسعى العولمة إلى فك الارتباط بين الأخلاق والدين مروجاً لفكرة أن الأخلاق مجرد "بناء اجتماعي" نسبي؛ يختلف باختلاف الزمان، والمكان، والمصلحة المادية؛ في المقابل، تؤمن العقيدة الإسلامية بأن الأخلاق منظومة مطلقة مستمدة من الوحي الإلهي، وصالحة لكل زمان ومكان، ولا تخضع لأهواء الأغلبية.

• **النسبية القيمية (تطويع الثوابت وخطة "الأمركة"):** إلى جانب النسبية الأخلاقية، تفرض العولمة نسبية قيمية تسعى لتفكيك القيم الإسلامية العليا وإعادة تعريفها لتناسب الهيمنة الغربية، ويظهر هذا جلياً في مخططات "أمركة" العقيدة وتفريغ الدين من مضمونه؛ حيث تشير تقارير لجان تطوير الخطاب الديني إلى أهمية "تقليل الاهتمام بالجانب الديني في الحياة الاجتماعية العامة..، وأن إحدى الوسائل الأساسية للقضاء على الجانب الديني يجب أن تتضمن إغراق الشعوب العربية الإسلامية بأنماط مختلفة من

⁽¹⁸⁴⁾المسيري، العلمانية والحداثة والعولمة، 40-45.

الحياة العصرية الغربية"، ويمتد هذا التطويع النسبي للمصطلحات القطعية حيث رأت تلك اللجان "أن لفظ (الجهاد) يجب أن يقتصر على جهاد النفس مع الالتزام بالعبادات فقط" (185) مما يعكس سعيًا حثيثاً لنسبة الثوابت وإخضاعها للرغبة الغربية.

في تشخيص دقيق لهذا الخطر المحدق، يقرر الدكتور طه جابر العلواني أن: "النسبية الدينية والأخلاقية التي تروج لها العولمة تمثل تحدياً خطيراً للعقيدة الإسلامية، لأنها تستهدف جوهر هذه العقيدة وأساسها، وهو الإيمان بأن الإسلام هو الدين الحق، وأن ما سواه من الأديان باطل؛ فالنسبية الدينية تساوي بين الإسلام وغيره من الأديان، وتجعل اختيار الدين مسألة شخصية خاضعة لذوق الفرد وميوله، وهذا يتناقض تماماً مع عقيدة المسلم" (186) ويتفق الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي مع هذا الطرح، محذراً من الشق الأخلاقي بقوله: "النسبية الأخلاقية التي تروج لها العولمة تمثل تحدياً خطيراً للعقيدة الإسلامية... فالنسبية الأخلاقية تجعل الأخلاق خاضعة للتغيير والتبديل تبعاً لتغير الزمان والمكان والثقافة، وهذا يتناقض تماماً مع عقيدة المسلم التي تؤمن بأن الأخلاق الإسلامية مطلقة مستمدة من الوحي الإلهي، وصالحة لكل زمان ومكان" (187)

3.2.2. التأثيرات السلبية للعولمة الثقافية على العقيدة الإسلامية

يتناول هذا القسم التأثيرات السلبية للعولمة الثقافية على العقيدة الإسلامية من جوانب فلسفية واجتماعية عميقة؛ فالعولمة لا تكتفي بتغيير أنماط الاستهلاك الظاهرية، بل تسعى إلى إعادة هندسة رؤية الإنسان للكون والطبيعة ونفسه، مبتعدةً به عن المركزية الإلهية لصالح مركزية المادة، وهي في هذا السياق تشكل الحاضنة الكبرى للمذاهب الفكرية التي تسعى لهدم الخصوصيات الدينية، ويحلل الأستاذ محمد قطب خطورة هذا الضخ الممنهج بوصف العولمة هي الوجه الجديد لـ "الجاهلية المعاصرة" التي تسعى لتأليه المادة والمتعة، وتكمن خطورتها – عنده - في: "تمكين المذاهب الفكرية المنحرفة كالعلمانية والإلحاد، من خلال الهيمنة الإعلامية والتعليمية التي تستهدف نزع اليقين العقدي من قلوب الشباب المسلم" (188)، وتتحول العولمة في بعض وجوها

(185) سويلم، ثقافتنا في مفترق الطرق، 28-29.

(186) العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، 1995، 134.

(187) البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، 145.

(188) محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة الديمقراطية الشيوعية العلمانية العقلانية القومية والوطنية الإنسانية

الإلحاد (القاهرة - بيروت: دار الشروق، د.ت)، 112.

إلى أداة لفرض النموذج الغربي قسراً مما يخلق حالة من الصدام الحضاري يوضحه الدكتور جعفر شيخ إدريس مبيناً أنها في حقيقتها محاولة لـ "أمركة العالم" وفرض ثقافة واحدة لا تقبل التعدد، حيث يكمن التحدي العقدي في الصمود أمام هذا التنميط، وتقديم "البعث الإسلامي" كنموذج بديل يحترم الفطرة ويحفظ كرامة الإنسان" (189).

إن خطورة العولمة لا تكمن فقط في "الغزو الخارجي"، بل في قدرتها على تشكيل "مزاج فكري" داخلي يميل نحو الليبرالية والتحلل من الانضباط العقدي؛ وهو ما يصفه الباحث عبد الله العجيري بـ "غلبة المزاج الليبرالي" الذي يتجاوز مجرد تبني أفكار سياسية ليصبح نمطاً في التفكير يرفض القيود العقدية، ويعيد صياغة الدين ليوافق أهواء النفس، مما يؤدي إلى "تميع المحكمات" تحت دعاوى التجديد وحرية الفكر" (190)، وقد أفرزت هذه الضغوط نوعاً من الخطاب الذي يحاول "مغازلة" القيم الغربية عبر تهميش القضايا العقدية الكبرى والتركيز المفرط على "المشترك المدني"، وهو ما يحلله الأستاذ إبراهيم السكران كاشفاً عن إشكالية "الذهول عن النص" والمركزية الغربية التي تسيطر على وعي هذا الخطاب، مما يجعله يُقدم قضايا التنمية والحرية على حساب الارتباط بالله، لينتهي الأمر بتحويل الدين إلى مجرد "قيم أخلاقية عامة" لا سيادة لها في الواقع" (191).

إن هذا الانبهار بالنموذج الغربي الذي نرصده في تحول المسلم من "متبوع" إلى "تابع"، يجد تفسيره النبوي التحذيري في صحيح البخاري ومسلم؛ حيث قال ﷺ: (لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشَبْرٍ...))¹⁹². وهذا يمثل قمة "قابلية الاختراق الثقافي" والتي تتجلى خطورته في المحاور التالية:

(189) جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات بين عولمة غربية وبعث إسلامي (الرياض: مجلة البيان، 1433)،

(190) عبد الله بن صالح العجيري، ينبوع الغواية الفكرية غلبة المزاج الليبرالي وأثره في تشكيل الفكر والتصورات (الرياض: مجلة البيان، 1434)، 25.

(191) إبراهيم السكران، مآلات الخطاب المدني (الرياض: مركز تفكير للبحوث والدراسات، 2014)، 15.

¹⁹² محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ed. by مصطفى ديب البغا (دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة، 1414)، 1274/3؛ 3269؛ مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم - ت محمد فؤاد عبد الباقي - ط دار إحياء الكتب العربية، 2054/4؛ 2669.

• **أولاً: ضرب عقيدة "التنزيه" عبر نشر الفلسفة "الحلولية" المادية:** تمهد الثقافة العولمية لتصور مادي للكون يلغي المسافة بين الخالق والمخلوق، وهو ما يُعرف بالفلسفة "الحلولية"؛ يوضح الدكتور عبد الوهاب المسيري خطورة هذا المفهوم على التوحيد قائلاً: "الحلولية هي المذهب القائل بأن العالم كلُّ واحد متماسك بشكل عضوي... خاضع لقوانين واحدة كامنة فيه؛ ويذهب مذهب الحلول إلى أن كل ما في الكون (الإله والإنسان والطبيعة) مكوّن من جوهر واحد... المبدأ الواحد المنظم للكون ليس مفارقاً أو متجاوزاً له أو منزهاً عنه، وإنما كامن حالّ فيه..، ولأن الكون كله مكون من جوهر واحد، يُنكر هذا المذهب وجود الحيز الإنساني المستقل..، وينكر أي اختلاف بين الإنسان والطبيعة (المادة)" (193) إن هذا الطرح العولمي ينسف أساس العقيدة الإسلامية القائمة على مبدأ "المباينة" والتنزيه المطلق للخالق عن مخلوقاته، ويحول الوجود إلى كتلة مادية صماء تُلغي مفهوم الألوهية والربوبية المستقلة.

• **ثانياً: ظاهرة "التشويؤ" وفقدان الروحانية:** تُعد الثقافة الاستهلاكية التي تفرضها العولمة أداة لتفريغ الإنسان من محتواه الروحي والعقدي، وتحويله هو ذاته إلى "سلعة"؛ يصف المسيري هذه الحالة بـ "التشويؤ" مبيناً أن: "التشويؤ هو أن يتحول الإنسان إلى شيء تتمركز أحلامه حول الأشياء، فلا يتجاوز السطح المادي وعالم الأشياء..، والإنسان المتشويؤ إنسان قادر على الإذعان للمجردات المطلقة (المادية)..، وهذا وصف جيد للإنسان الطبيعي الرشيد الذي يعيش حسب قوانين الطبيعة والمادة"، ويضيف في وصف أثر ذلك على الفاعلية الإنسانية: "وحيثما يتشويأ الإنسان، فإنه سينظر إلى مجتمعه وتاريخه... باعتبارهما قوى غريبة عنه تشبه قوى الطبيعة (المادية)... فيصبح الإنسان معمولاً به لا فاعلاً" (194) هذه النزعة التشويئية تحول العبادات من صلة روحية حية بالله إلى مجرد طقوس مادية مفرغة من الخشوع، أو تلغيها تماماً لصالح اللهاث المستمر خلف الاستهلاك.

• **ثالثاً: الحياد الأخلاقي الزائف (الفصل بين العلم والقيم):** تطرح العولمة الثقافية "العلم" والتكنولوجيا كقيمة مادية محايدة، وتفصلها فصلاً تعسفياً عن الأخلاق والدين، مما يؤدي

(193) علي، "بعض مفاهيم العولمة والحداثة.. رؤية د. عبد الوهاب المسيري".

(194) علي، "بعض مفاهيم العولمة والحداثة.. رؤية د. عبد الوهاب المسيري".

إلى توظيف المنجزات العلمية في تدمير الفطرة (كالتلاعب الجيني، أو الاستهلاك المدمر للبيئة)، وفي مواجهة هذا الفصل العلماني الخطير يبرز الحل المنهجي في إعادة دمج القراءتين؛ يؤصل الدكتور طه جابر العلواني لهذا العلاج قائلاً: "إسلامية المعرفة ضمن إطارها الفلسفي المعرفي، وضمن صلتها بالوحي وبالكون لابد أن تتحرك صوب أهداف ومقاصد عليا تمكن من إعادة الربط بين المعرفة والعلم والقيم..، والإسهام في حل إشكالات النهايات"⁽¹⁹⁵⁾ فالعقيدة الإسلامية ترفض حياد العلم إزاء الأخلاق، وتجعله خادماً لمقاصد الاستخلاف وعماراة الأرض بالحق.

3.2.2.1. الغزو الفكري والثقافي

تمثل العولمة الثقافية، بما تحمله من قيم وأفكار ومفاهيم، تحدياً خطيراً للعقيدة الإسلامية من خلال ما يُعرف بـ "الغزو الفكري والثقافي"، ولإدراك طبيعة هذا الغزو، لابد من فهم المنطلق الفلسفي الذي تصدر عنه هذه الثقافة الوافدة؛ إذ يشير الدكتور يوسف القرضاوي إلى طبيعتها الاستعلائية قائلاً: "إن روح الحضارة الغربية - ليبرالية كانت أو شيوعية - روح تمييز واستعلاء، وليست روح إخاء ولا مساواة"⁽¹⁹⁶⁾.

وانطلاقاً من هذه الروح الاستعلائية، يتجلى الغزو الفكري والثقافي للعولمة في جوانب عملية محددة:

1. **فرض النموذج الثقافي الغربي:** تسعى العولمة الثقافية إلى فرض النموذج الغربي (بقيمه، ومفاهيمه، وأنماط حياته) على المجتمعات الإسلامية، وتقديمه كمعيار أوحدهم للتقدم والحداثة، ويتم تكريس هذا النموذج عبر هيمنة وسائل الإعلام العالمية، وشبكة الإنترنت، والمؤسسات التعليمية والثقافية ذات التوجه الغربي.
2. **تهميش الثقافة الإسلامية:** تعمل الآلة الثقافية للعولمة على تهميش الثقافة الإسلامية وتصويرها كثقافة رجعية تعجز عن مواكبة العصر، ويُمرر هذا التهميش عبر تسليط الضوء الممنهج على جوانب القصور أو التراجع المادي في المجتمعات الإسلامية، مع التجاهل التام لمكامن القوة، والإبداع، والفاعلية الحضارية في العقيدة الإسلامية.

⁽¹⁹⁵⁾ العلواني، *إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم*، خاتمة الرؤية المنهجية.

⁽¹⁹⁶⁾ القرضاوي، *الخصائص العامة للإسلام*، 118.

3. تشويه صورة الإسلام والمسلمين: تُسهم العولمة الثقافية في تنميط صورة المسلمين إعلامياً، من خلال اختزال الإسلام في مشاهد العنف والتطرف والتخلف، وتغييب قيمه الحقيقية المتمثلة في التسامح والاعتدال، وتلعب صناعة السينما، والأدب، والإعلام الإخباري العالمي دوراً محورياً في هذا التشويه.

4. نشر القيم الغربية على حساب القيم الإسلامية: تستهدف العولمة إحلال منظومة القيم الغربية (كالفردانية المطلقة، والمادية، والعلمانية، والليبرالية المتطرفة) محل القيم الإسلامية الأصيلة (الجماعية والتكافل، والروحانية، والضوابط الدينية والأخلاقية المحافظة)، وتبرز تلك القيم الغربية بوصفها "قيماً عالمية" عابرة للثقافات.

الرؤية التحليلية لخطورة الغزو الثقافي:

في تشخيص دقيق لشمولية هذا التحدي، يرى الدكتور محمد عمارة أن: "العولمة الثقافية بما تحمله من قيم وأفكار ومفاهيم غربية تمثل تحدياً خطيراً للعقيدة الإسلامية من خلال ما يعرف بالغزو الفكري والثقافي، فهي تسعى إلى فرض النموذج الثقافي الغربي، بقيمه ومفاهيمه وأنماط حياته، على المجتمعات الإسلامية، وتهميش الثقافة الإسلامية، وتشويه صورة الإسلام والمسلمين، ونشر القيم الغربية في المجتمعات الإسلامية على حساب القيم الإسلامية" (197).

وتبرز الخطورة البالغة لهذا الغزو في كونه يستهدف "البنية الداخلية" للإنسان المسلم؛ وهو ما يؤكد الشيخ محمد الغزالي محذراً من أن: "الغزو الفكري والثقافي الذي تمارسه العولمة يستهدف تغريب المسلمين، وفصلهم عن هويتهم الإسلامية، وإحاقهم بالنموذج الثقافي الغربي؛ وهذا الغزو أخطر من الغزو العسكري لأنه يستهدف العقول والقلوب، ويسعى إلى تغيير القنوات والقيم، وهو ما يمثل تهديداً مباشراً للعقيدة الإسلامية التي تمثل جوهر الهوية الإسلامية" (198).

3.2.2.2. تدويب الهوية الإسلامية

تسهم العولمة الثقافية في تدويب الهوية الإسلامية من خلال سعيها الحثيث لتنميط المجتمعات ضمن قالب حضاري أحادي؛ إذ تمثل العولمة في سياقها المادي "الدرجة العليا في علاقات الهيمنة التبعية الإمبريالية، وهي لحظة التتويج لانتصار النظام الرأسمالي العالمي كونياً، الذي خرج من

(197) محمد عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام (القاهرة: نهضة مصر، 2004)، 89.

(198) الغزالي، عقيدة المسلم، 156.

رحم الدولة الوطنية، وما برحت هذه تعيد إنتاجه داخل حدودها وخارجها على السواء" (199) ،
وتعمل هذه الهيمنة على تقويض الهوية الإسلامية عبر أربع آليات منهجية:

1. **قسرية الثقافة الموحدة:** فرض أنموذج ثقافي يستند إلى المركزية الغربية وقيمها المادية، مع تجاهل تام للخصوصيات العقديّة التي تشكل جوهر الهوية الإسلامية.
2. **استراتيجية الإلحاق والذوبان:** دفع المجتمعات المسلمة نحو التخلي عن استقلالها القيمي، والترويج للنموذج الغربي باعتباره المسار الأوحده للحدّات والتقدم.
3. **الاستلاب اللغوي:** تهميش اللغة العربية - بوصفها الوعاء الحامل للوحي - وإحلال لغات المركز الغربي في مفاصل التعليم والتواصل، مما يضرب العمق العضوي للهوية الإسلامية.
4. **تنميط الرموز وتشويهه:** استخدام الآلة الإعلامية لتصوير الرموز الإسلامية (كالسمت والحجاب والمساجد) كعلامات للتخلف، لتوليد ضغط نفسي يدفع المسلم نحو الانسلاخ من مظاهر انتمائه.

وفي هذا السياق، تبرز خطورة استخدام شعارات براقه مثل "السلام العالمي" لتمير هيمنة القوي، وهو ما حذر منه سيد قطب مبيناً أن السلام الحقيقي ليس رضوخاً للقوة المادية، بل هو "الذي ينبثق من استقرار العقيدة في النفوس، وتحرر الإنسان من عبودية الطواغيت المادية ليكون عبداً لله وحده؛ وبغير ذلك يتحول (السلام العالمي) إلى قناع للاستعمار الجديد" (200) .

ويؤكد الدكتور محمد عمارة على هذا التلازم العضوي بين الهوية والعقيدة، مبيناً أن الهوية الإسلامية ليست مجرد انتماء تاريخي، بل هي "انتماء عقدي في المقام الأول يستند إلى الإيمان بالله تعالى وحده، والالتزام بشريعته" (201)، وهذا ما يعضده الشيخ يوسف القرضاوي بتأكيد على أن استهداف الهوية هو استهداف لأصل الدين؛ "لأن المسلم يستمد هويته من عقيدته التي تحدد له

(199) الخولي، العرب والعولمة، 1995، 310.

(200) سيد قطب، السلام العالمي والإسلام (القاهرة: دار الشروق، 1993)، 22.

(201) عمارة، العولمة والعقيدة: دراسة في التأثيرات المتبادلة، 2003، 112.

تصوره للكون والحياة، ولذلك فإن تذويب الهوية الإسلامية يعني في نهاية المطاف تذويب العقيدة الإسلامية نفسها" (202).

3.2.2.3. انتشار القيم المادية والاستهلاكية (تسليع الوجود)

لا تقتصر العولمة في جوهرها على فرض أنماط استهلاكية عابرة، بل هي محاولة بنيوية لفرض "المادية" كمنظومة بديلة تقطع صلة الإنسان بمرجعية الغيب، وفي نقد هذا التوجه الذي يجعل المادة هي الحاكم الأوحد على الوجود، يقرر الأستاذ عباس محمود العقاد أن هذا المذهب: "يحاول أن يحصر الإنسان في حدود الإنتاج والاستهلاك مجرداً إياه من خصائصه الروحية التي تميزه ككائن أخلاقي... إنها محاولة لتحويل (بني آدم) إلى تروس في آلة صماء، وهو ما يتصادم جذرياً مع تكريم الإسلام للإنسان بوصفه خليفة الله في أرضه" (203).

وقد أفرزت هذه الهيمنة نمطاً مستحدثاً من التدين يتسم بالاستهلاكية حيث تحول الخطاب الديني في بعض تجلياته إلى "سلعة" تخضع لقوانين السوق والمعايير النفعية، وهو ما يحلله الباحث الفرار العياشي كاشفاً عن دخول المجال الديني مرحلة التسويق والتسليع، حيث أصبح الدين أداة لها سعر داخل منظومة السوق؛ إذ يرى أن: "السوق الدينية محكومة بمنطق ما يطلبه الزبون، أي بقانون العرض والطلب؛ فالطلب هو من يتحكم في العرض، وارتفاع الطلب يحدد قيمة وسعر المعروض الديني" (204).

بناءً على ذلك تسهم العولمة الثقافية بشكل مكثف في نشر وتجزير القيم المادية والاستهلاكية في بنية المجتمعات الإسلامية، مما يمثل تهديداً مباشراً لجوهر العقيدة عبر إعادة صياغة غاية الإنسان ووجهته في الحياة، ويتجلى هذا الاختراق المادي في عدة مسارات:

1. تعظيم قيمة المادة (الغاية والوسيلة): تروج العولمة الثقافية لمنظومة قيم مادية تعظم من شأن الثروة والمتعة، وتجعل من التحصيل المادي الهدف الأسمى والنهائي للحياة، يتصادم هذا التوجه جذرياً مع العقيدة الإسلامية التي تؤسس لكون الهدف الأسمى للحياة هو عبادة

(202) القرضاوي، المسلمون والعولمة، 2000، 145.

(203) محمود عباس العقاد، الشيوعية والإنسانية في شريعة الإسلام (هنداوي، د.ت)، 85.

(204) الفرار العياشي، "الأسواق الدينية وعولمة السلوك الديني"، المستقبل العربي 497/43 (2020)، 137-140.

الله تعالى وعماراة الأرض بالحق، وأن المادة والثروة هما مجرد "وسيلة" لتحقيق هذه الغاية وليستا غاية في حد ذاتهما.

2. **تشجيع الاستهلاك المفرط (خلق الحاجات الوهمية):** تدفع العولمة نحو الاستهلاك المفرط والشره عبر الإعلانات والدعايات الموجهة التي تخلق حاجات وهمية لدى المستهلكين لا تنتهي، وهذا النهج الاستهلاكي يتناقض مع منهج العقيدة الإسلامية التي تدعو إلى الاعتدال والتوسط في الإنفاق، وتنتهي بشدة عن الإسراف والتبذير.
3. **تعزيز ثقافة التفاخر المادي والتقييم بالأشياء:** تسهم العولمة الثقافية في تكريس ثقافة التفاخر بالملكيات والثروات والجاه، حيث أصبح يُقاس وزن الإنسان وقيمه في المجتمع بما يمتلك من سلع وعلامات تجارية، متخذة من الاستهلاك أداة للتعبير عن الذات والمكانة الطبقية؛ إن هذه الثقافة تنسف الميزان العقدي الإسلامي الذي يقيس كرامة الإنسان وقيمه بـ "التقوى" والعمل الصالح، وليس بما يكتنزه من مال ومتاع.
4. **تهميش القيم الروحية والأخلاقية:** في ظل هيمنة السوق، يتم تهميش القيم الروحية والأخلاقية والتزكوية التي تمثل روح العقيدة الإسلامية لصالح قيم المنفعة والمادة، إن هذا التهميش يضعف المناعة العقدية، ويحول الأفراد إلى مجرد تروس في آلة استهلاكية لا يهتمها سوى الإشباع الغريزي.

العولمة كأداة لـ "حوسلة" الإنسان (مناقضة التكريم الإلهي):

يتجاوز تأثير العولمة مجرد السلوك الاقتصادي ليصل إلى إعادة تعريف "الإنسان" ذاته، وتجريده من مكانة "الاستخلاف" والتكريم الإلهي، ويبرز هذا الخطر التأسيل الفلسفي القائل بأن: "العولمة هي آلية لـ (حوسلة) الإنسان، أي تحويله إلى وسيلة، وإلى مادة استعمالية... في ظل العولمة، تتراجع القيمة الإنسانية والمطلقة، وتصبح القيمة الوحيدة هي القيمة التبادلية أو النفعية..، ويتم تفكيك الإنسان إلى غرائز وحاجات مادية لتسهيل التحكم فيه وتوجيهه استهلاكياً" (205) إن هذا التفكيك للإنسان وتحويله إلى "أداة" يضرب جوهر الرؤية العقدية الإسلامية التي كرمت بني آدم ورفعتهن عن مرتبة الأشياء.

(205) المسيري، العلمانية والحداثة والعولمة، 60-65.

في سياق التحذير من هذا الخطر العقدي، يقرر الدكتور محمد عمارة أن: "العولمة الثقافية تسهم في انتشار القيم المادية والاستهلاكية في المجتمعات الإسلامية مما يمثل تهديداً للعقيدة الإسلامية؛ فهي تروج لقيم مادية تعظم من شأن المادة والثروة والمتعة، وتجعلها الهدف الأسمى للحياة؛ وهذه القيم المادية تتناقض مع العقيدة الإسلامية، التي تؤكد على أن الهدف الأسمى للحياة هو عبادة الله تعالى، وأن المادة وسيلة وليست غاية"⁽²⁰⁶⁾.

ويمضي الشيخ محمد الغزالي إلى أبعد من ذلك، معتبراً أن الاستهلاك المادي المفرط يمس صميم قضية "التوحيد"، مبيناً أن هذا الانتشار: "يمثل تهديداً خطيراً للعقيدة الإسلامية لأنه يحول المسلمين من عباد الله إلى عباد للمادة والمتعة؛ فالعقيدة الإسلامية تقوم على توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبادة، ونفي العبودية لغيره؛ والقيم المادية والاستهلاكية تجعل الإنسان عبداً للمادة والمتعة يسعى إلى إشباع رغباته المادية، ويجعل ذلك همه الأول والأخير متناسياً عبوديته لله تعالى" ⁽²⁰⁷⁾.

3.2.3. التأثيرات السلبية للعولمة الاجتماعية على العقيدة الإسلامية

يتناول هذا القسم التأثيرات السلبية للعولمة الاجتماعية على العقيدة الإسلامية؛ فالعولمة لا تقتصر على البعد الاقتصادي أو الفكري المجرد، بل تمتد لتفكيك البنية الاجتماعية واليومية للمسلم، مستهدفةً مؤسساته وعلاقاته وسلوكه، ويمكن رصد هذه التأثيرات من خلال المحاور التالية:

أولاً: "التغريب السلوكي" والولع بتقليد الغالب

يبدأ التأثير الاجتماعي للعولمة من محاولة تنميط السلوك اليومي للمسلم ليطابق النموذج الغربي (الأمركة السلوكية)، وهذه الظاهرة ليست وليدة اليوم، بل لها جذور تاريخية ارتبطت ببدايات الصدمة الحضارية؛ حيث يرصد الدكتور خالد زيادة بداية هذا التغريب في السلوك اليومي (كالأزياء ونمط الحياة) قائلاً: "وقد ظهر في ذلك العصر... ميل الدولة إلى السير في طريق المدنية... غير أنها تركت الرؤوس وتمسكت بالأذنان..، وأحد الأسباب البارزة لهذه الثورة هذا

⁽²⁰⁶⁾ عمارة، العولمة والعقيدة: دراسة في التأثيرات المتبادلة، 2003، 123.

⁽²⁰⁷⁾ الغزالي، عقيدة المسلم، 167.

الميل للبخ وتقليد الإفرنج"⁽²⁰⁸⁾ هذا التقليد الأعمى يفرغ المسلم من اعتزازه بهويته العقديّة، ويجعله تابعاً استهلاكياً للنموذج المنتصر.

ثانياً: الاغتراب وأزمة الهوية لدى الشباب

يُعد الشباب الفئة الأكثر تضرراً من الضخ الاجتماعي للعولمة. فنتيجة لانسلاخهم عن جذورهم ومحاولتهم محاكاة النموذج الغربي، يقعون فريسة لحالة من "الاغتراب" النفسي والاجتماعي؛ يشخص الأستاذ أحمد سويلم هذه الحالة بدقة مبيناً أن: "شبابنا حينما يأخذ بقشرة هذه الحضارة ومظاهرها، ويحس بالفراغ الداخلي لأن هذه القشرة تتسلل شيئاً فشيئاً إلى سلوكياته ولسانه وعقله وقلبه... فيحس أنه (غريب) عن ذاته الأصلية.. غريب عن مجتمعه الذي نشأ فيه.. غريب عن قيمه ومبادئه"، ويصف تمظهرات هذا الاغتراب بأنه انصراف "إلى الفن الرديء، والزعيق والضوضاء، والملابس الضيقة، والإقبال بتعصب على مباريات كرة القدم..، وأحسب أن هذا كله اغتراب.. أي بُعد عن الذات الأصلية وعن المجتمع"⁽²⁰⁹⁾.

ثالثاً: تفكيك النظام الاجتماعي والأسري

تعمل العولمة بقسوة على تفكيك الروابط الاجتماعية الصلبة (كالأسرة والمجتمع المدني) لصالح الفردية المطلقة، وتشير تقارير التنمية إلى أن العولمة الاقتصادية تفرز تشويشاً أخلاقياً واجتماعياً، فكما يُذكر في تحليل هذا التفكك: "تضع العولمة هياكل الأسرة التقليدية والهياكل المجتمعية والعلاقات تحت الضغوط..، وتضعف من قدرات الحكومات على الاستجابات لهذه القضايا، ويتضح عجز الحكومات القومية في حل هذه المشكلات التي تؤدي بدورها إلى إضعاف العقيدة..، وفي النهاية، ففي الدولة التنافسية يعتبر من ليس منتجاً عبئاً على هذه المجتمعات وتهديداً للقدرة التنافسية القومية التي تضعف الإحساس بالمسؤولية الجمعية"⁽²¹⁰⁾، ويمتد هذا التفكيك إلى إلغاء الانتماء للأمة والوطن، حيث يصف الدكتور محمد عابد الجابري العولمة بأنها "نظام يقفز على

⁽²⁰⁸⁾ زيادة، تطور النظرة الإسلامية إلى أوروبا، 66.

⁽²⁰⁹⁾ سويلم، ثقافتنا في مفترق الطرق، 81-82.

⁽²¹⁰⁾ فيك - بول، العولمة والرعاية الإنسانية، 67-68.

الدولة والأمة والوطن، ليربط الفرد في أي مكان... بالشركات العملاقة المتعددة الجنسية...ربط المستهلك بالمنتج" (211).

رابعاً: محاولات علمنة المؤسسات الدينية (نموذج المسجد)

لعل أخطر التأثيرات الاجتماعية هو محاولة اختراق المؤسسات الدينية الصلبة وإفراغها من مضمونها العقدي لتصبح مجرد نواذٍ اجتماعية، وتكشف التقارير الغربية عن خطط ممنهجة لذلك، حيث يُشار إلى أن دور المسجد: "حاز على اهتمام كبير في إطار خطة تطوير الخطاب الديني، حيث تهدف الخطة إلى أهمية أن يتحول المسجد إلى مؤسسة اجتماعية تربية..، وترى الخطة ضرورة ألا يقتصر دور المسجد على الجوانب الدينية فقط، بل يجب أن تلحق به حدائق للأطفال والسيدات..، وترى الخطة أن أحد المتطلبات الجديدة لإنشاء المسجد هو أن يلحق به ما يضمن للمرأة أن تمارس فيه نشاطها السياسي والاجتماعي، وبالتالي الاختلاط مع الرجال في داخل هذه المؤسسة الاجتماعية" ²¹² إن هذا التوجه يستهدف علمنة المسجد من الداخل وتجريده من مهابته العقدية ودوره في بناء الوعي الشرعي المستقل.

3.2.3.1 تفكك الأسرة المسلمة

تمثل الأسرة المحضن الأول والأساس الذي تتشكل فيه الهوية العقدية والاجتماعية للإنسان، وكما يشير تقرير (العرب والعولمة): "الأسرة هي أول وأهم المصانع الاجتماعية التي تنتج الوجدان الثقافي الوطني...وكما يتلقن الطفل في هذه المؤسسة التكوينية لغته، ومبادئ عقيدته والقوالب الأخلاقية العامة... كذلك يتلقن بعضاً من المبادئ المؤسسة للشعور بالأننا الجمعي" (213).

إلا أن العولمة الاجتماعية تسعى بقوة إلى تفكيك هذه الحاضنة المركزية، وذلك من خلال إحداث تحول بنيوي خطير يتمثل في الانتقال من المجتمع "التراحمي" إلى المجتمع "التعاقدية"؛ حيث إن "المجتمعات التقليدية (والإسلامية) هي مجتمعات تراحمية؛ العلاقات فيها تقوم على التراحم والمودة والواجب الأخلاقي؛ أما الحداثة والعولمة فتسعى لتحويلها إلى مجتمعات تعاقدية؛ تقوم

(211) الجابري، "قضايا في الفكر المعاصر"، 130.

²¹² سويلم، ثقافتنا في مفترق الطرق، 31-32.

(213) الخولي، العرب والعولمة، 1995، 311.

العلاقات فيها على المصلحة والتعاقد المادي البارد..، وهذا يؤدي إلى تآكل الأسرة وتفكك الروابط الاجتماعية"⁽²¹⁴⁾، ويتجلى مسار هذا التفكك العولمي للأسرة المسلمة في عدة جوانب عملية:

1. **تغيير مفهوم الأسرة وبنيتها الفطرية:** تروج العولمة الاجتماعية لمفاهيم وأنماط شاذة للأسرة تختلف جذرياً عن المفهوم الإسلامي والفطري (مثل: الأسرة أحادية الوالد، والأسرة المثلية، والعلاقات المفتوحة)، وتتصادم هذه الأنماط صراحة مع العقيدة الإسلامية التي تؤسس الأسرة حصراً على رباط الزواج الشرعي بين رجل وامرأة.
2. **تقويض سلطة الوالدين التربوية:** تسهم العولمة في سحب الصلاحيات التربوية من الوالدين عبر الترويج لمفاهيم مشوهة حول "حقوق الطفل"، و"استقلالية المراهقين"، و"الحرية الشخصية المطلقة"؛ هذا التقويض يضعف قدرة الأسرة على التوجيه وغرس العقيدة، ويترك الأبناء فريسة سهلة للقيم والأفكار الوافدة.
3. **تشجيع الاستقلالية المبكرة والانفصال:** تدفع العولمة الثقافية الأبناء نحو الاستقلال المبكر (عبر السكن المنفصل، أو نمط الحياة الفردي)، مما يضعف الروابط الأسرية الدافئة، ويحرم الأبناء من التراكم القيمي والتربية العقدية السليمة الممتدة.
4. **انتشار الطلاق وتفكك الاستقرار الأسري:** من خلال تكريس النزعة الفردية، والمساواة المادية الصارمة، وتضخيم الحقوق الفردية على حساب واجبات الكيان الأسري، تتزايد معدلات الطلاق والخلافات، مما يحرم الأجيال الناشئة من البيئة المستقرة الضرورية لنمو اليقين الإيماني.
5. **خطر "التوريث الفكري" للانحراف:** إن اختراق العولمة للأسرة، وتحديدًا للأم بوصفها المربي الأول، يمثل خطراً استراتيجياً مستداماً؛ وفي هذا السياق، تحذر الباحثة هاجر السنافي من أن انحراف الأم يفسد الأجيال قائلة: "فإن كانت المرأة معتتقة لفكر منحرف، فإن ذلك لا يقتصر أثره على ذاتها فحسب، بل إنها ستنتقله إلى أبنائها مغذية لهم بما تعتقده وتؤمن به..، وبذلك يستمر امتداد الانحراف الفكري، وتغذيته، من داخل الأسرة"⁽²¹⁵⁾.

يلخص الدكتور محمد عمارة هذه الإشكالية بوضوح مؤكداً أن: "العولمة الاجتماعية تسهم في تفكك الأسرة المسلمة، التي تعد الحاضنة الأولى للعقيدة الإسلامية؛ فهي تروج لمفاهيم جديدة

⁽²¹⁴⁾المسيري، العلمانية والحداثة والعولمة، 80-85.

⁽²¹⁵⁾السنافي، أثر الانحراف الفكري على المرأة المسلمة، 144.

للأسرة تختلف عن المفهوم الإسلامي التقليدي، وتقوض سلطة الوالدين، وتشجع الاستقلالية المبكرة للأبناء..، وهذا التفكك يضعف دور الأسرة في غرس العقيدة الإسلامية في نفوس الأبناء" (216)

ويتفق الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي مع هذا التحذير، معتبراً أن استهداف الأسرة هو استهداف مباشر للعقيدة؛ "لأن الأسرة هي الحاضنة الأولى للعقيدة، والمسؤولة الأولى عن غرسها في نفوس الأبناء؛ فالطفل يتلقى عقيدته من والديه قبل أن يتلقاها من المدرسة أو المسجد أو أي مؤسسة أخرى، ولذلك فإن تفكك الأسرة يعني، في نهاية المطاف، ضعف التربية العقيدية للأبناء، وتعرضهم للتأثر بالقيم والأفكار الغربية" (217)

3.2.3.2. انتشار الانحرافات الأخلاقية

تمتد التداعيات السلبية للعولمة الاجتماعية لتشمل تصدير الأزمات والمشكلات الأخلاقية إلى المجتمعات المستهدفة، وفي سياق تحليل هذا التأثير يصف عالم الاجتماع أولريش بيك (Beck) هذا العصر بـ "كونية المخاطر"، حيث تعولم المخاطر والأزمات جنباً إلى جنب مع السلع، وبصورة أكثر صراحة يقرر المفكر الغربي بنجامين باربر (Barber) حقيقة هذا الغزو الثقافي قائلاً: "ومع ذلك فقد انتشر على المستوى العام عديد من ردائنا، ونادراً ما ننشر أيّاً من فضائنا" (218).

وتأسيساً على ذلك، تسهم العولمة الاجتماعية في انتشار الانحرافات الأخلاقية في المجتمعات الإسلامية كمهدد مباشر للعقيدة، ويتجلى هذا الاختراق في عدة مسارات:

- **الترويج الممنهج للإباحية:** تُسخر العولمة أدواتها الجبارة (كوسائل الإعلام العالمية، وشبكة الإنترنت، والسينما) لضخ محتوى إباحي يتناقض جذرياً مع القيم الأخلاقية الإسلامية؛ هذا السيل الإباحي يضعف المناعة العقيدية والروحية في نفوس المسلمين، ويجعلهم أكثر عرضة للاستلاب والوقوع في مستنقع المعاصي.

(216) عمارة، العولمة والعقيدة: دراسة في التأثيرات المتبادلة، 2003، 134.

(217) البوطي، قضايا ساخنة: التشريع - الإرهاب - العولمة الإنسانية والعولمة الاستعمارية، 112.

(218) فيك - بول، العولمة والرعاية الإنسانية، 60.

- **تشجيع العلاقات المحرمة تحت غطاء "الحريات":** تعمد العولمة إلى تطبيع العلاقات المحرمة والشاذة (كالزنا، والشذوذ الجنسي) من خلال تفكيك التحريم الديني وتصوير هذه الكبائر على أنها مجرد تعبير عن "الحرية الشخصية" و"الحق المطلق في الاختيار"، ويتصادم هذا المسعى بشكل كلي مع أحكام العقيدة الإسلامية ومقاصدها في حفظ النسل والعرض.
- **تبرير السلوكيات المنحرفة والآفات الاجتماعية:** توفر العولمة الاجتماعية غطاءً تبريرياً لسلوكيات مدمرة (مثل تعاطي المخدرات، وشرب الخمر، والميسر) بوضعها في إطار الحريات الفردية التي لا يحق للمجتمع أو الدين الوصاية عليها، وهذا التبرير المستمر يضعف تعظيم شعائر الله في القلوب، ويخلق حالة من التساهل واللامبالاة تجاه المحرمات القطعية.
- **تقويض القيم الأخلاقية الأصيلة وإحلال قيم بديلة:** تعمل الآلة الثقافية للعولمة على استئصال القيم الإسلامية الرفيعة (كالعفة، والحياء، والصدق، والأمانة، والإيثار)، وإحلال قيم مادية بديلة (كالحرية الجنسية المنفلتة، والجرأة على الثوابت، والمنفعة الشخصية المطلقة).

يلخص الدكتور يوسف القرضاوي شمولية هذا التهديد بقوله: "العولمة الاجتماعية تسهم في انتشار الانحرافات الأخلاقية في المجتمعات الإسلامية مما يمثل تهديداً للعقيدة الإسلامية، فهي تروج للإباحية، وتشجع العلاقات المحرمة، وتبرر السلوكيات المنحرفة، وتقوض القيم الأخلاقية الإسلامية؛ وهذه الانحرافات الأخلاقية تضعف العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين، وتجعلهم أكثر عرضة للوقوع في المعاصي والذنوب، وأكثر تساهلاً مع المنكرات والمحرمات"⁽²¹⁹⁾

وتبرز الخطورة الكبرى في التلازم العضوي بين الأخلاق والإيمان؛ وهو التأصيل الذي يوضحه الشيخ صالح الفوزان بتأكيدِه على أن: "انتشار الانحرافات الأخلاقية الذي تسهم فيه العولمة الاجتماعية يمثل تهديداً خطيراً للعقيدة الإسلامية لأن الأخلاق الإسلامية جزء لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية؛ فالعقيدة الإسلامية ليست مجرد معتقدات نظرية، بل هي عقيدة عملية تتجسد في سلوك

⁽²¹⁹⁾ القرضاوي، المسلمون والعولمة، 2000، 156.

المسلم وأخلاقه، ولذلك فإن انتشار الانحرافات الأخلاقية يعني في نهاية المطاف ضعف العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين" (220).

3.2.3.3. تغيير أنماط الحياة الإسلامية

يمثل قطاع الشباب الفئة الأكثر استهدافاً وتأثراً بمفرزات العولمة الإعلامية والتقنية، مما يستوجب بناء وعي نقدي يحميهم من تنميط الذوق وسلب القيم الأصيلة، وفي وصف آليات هذا الاختراق الثقافي، يذكر الباحثان سيد أحمد العقيد و عوض حاج علي أن ثقافة الاختراق تهدف إلى: "تنميط الذوق وقولبة السلوك وسلبه القيم، وتكريس نوع معين من الاستهلاك لأنواع معينة من السلع والمعرفة والقيم والأخلاق، تتسم جميعها بالضحالة والسطحية والإثارة؛ ويعني ذلك أن تسديد الأهداف يتم من جانب واحد، وعالمنا المتلقي هو عبارة عن الشباك التي تُسدّد فيها هذه الأهداف مع خلو الملعب من الدفاع أو الهجوم" (221).

وتتجاوز العولمة الاجتماعية حدود التأثير الفكري المجرد لتتدخل بشكل مباشر في تفاصيل السلوك اليومي، وتسهم في تغيير أنماط الحياة الإسلامية التي تعد الترجمة العملية والواقعية للعقيدة؛ إذ لم تؤثر العولمة في الجوانب المادية فقط على معيشة البشر، بل "أثرت أيضاً في اتجاهاتهم وقيمهم، وكذلك سلوكهم، ونتيجة لذلك فقد تم التأثير في جوانب الثقافة، وكذلك في جميع أساليب الحياة" (222)، ويُعد هذا التغيير استراتيجياً متعمداً لـ "تنميط" العالم؛ فالثقافة العولمية تسعى في جوهرها إلى: "توحيد القيم حول المرأة والأسرة وحول الرغبة والحاجة وأنماط الاستهلاك في الذوق والمأكّل والملبس؛ إنها توحيد طريقة التفكير والنظر إلى الذات وإلى الآخر، وإلى القيم وإلى كل ما يعبر عنه السلوك" (223).

(220) الفوزان، شرح العقيدة الواسطية، 178.

(221) سيد احمد العقيد - حاج علي عوض، "الشباب المسلم بين العولمة والهوية"، مجلة جامعة شندي 2/2005

(2005)، 17.

(222) فيك - بول، العولمة والرعاية الإنسانية، 27.

(223) الخولي، العرب والعولمة، 1995، 44-45.

بناءً على ذلك يتجلى هذا الاختراق المنهجي لأنماط الحياة الإسلامية بوصفه عبودية للمادة؛ إذ يقول ﷺ في البخاري: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَتَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهَمِ»²²⁴ والتي تمس صميم الالتزام العقدي في عدة جوانب منها:

1. **تغيير نمط اللباس والستر:** تسهم العولمة في إحلال الأزياء الغربية وتعميمها كمعيار للأناقة والتحضر، وهي أزياء تتناقض في كثير من الأحيان مع ضوابط الحشمة والستر الإسلامي، إن هذا التغيير المستمر يضعف تدريجياً الالتزام بأحكام الشريعة التي تأمر بالعفة وتعدّها جزءاً من كمال الإيمان.
2. **تغيير الأنماط الاستهلاكية (الطعام والشراب):** أدت العولمة إلى سيادة ثقافة "الاستهلاك السريع" وانتشار سلاسل المطاعم والمشروبات الغربية، ولا يقتصر الخطر هنا على التبعية الاقتصادية، بل يمتد لتهديد الضوابط العقدية المرتبطة بـ (الحلال والحرام)؛ حيث تروج أنماط تتساهل مع اختلاط الأطعمة بمواد محرمة شرعاً أو لا تراعي ضوابط الذبح الإسلامي.
3. **تغيير نمط الترفيه وتسطيح الوعي:** أعادت العولمة صياغة مفهوم "الترفيه" من خلال ضخ إعلامي هائل (سينما، وموسيقى، ومنصات رقمية) يحمل مضامين تتناقض صراحة مع القيم الإسلامية، وهذا النمط الترفيهي يضعف حس المراقبة لدى المسلم، ويصرفه عن الغاية الجادة من الاستخلاف إلى الاستغراق في الملهيّات.
4. **تغيير هندسة العلاقات الاجتماعية:** تروج العولمة لنمط غربي مفتوح من العلاقات الاجتماعية (كالاختلاط غير المنضبط بين الجنسين، والعلاقات العاطفية خارج إطار الزواج)، متجاوزة بذلك الضوابط والمحرمات القطعية التي وضعتها العقيدة الإسلامية لحماية المجتمع من الانحلال.

إن المساس بالسلوك اليومي هو مساس مباشر بالعقيدة لأن الإسلام دين عملي لا يفصل بين المعتقد والممارسة، وفي هذا السياق يقول الدكتور محمد عمارة: "العولمة الاجتماعية تسهم في تغيير أنماط الحياة الإسلامية التي تعد تجسيداً عملياً للعقيدة الإسلامية..، وهذا التغيير يضعف الالتزام بالعقيدة الإسلامية التي تتجسد في هذه الأنماط الحياتية؛ فالعقيدة الإسلامية ليست مجرد معتقدات

²²⁴ البخاري، صحيح البخاري، 3/1057؛ 2730.

نظرية، بل هي منهج حياة متكامل يشمل جميع جوانب الحياة من العبادات إلى المعاملات، ومن الأخلاق إلى السلوكيات اليومية " (225)

ويؤكد الشيخ محمد الغزالي على التلازم العضوي بين السلوك والمعتقد، محذراً من أن "تغيير أنماط الحياة الإسلامية الذي تسهم فيه العولمة الاجتماعية يمثل تهديداً خطيراً للعقيدة الإسلامية لأن هذه الأنماط تعد تجسيداً عملياً للعقيدة؛ فالمسلم يعبر عن عقيدته من خلال سلوكه وأنماط حياته من اللباس إلى الطعام والشراب، ومن الترفيه إلى العلاقات الاجتماعية؛ ولذلك، فإن تغيير هذه الأنماط يعني في نهاية المطاف تغيير العقيدة نفسها، أو على الأقل إضعافها وتهميشها" (226).

3.2.4. التأثيرات السلبية للعولمة التكنولوجية على العقيدة الإسلامية

يتناول هذا القسم التأثيرات السلبية للعولمة التكنولوجية على العقيدة الإسلامية من خلال رصد أعمق آثارها غير المرئية، ألا وهو الأثر النفسي المدمر الذي تفرزه سطوة التقنية الغربية، فالتكنولوجيا في عصر العولمة لم تعد مجرد أداة محايدة، بل أصبحت حاملاً أيدولوجياً يفرض هيمنة صانعها ويقزم المتلقي، ويتجلى أخطر هذه التأثيرات في المحور التالي:

"الهزيمة النفسية" وعقدة الدونية أمام النموذج الغالب: إن الانبهار المطلق بالآلة والتقنية المتسارعة التي تحتكر العولمة الغربية إنتاجها وتصديرها، لا يتوقف عند حدود الاستهلاك المادي بل يمتد ليصنع حالة من "الهزيمة النفسية" العميقة في وعي المسلم المعاصر إن هذه الهزيمة تمثل أخطر الاختراقات للعقيدة؛ لأنها تضرب في صميم شعور المسلم بالاستعلاء الإيماني والاعتزاز بدينه ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: 8]، وتدفعه نحو التبعية العمياء والذوبان في النموذج الغربي (الأمركة)، مصداقاً للقاعدة السوسيولوجية الخلدونية القائلة بأن "المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب" (227).

(225) عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، 2004.

(226) الغزالي، عقيدة المسلم، 178.

(227) عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ed. by عبد الله محمد الدرويش (دمشق: دار القلم،

2004)، 283/1.

وفي تشخيص دقيق لهذه الآلية النفسية التي تفرزها العولمة واستلابها للعقول، تصف الباحثة هاجر السنافي هذا السقوط النفسي مبينةً خطورته: "وهذا الأثر ناتج حتمي عن الفكر المنحرف المتحرر الليبرالي، فالهزيمة النفسية هي شعور المهزوم بالهوان والضععة والضعف والعجز أمام الآخر (الهازم)، وذوبان في شخصياتهم..، والرضا بالدونية والعبودية والتحول إلى ظل لهازمه.. فيسيطر على عقله وقلبه وكل كيانه فيتحول إلى نسخة كربونية عن ذلك السيد الهازم" (228)

إن هذه الحالة من الشعور بالدونية التكنولوجية والحضارية تجعل الفرد المسلم في حالة استسلام كامل؛ فيتلقى كل ما يُمرر إليه عبر الشاشات والمنصات التقنية من أفكار، وفلسفات، وسلوكيات، مسلماً بها كحقائق مطلقة قادمة من "السيد المتقدم"، مما ينسف الاستقلال العقدي، ويمهد الطريق لاختراق الثوابت دون أي مقاومة فكرية تُذكر.

3.2.4.1. الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي

تسهم العولمة التكنولوجية، بما وفرتة من تدفق معلوماتي هائل ومنصات تفاعلية مستمرة، في تقشي ظاهرة "الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي"، ولا يقف أثر هذا الإدمان عند الحدود السلوكية أو النفسية، بل يتجاوزها ليمثل تهديداً صامتاً ومباشراً للعقيدة الإسلامية، ويتجلى هذا التهديد في عدة مسارات:

1. **إهمال الشعائر والعبادات (إضعاف الجانب العملي للعقيدة):** يؤدي الانغماس المفرط في العالم الافتراضي إلى تهميش الشعائر الأساسية التي تمثل الترجمة العملية للإيمان (كالمحافظة على الصلاة في أوقاتها، وقراءة القرآن، والذكر)، فهذا الاستلاب التقني يسرق انتباه المسلم ووقته، مما يؤدي إلى قسوة القلب وضعف الوازع الديني.
2. **التعرض المستمر للشبهات والطعون:** تفتح منصات التواصل الاجتماعي الباب واسعاً أمام سيل متدفق من الشبهات والأفكار المنحرفة التي تستهدف أصول العقيدة الإسلامية، وبسبب خوارزميات هذه المنصات التي تروج للمحتوى المثير للجدل يجد المسلم نفسه - خاصة إذا كان يفتقر إلى التحصين العقدي المتين - في مواجهة يومية مع طعون قد تزرع الشك في يقينه.

(228) السنافي، أثر الانحراف الفكري على المرأة المسلمة، 149.

3. الانغماس في الترفيه السلبي والمحتوى المخالف: يقود هذا الإدمان إلى استهلاك مفرط للمحتوى الترفيهي (كالأفلام، والمقاطع القصيرة، والموسيقى) الذي يحمل في كثير من الأحيان قيماً تتصادم مع العقيدة والأخلاق الإسلامية، وهذا الانغماس يطمس البصيرة الروحية، ويخلق حالة من التبلد تجاه المنكرات والمخالفات العقدية.

4. تضييع الوقت (إهدار رأس مال المسلم): الوقت في المنظور العقدي الإسلامي هو أمانة يُسأل عنها العبد، ويؤدي الغرق في مستنقع التواصل الاجتماعي إلى هدر هذا المورد الثمين الذي كان يُفترض استثماره في طاعة الله، وتحصيل العلم النافع، وبناء الأمة، مما يضعف فاعلية المسلم وقيمه الاستخلافية في الأرض.

في سياق التحذير من مآلات هذا الاستلاب، يلخص الدكتور يوسف القرضاوي هذه التهديدات مبيناً أن: "الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي الذي تسهم فيه العولمة التكنولوجية يمثل تهديداً للعقيدة الإسلامية من خلال إهمال العبادات، والتعرض للشبهات، والانغماس في الترفيه، وتضييع الوقت؛ وهذه الجوانب تضعف العقيدة الإسلامية في نفس المسلم، وتجعله أكثر عرضة للتأثر بالقيم والأفكار الغربية، وأقل التزاماً بالقيم والأحكام الإسلامية" (229).

ومن زاوية عقدية وتزكوية دقيقة، يؤكد الشيخ محمد صالح المنجد على أثر هذا الإدمان في إفساد صلة العبد بخالقه، موضحاً أن: "الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي يمثل تهديداً خطيراً للعقيدة الإسلامية؛ لأنه يشغل المسلم عن ذكر الله تعالى، ويعرضه للشبهات والطعون، ويغرقه في الترفيه، ويضيع وقته فيما لا ينفع؛ وهذه الجوانب تضعف صلة المسلم بربه، وتجعله أكثر ارتباطاً بالدنيا وملذاتها، وأقل اهتماماً بالآخرة ونعيمها" (230).

3.2.4.2. التعرض للمحتوى الإلحادي والإباحي

تجاوزت العولمة التكنولوجية مرحلة التأثير غير المباشر إلى مرحلة الاختراق المباشر للعقول والقلوب مسهمةً في تعريض المسلمين لتيارات جارفة من المحتوى الإلحادي والإباحي، ويمثل هذا التدفق المعلوماتي المفتوح تهديداً صريحاً لاستقرار العقيدة الإسلامية، وتتجلى أبعاده في المسارات التالية:

(229) القرضاوي، المسلمون والعولمة، 2000، 167.

(230) محمد صالح المنجد، خطر العولمة على العقيدة الإسلامية (الرياض: دار الوطن، 2002)، 89.

1. **سهولة الوصول إلى المحتوى الإلحادي الموجه:** وفرت العولمة التكنولوجية عبر شبكة الإنترنت والمنصات المفتوحة إمكانية الوصول السهل والسريع والمجاني إلى المحتوى الإلحادي، وتقوم الكثير من المواقع والصفحات والقنوات بالترويج الممنهج لإنكار وجود الله تعالى، والطعن في ثوابت الدين والعقيدة؛ مما يعرض المسلمين - وخاصة فئة الشباب - لسيل من الشبهات والتشكيكات التي تضعف اليقين الإيماني إذا لم تقابل بتحسين علمي رصين.

2. **الانتشار الكثيف للمواقع الإباحية:** أسهمت التقنية في كسر الحواجز الجغرافية والأخلاقية مسهلاً انتشار المواقع الإباحية التي تضخ محتوى جنسياً صريحاً، ويتصادم هذا المحتوى جذرياً مع منظومة القيم والأخلاق الإسلامية، ويعرض الشباب بصفة خاصة لإغراءات وفتن تطفئ نور الإيمان وتضعف الوازع الديني الداخلي.

3. **تسهيل استهلاك المحتوى الفني المحرم:** إلى جانب الإلحاد والإباحية الصريحة، سهّلت التكنولوجيا الوصول إلى أشكال متنوعة من المحتوى المحرم أو المريب (كالأفلام، والمسلسلات، والأغاني) التي تحمل رسائل مبطنة تتناقض مع القيم الإسلامية، وتعمل على تطبيع الرذيلة وتمييع الثوابت العقدية والأخلاقية تدريجياً.

4. **تجاوز وإضعاف الرقابة الأسرية:** لعل من أخطر إفرازات العولمة التكنولوجية أنها سحبت سلطة "حراسة البوابة" من الأسرة، فمع انتشار الأجهزة الذكية الفردية وسهولة الاتصال بالإنترنت وتعدد المنصات المشفرة، باتت من الصعوبة البالغة على الآباء مراقبة المحتوى الذي يتعرض له الأبناء، هذه العزلة التكنولوجية تجعل الناشئة فريسة سهلة للمحتوى الإلحادي والإباحي الذي ينخر في عقيدتهم بعيداً عن أعين الرقيب.

في تشخيص دقيق لخطورة هذا الاختراق التكنولوجي، يقرر الدكتور محمد عمارة أن: "العولمة التكنولوجية تسهم في تعريض المسلمين للمحتوى الإلحادي والإباحي الذي يمثل تهديداً للعقيدة الإسلامية؛ فهي توفر إمكانية الوصول السهل والسريع إلى هذا المحتوى من خلال المواقع والصفحات والقنوات التي تروج له؛ وهذا الوصول يعرض المسلمين، خاصة الشباب، للشبهات والطمعون والإغراءات والفتن التي تضعف عقيدتهم والتزامهم بالقيم الإسلامية."⁽²³¹⁾

(231) عمارة، العولمة والعقيدة: دراسة في التأثيرات المتبادلة، 2003، 156.

ولمواجهة هذا التحدي الوجودي، يشدد الشيخ محمد صالح المنجد على ضرورة تحويل هذا الرصد إلى خطة دفاعية، مبيناً أن: "تعرض المسلمين للمحتوى الإلحادي والإباحي الذي تسهله العولمة التكنولوجية يمثل تهديداً خطيراً للعقيدة الإسلامية؛ لأنه يشكك المسلم في عقيدته، ويعرضه للإغراءات والفتن، ويضعف التزامه بالقيم الإسلامية، وهذا التهديد يتطلب من المسلمين أفراداً وأسراً ومؤسسات العمل على تحصين أنفسهم وأبنائهم من هذا المحتوى من خلال التربية العقدية السليمة، والرقابة الأسرية الفعالة، والتوعية بمخاطر هذا المحتوى" (232).

3.2.4.3. الاغتراب الرقمي والعزلة الاجتماعية

تسهم العولمة التكنولوجية، من خلال بينتها الافتراضية الجاذبة، في انتشار ظاهرة "الاغتراب الرقمي" والعزلة الاجتماعية بين أفراد المجتمعات الإسلامية، ولا يقف أثر هذه الظاهرة عند الحدود النفسية، بل يمتد ليشكل تهديداً مباشراً للمتطلبات العملية والاجتماعية للعقيدة الإسلامية، ويتجلى هذا التهديد في المسارات التالية:

- **الانفصال عن الواقع وتراجع الفاعلية:** يؤدي الاغتراب الرقمي إلى انفصال المسلم عن واقعه المعاش، وانغماسه الكلي في عالم افتراضي تحكمه في الغالب قيم وتوجهات لا تمت بصلة للأحكام الإسلامية، وهذا الانفصال يضعف صلة المسلم بقضايا مجتمعه الحقيقية، ويسلبه فاعليته الإيجابية، مما يجعله أكثر قابلية لامتناس القيم والأفكار الغربية الوافدة دون تمحيص.
- **ضعف وتفكك العلاقات الاجتماعية:** تتناقض العزلة الاجتماعية التي تفرضها الشاشات مع صميم العقيدة الإسلامية التي جعلت التواصل الاجتماعي (كصلة الرحم، وحقوق الجوار، وعبادة المريض، وشهود الجنائز والمناسبات) من صميم العبادات ومظاهر كمال الإيمان، ويؤدي الانكفاء على الأجهزة الذكية إلى تآكل هذه الروابط التراحمية وتحويلها إلى مجرد تفاعلات رقمية باردة.
- **الانقطاع عن حواضن التربية (المساجد والمجالس):** يسفر الاغتراب الرقمي عن انقطاع تدريجي للمسلم عن ارتياد المساجد، وحضور المجالس العلمية، وحلقات الذكر التي تعد المصادر الأساسية للتربية العقدية والتحصين الفكري، وهذا الانقطاع يحرم المسلم من

(232) المنجد، خطر العولمة على العقيدة الإسلامية، 112.

التركيز الروحية المباشرة، ويتركه مكشوفاً أمام سيل الشبهات والطعون المتداولة في الفضاء الإلكتروني.

• **الانغماس في "الهويات الافتراضية" البديلة:** يدفع الاغتراب الرقمي الفرد إلى تقمص هويات افتراضية (Avatars) أو الانتماء لمجتمعات رقمية تتناقض غالباً مع هويته الإسلامية الأصيلة، وهذا الانغماس يذيب الانتماء الحقيقي للدين والأمة، ويستبدله بولاءات افتراضية هشة تجعل المسلم أسير الانبهار بالهويات الغربية والاستهلاكية.

في تشخيص دقيق لآثار هذا الانسحاب الافتراضي، يلخص الدكتور محمد عمارة هذه الإشكالية قائلاً: "الاغتراب الرقمي والعزلة الاجتماعية اللذان تسهم فيهما العولمة التكنولوجية يمثلان تهديداً للعقيدة الإسلامية من خلال انفصال المسلم عن واقعه، وضعف علاقاته الاجتماعية، وانقطاعه عن المساجد والمجالس العلمية، وانغماسه في الهويات الافتراضية؛ وهذه الجوانب تضعف صلة المسلم بمجتمعه الإسلامي، وتجعله أكثر تأثراً بالقيم والأفكار الغربية، وأقل التزاماً بالقيم والأحكام الإسلامية" (233).

ويعضد ذلك التحليل التربوي العميق للشيخ محمد سعيد رمضان البوطي، والذي يربط بين نمو العقيدة والبيئة الحاضنة لها، مبيناً أن: "الاغتراب الرقمي والعزلة الاجتماعية يمثلان تهديداً خطيراً للعقيدة الإسلامية؛ لأنهما يفسلان المسلم عن بيئته الإسلامية التي تعد حاضنة للعقيدة، ويعرضانه لبيئة افتراضية قد تكون بعيدة عن القيم والأحكام الإسلامية؛ والعقيدة الإسلامية لا تنمو وتترسخ إلا في بيئة إسلامية تغذيها بالعبادات والمعاملات والأخلاق الإسلامية؛ ولذلك فإن انفصال المسلم عن هذه البيئة يعني، في نهاية المطاف، ضعف عقيدته وتأثرها بالبيئة الافتراضية التي يعيش فيها" (234).

3.2.5. نماذج من التأثيرات السلبية للعولمة على العقيدة الإسلامية في الواقع المعاصر

الأيدولوجيا كقوة دافعة للعولمة: لا يمكن فصل العولمة المعاصرة عن الأيدولوجيا التي تدعمها وتقودها، ألا وهي "الليبرالية الجديدة" (Neoliberalism) "وقد اتضح أن لهذه الأيدولوجيا تأثيراً مباشراً في السياسات الاجتماعية، والإنفاق العام، وتوجيه قطاع الخدمات، حيث تركز بشدة على

(233) عمارة، العولمة والعقيدة: دراسة في التأثيرات المتبادلة، 2003، 167.

(234) البوطي، قضايا ساخنة: التشريع - الإرهاب - العولمة الإنسانية والعولمة الاستعمارية، 123.

المسئوليات والفرسانية أكثر من الحقوق الاجتماعية والتكافلية، وهذا ما يؤكد (سكولت Scolt) مشيراً إلى أن العولمة المعاصرة دعمت الليبرالية الجديدة وجعلتها "نظام المعتقدات الدولي السائد"، وفي السياق ذاته، يشير (بت Bit) إلى أن العولمة تمثل أيديولوجيا أساسية وقوة تدار من قبل المنظمات الدولية الكبرى (مثل: صندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية، والبنك الدولي) لفرض هذا النموذج على العالم⁽²³⁵⁾.

وبناءً على هذه الهيمنة الأيديولوجية، يتناول هذا القسم نماذج تطبيقية للتأثيرات السلبية للعولمة على العقيدة الإسلامية في الواقع المعاصر، مقسمة على ثلاث دوائر مجتمعية:

3.2.5.1. نموذج التأثير السلبي في المجتمعات العربية

تشهد المجتمعات العربية، باعتبارها الحاضنة المركزية للإسلام، تأثيرات سلبية متنوعة للعولمة تمس صميم العقيدة، ومن أبرزها:

1. انتشار التيارات العلمانية والليبرالية: أفرزت العولمة تمرداً للتيارات التي تدعو إلى فصل الدين عن الدولة والمجتمع، وتقليص دور العقيدة الإسلامية لتتصرف في الحيز الفردي، وهذا يمثل تصادماً مباشراً مع شمولية الإسلام الحاكم لجميع شؤون الحياة.
2. تراجع الالتزام الديني لدى بعض قطاعات الشباب: يظهر هذا التراجع من خلال ضعف الإقبال على الشعائر، وضعف الالتزام بالقيم الإسلامية الرصينة، وهو ما يهدد الجانب العملي والسلوكي للعقيدة.
3. انتشار الشبهات والطعون في العقيدة: وفرت الفضاءات المفتوحة للعولمة مناخاً لضعف الشبهات والتشكيك في الثوابت وأصول العقيدة، مما يشكل خطراً داهماً على الشباب الذين يفتقرون إلى التحصين العقدي الكافي.
4. تغيير أنماط الحياة الإسلامية: تبني أنماط استهلاكية وغربية في اللباس، والطعام، والترفيه، والعلاقات الاجتماعية، مما يضعف التميز الحضاري للمسلم.

⁽²³⁵⁾ فيك - بول، العولمة والرعاية الإنسانية، 82.

يقول عليه أفضل الصلاة والسلام عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَحَدَ مِنْهُ أَمِنْ الْحَلَالِ أَمْ مِنْ الْحَرَامِ»²³⁶.

يقول الدكتور محمد عمارة ملخصاً هذا المشهد: "المجتمعات العربية تشهد تأثيرات سلبية متنوعة للعلومة على العقيدة الإسلامية من أبرزها انتشار التيارات العلمانية والليبرالية، وتراجع الالتزام الديني لدى الشباب، وانتشار الشبهات والطعون في العقيدة، وتغير أنماط الحياة الإسلامية؛ وهذه التأثيرات تمثل تهديداً للعقيدة الإسلامية، التي تمثل جوهر الهوية العربية والإسلامية" (237) ويتفق معه الشيخ محمد الغزالي محذراً من أن: "التأثيرات السلبية للعلومة على العقيدة الإسلامية في المجتمعات العربية تتجلى بوضوح..، وهذه التأثيرات تمثل تحدياً كبيراً للعلماء والدعاة والمؤسسات الإسلامية الذين يتحملون مسؤولية مواجهة هذه التأثيرات، وتحسين المجتمعات العربية من مخاطرها"⁽²³⁸⁾.

3.2.5.2. نموذج التأثير السلبي في المجتمعات الإسلامية غير العربية

تواجه المجتمعات الإسلامية غير العربية (مثل: تركيا، وإيران، وماليزيا، وإندونيسيا) تحديات عقيدة ذات طابع خاص في ظل العولمة، أبرزها:

1. **الاستقطاب العلماني الحاد:** تشهد بعض هذه المجتمعات (كتركيا) صراعاً تاريخياً ومستمرّاً مع العلمانية اللادينية التي تسعى لإقصاء العقيدة عن الفضاء العام.
2. **تأثر الشباب بالثقافة الغربية:** نظراً للانفتاح المباشر على الغرب، يتعرض الشباب لاستلاب ثقافي يهدد استقرارهم العقدي، نتيجة التأثير بالقيم والأفكار الوافدة.
3. **الضعف في إتقان اللغة العربية:** يمثل حاجز اللغة تحدياً خطيراً؛ فضعف إمام هذه المجتمعات باللغة العربية (لغة الوحي) يضطرهم للاعتماد على الترجمات التي قد تقصر عن نقل المعاني العقدية الدقيقة، مما يسهل اختراق مفاهيمهم.
4. **انتشار البدع والخرافات:** نتيجة لضعف العلم الشرعي المؤصل، والتأثر بالثقافات المحلية الوافدة، تختلط العقيدة ببعض الخرافات التي تناقض التوحيد الخالص.

²³⁶ البخاري، صحيح البخاري، 2/726؛ 1954.

⁽²³⁷⁾ عمارة، العولمة والعقيدة: دراسة في التأثيرات المتبادلة، 2003، 178.

⁽²³⁸⁾ الغزالي، عقيدة المسلم، 189.

يؤكد الدكتور محمد عمارة على هذا التباين قائلاً: "المجتمعات الإسلامية غير العربية تشهد تأثيرات سلبية متنوعة للعولمة على العقيدة الإسلامية من أبرزها انتشار العلمانية، وتأثر الشباب بالثقافة الغربية، وضعف اللغة العربية، وانتشار البدع والخرافات، وهذه التأثيرات تمثل تهديداً للعقيدة الإسلامية التي تمثل جوهر الهوية الإسلامية لهذه المجتمعات"⁽²³⁹⁾، ويؤكد الشيخ البوطي أن هذه التحديات تضع "مسؤولية كبرى على العلماء والدعاة والمؤسسات الإسلامية في هذه المجتمعات لمواجهة هذه التأثيرات، وتحسينها من مخاطرهما"⁽²⁴⁰⁾.

3.2.5.3. نموذج التأثير السلبي في المجتمعات الإسلامية في الغرب

تعيش الأقليات المسلمة في الغرب في "مركز" العولمة، مما يفرض عليها ضغوطاً من نوع آخر:

1. **صعوبة الحفاظ على الهوية أمام ضغوط الذوبان:** تواجه هذه الأقليات سيلاً جارفاً من الضغوط الثقافية التي تدفعها للتخلي عن هويتها والاندماج الكامل (الذوبان) في المنظومة العلمانية.
2. **تحديات التربية ونقل العقيدة للأجيال:** تمثل البيئة الغربية تحدياً تربوياً هائلاً للأبناء المسلمين؛ نظراً للتصادم المستمر بين قيم الأسرة وقيم المجتمع والمدرسة.
3. **المفارقة بين الحرية الدينية والضغوط القانونية/الاجتماعية:** على الرغم من أن النظم الديمقراطية الغربية توفر مساحة معتبرة من "الحرية الدينية" تفوق أحياناً ما هو موجود في بعض دول العالم الثالث، إلا أن المسلمين يواجهون في الوقت ذاته "إسلاموفوبيا" متصاعدة، وتضييقاً قانونياً واجتماعياً (مثل قوانين حظر الحجاب أو تقييد بناء المآذن في بعض الدول)، مما يضعف قدرة البعض على الجهر بشعائره.
4. **الصراع الهوياتي بين الأجيال:** تنشأ فجوة عقدية وثقافية بين الجيل الأول المتمسك بجذوره، والأجيال اللاحقة التي تتشرب قيم المجتمع الغربي وتتخلى تدريجياً عن خصوصيتها.

يصف الدكتور طارق رمضان هذا الواقع المعقد بقوله: "المجتمعات الإسلامية في الغرب تشهد تأثيرات سلبية متنوعة للعولمة على العقيدة الإسلامية من أبرزها صعوبة الحفاظ على الهوية

⁽²³⁹⁾ عمارة، العولمة والعقيدة: دراسة في التأثيرات المتبادلة، 2003، 189.

⁽²⁴⁰⁾ البوطي، قضايا ساخنة: التشريع - الإرهاب - العولمة الإنسانية والعولمة الاستعمارية، 134.

الإسلامية، وتحديات التربية الإسلامية للأبناء، والضغوط الاجتماعية والقانونية، والصراع بين الأجيال" (241)، وهو ما يراه الشيخ يوسف القرضاوي تحدياً يتطلب وعياً مضاعفاً، حيث إن هذه التأثيرات "تمثل تحدياً كبيراً للمسلمين في الغرب الذين يتحملون مسؤولية الحفاظ على عقيدتهم وهويتهم الإسلامية في ظل بيئة غربية تختلف قيمها ومفاهيمها عن القيم والمفاهيم الإسلامية" (242).

3.2.6. خلاصة الباب

تمثل التأثيرات السلبية للعولمة تحدياً وجودياً وحضارياً بالغ الخطورة يواجه المسلمين (أفراداً، وأسراً، ومجتمعات، ومؤسسات)، وقد أثبت التحليل أن هذه التأثيرات ليست سطحية، بل هي اختراق شامل تتنوع مساراته بين ما هو فكري، وثقافي، واجتماعي، وتكنولوجي، وتتفاوت في حدتها وفقاً لطبيعة كل مجتمع إسلامي وحصانته الداخلية.

وتتجلى خلاصة هذه التهديدات في سعي العولمة المنهجي إلى تفرغ العقيدة من مضمونها عبر: نشر الفلسفات المادية والإلحادية، وتشويه المفاهيم الشرعية الأصيلة، والترويج للنسبية الدينية والأخلاقية لإسقاط اليقين، وإلى جانب الغزو الفكري، تستهدف العولمة تفكيك البنية التحتية للمجتمع عبر تذويب الهوية، وانتشار القيم الاستهلاكية البحتة، وتفكيك الأسرة المسلمة، وتطبيع الانحرافات الأخلاقية، وتغيير أنماط الحياة، وقد ضاعفت العولمة التكنولوجية من حجم الكارثة عبر الإدمان الرقمي، وتسهيل التعرض للمحتوى الإلحادي والإباحي، وخلق حالة من الاغتراب والعزلة الاجتماعية والهزيمة النفسية.

إن ظهور هذه التأثيرات بوضوح في كافة النماذج المجتمعية (العربية، وغير العربية، وفي المهاجر الغربية) يؤكد أن المواجهة لا يمكن أن تكون فردية أو معزولة؛ بل تتطلب استراتيجية متكاملة وجهوداً متضافرة من العلماء، والمفكرين، والأسرة، والمؤسسات لتحسين العقيدة الإسلامية وبناء وعي ناقد قادر على الفرز، والمقاومة، والمحافظة على التميز الحضاري في زمن السيولة العولمية.

(241) طارق رمضان، المسلمون في الغرب (الرياض: مكتبة العبيكان، 2004)، 89.

(242) القرضاوي، في فقه الأقليات المسلمة، 134.

3.3. الاستجابة المنهجية للتعافي والوقاية من آثار العولمة على الالتزام العقدي

بعد استعراضنا الدقيق للتأثيرات المتداخلة التي أحدثتها ظاهرة العولمة في بنية العقيدة الإسلامية، ينتقل هذا البحث من مربع "التشخيص" الذي رصد مكامن الخلل والاختراق، إلى مربع "العلاج والمواجهة" الذي يسعى لصياغة استراتيجية شاملة قوامها "الممانعة والبناء".

إن الاستجابة الصحيحة لهذه الظاهرة العابرة للقارات لا تكمن بحال من الأحوال في الانغلاق السلبي الذي يورث العزلة الحضارية ويقطع سبل التأثير، كما أنها لا تكمن في القبول المطلق والتماهي الكامل الذي يورث الذوبان وفقدان الهوية؛ بل إن المخرج يكمن في امتلاك "فلاتر" معرفية وقدرة ذاتية على المبادرة الواعية.

تبدأ هذه الاستجابة من استعادة السيادة المفاهيمية فيما يمكن تسميته بـ "معركة المصطلحات"؛ إذ تعد المفاهيم حقل صراع استراتيجي تسعى العولمة من خلاله لإعادة تعريف ثوابت الأمة ومصطلحاتها لتجريدها من استقلالها الحضاري والمنهجي، وفي هذا السياق ينبه الباحث مصطفى أنشاصي إلى خطورة هذا المنزلق مبيناً أن المفاهيم والمصطلحات تأخذ حيزاً كبيراً في صراع الأمة مع الآخر، بل غدت جزءاً جوهرياً من معركته معنا، مما يحتم ضرورة الاهتمام بهذا الحقل؛ حيث يُلاحظ أن: "كل شكل من أشكال المقاومة والممانعة ضدها يُسمى (إرهاباً)، وكل إساءة للثوابت تُدرج تحت (حرية التعبير)" (243).

وفي موازاة هذا التحرير المفاهيمي، تبرز الحاجة الماسة إلى "الروحنة" كطاقة محرّكة للتمكين؛ ففي مواجهة النزعة المادية الذرائعية التي تكتسح العالم، يغدو إحياء السلوك الروحي وإعادة الارتباط الوثيق بالخالق قوة دافعة للإبداع والتميز، ويوصل الشيخ محمد مهدي شمس الدين لهذا المعنى مؤكداً أن القوة المعنوية والروحية التي أطلقت الحضارة الإسلامية العظمى في عصورها الزاهية، لا تزال قادرة اليوم على إطلاق الطاقة الكامنة في الروح والعقل ليبدع الإنسان - بالمقاييس المعاصرة - مؤسسات ومنجزات حضارية تقوم على مبدأ (الروحنة) الأخلاق والقيم الإنسانية؛ فدور الإسلام الجوهري هو: "دور العامل المعنوي الداخلي الذي يهيب العقل والروح

(243) مصطفى أنشاصي، "معركة المفاهيم: الحضارة، الثقافة، العولمة، هي الدين"، شؤون العصر 24/11

للإبداع نتذكر هنا قول الله سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ

لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: 24] حيث أن المفسرين فهموا من ذلك الدعوة إلى الإيمان بالغيب إلى

العبادة، ونحن نفهم من الآية أوسع من ذلك بكثير، الدعوة هي لتجديد الروح وتجديد العقل والانفتاح على العالم واعتماد مبدأ التجديد واعتماد الروح العلمية والرؤية الموضوعية للذات وللإنسان وللعالم" (244).

إن غاية هذه الاستجابة هي الوصول إلى فكر ناقد ينتقل بالأمة من حالة الاستلاب القيمي أو ما يُعرف بـ "عولمة الإسلام" (أي محاولات تطويعه ليوافق المعايير الغربية)، إلى أفق القيادة والرشاد أو ما يُصطلح عليه بـ "أسلمة العولمة" (أي توجيه المسار الإنساني بقيم الوحي)، ويستشرف الباحث الطاهر دحماني هذا التدافع الحضاري مبيناً أن الإسلام هو المؤهل الحقيقي لإسعاد "القرية الكونية"، وأنه قادر في المستقبل على تطويع العولمة وترويضها ودحر انحرافاتهما، متسائلاً بلسان الاستشراف: "من ترجح كفة هذا الصراع في نهاية المطاف؛ للعولمة الرأسمالية (عولمة الإسلام)، أم للإسلام الحنيف (أسلمة العولمة)؟" (245).

بناءً على ما تقدم، فإن الانتقال نحو مرحلة التعافي المجتمعي والوقاية من آثار العولمة الزاحفة يتطلب بناء استراتيجية متكاملة تعيد صياغة الالتزام الإيماني والاعتقادي لدى الأفراد والمؤسسات، وذلك وفق قواعد منهجية رصينة، من أهمها:

تصحيح الوعي وإعادة ضبط "فقه الأولويات"

إن من أخطر إفرازات العولمة أنها تعمل على تزييف الوعي المجتمعي؛ حيث تستدرج العقل المسلم للانفعال بالمعارك الجانبية والقضايا الهامشية، في الوقت الذي تُهدم فيه أركان الأمة الاقتصادية والسياسية والفكرية؛ لذلك، فإن أولى خطوات التعافي تتمثل في استعادة "فقه الأولويات"، وتوجيه طاقة الأمة نحو مواجهة التحديات المصيرية التي تهدد سيادتها وعقيدتها.

(244) محمد مهدي شمس الدين، "قضايا إسلامية معاصرة"، العولمة - موقف الإسلام من العولمة في المجال

الثقافي والسياسي 3/1998 (30 سبتمبر، 1998)، 78.

(245) الطاهر دحماني، "خطر العولمة الدينية على المجتمعات الإسلامية: عولمة الإسلام أم أسلمة العولمة؟"، مجلة

الحكمة للدراسات الفلسفية 1/8 (2020)، 12.

ينتقد المفكر فهمي هويدي بشدة هذا الاختلال في ترتيب الأولويات وضعف الوعي بخطورة الهيمنة العالمية، قائلاً: "ما بال أقوام يصرون على شغلنا بالحلال والحرام في أمور الموسيقى والغناء، بينما لم نسمع لأحد منهم صوتاً فيما نواجهه من تحديات مصيرية..، وما بالناس نستدرج في كل حين إلى حروب وهمية، تلهي بها الأمة، وتستنفد طاقتها... لا يعقل أن يثور الجدل..، وتتصدر تلك العناوين أولوية شواغلنا، بينما لم يدلنا أحد على الحلال والحرام في... مديونية الأمة وتبعيتها الاقتصادية والسياسية لغيرها، وإيداع أموالها في مصارف أعدائها" (246) إن هذه الصرخة الفكرية تؤسس لقاعدة ذهبية: لا يمكن حماية العقيدة بفاعلية ما لم يمتلك المجتمع وعياً حقيقياً بحجم التحدي العولمي ويرتب أولوياته بناءً عليه.

التوازن بين الهوية والانفتاح (الأخوة الإيمانية والمشارك الإنساني)

إن حالة "الاغتراب القيمي" التي يعيشها المسلم اليوم وسط تيارات السيولة العولمية، لا يجب أن تؤدي لليأس، بل هي محفز لاستعادة "الحصانة الفكرية" فالدين الذي بدأ "غريباً" سيعود كذلك كما ورد في صحيح مسلم: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»²⁴⁷، وهذه الغربة هي "غربة استعلاء بالقيم" وليست غربة انزواء، وهي تتطلب بناء "مناعة ذاتية" صلبة، و يتمثل التحدي الأكبر في عصر العولمة في كيفية الحفاظ على الولاء العقدي (الهوية الخاصة) دون التصادم مع متطلبات التعايش والمشارك الإنساني (الانفتاح)، ويأتي الحل الإسلامي المقاصدي لتفكيك هذه الإشكالية من خلال التمييز الدقيق والمتكامل بين دائرتين من الانتماء: دائرة "الأخوة الإسلامية" ودائرة "الأخوة الإنسانية".

يؤصل العلامة محمد الطاهر بن عاشور لهذه المنهجية المتوازنة ببراعة، مبيناً أن إثبات الهوية العقدية لا يعني أبداً معاداة الإنسانية، حيث يقول: "الجامعة الإسلامية (الأخوة في الدين) لا تلغي الجامعة البشرية (الأخوة في الإنسانية) ... فالإسلام قرر مبدأ الأخوة بين المسلمين لشد أزرهم، لكنه لم يهمل حقوق الإنسانية العامة، فأمر بالعدل والإحسان مع المخالفين... فالرابطة الإسلامية هي الرابطة الخاصة، والرابطة الإنسانية هي الرابطة العامة" (248)

(246) هويدي، أزمة الوعي الديني، 21-24.

²⁴⁷ مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم - ت محمد فؤاد عبد الباقي - ط دار إحياء الكتب العربية، 1/130؛ 145.

(248) ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، فصل: الجامعة الإسلامية والجامعة البشرية.

إن هذا الطرح المقاصدي العميق يحل إشكالية الهوية والاندماج (خاصة للمسلمين في الغرب، وللمجتمعات المتصلة بشبكة العولمة)؛ فهو يقدم نموذجاً إسلامياً للتعامل مع العولمة يرفض "الذوبان" بحجة العالمية، ويرفض "الانزعال والانغلاق" بحجة حماية العقيدة، مؤسساً لمفهوم حضاري وإيجابي للولاء والبراء ينفذ على الآخر بالعدل والإحسان، ويحتفظ في الوقت عينه بصلافة الانتماء العقدي.

3.3.1. استراتيجيات مواجهة التأثيرات السلبية للعولمة على العقيدة الإسلامية

تنطلق هذه الاستراتيجيات من فهم منهجي عميق لطبيعة العولمة وآلياتها المعقدة، وفي المقابل استيعاب دقيق لخصائص العقيدة الإسلامية ومرتكزاتها الثابتة، وتتأسس هذه المواجهة على مبدأ "التعامل الواعي والناقد"، الذي ينأى بالمسلم عن خيارين متطرفين: "الانغلاق التام" الذي يورث العزلة والجمود، و"الذوبان المطلق" الذي يطمس الهوية. بل تسعى هذه الاستراتيجيات للاستفادة من المنجزات الإيجابية للعولمة، مع بناء حائط صد منيع لمواجهة إفرانها السلبية.

ولضمان فاعلية هذه الاستراتيجيات، فإنها تتسم بصفتين أساسيتين:

- الشمولية والتنوع في المسارات: لا تقتصر المواجهة على بُعد واحد، بل تتنوع لتشمل مسارات فكرية، وثقافية، وتربوية، وإعلامية، وتكنولوجية، تتضافر فيما بينها لتشكيل منظومة دفاعية وبنائية متكاملة لحماية البناء العقدي.
- تكامل الجهود والمسؤوليات المجتمعية: لا يمكن التصدي لهذا التحدي العالمي بجهود فردية معزولة؛ بل تتطلب هذه المواجهة استنفاراً وتكاملاً بين جميع مكونات المجتمع الإسلامي، بدءاً من الفرد، مروراً بالأسرة بوصفها المحضن التربوي الأول، وصولاً إلى المؤسسات التعليمية، والدينية، والإعلامية، والثقافية، لتشكيل جبهة واعي موحدة.

3.3.1.1. الاستراتيجيات الفكرية والعقدية

إن صياغة استراتيجية فاعلة لمواجهة العولمة تتطلب، في مقامها الأول، تشخيصاً دقيقاً لـ "العطب الفكري" الذي أصاب العقل المسلم وجعله عرضة للاستلاب الحضاري؛ إذ يرى الدكتور طه جابر العلواني أن الأزمة تكمن في حالة من "الغياب المنهجي" التي أفقدت العقل المسلم قدرته على "الفلتر" والفرز المعرفي، فبات يستهلك منتجات الفكر الغربي دون تمحيص، أو ينكفي على الماضي دون تجديد، مؤكداً أن المخرج الوحيد يكمن في: "إحياء (المنهجية القرآنية) التي تجمع

بين قراءة الوحي وقراءة الكون" (249) وانطلاقاً من هذا التشخيص، لا يمكن مواجهة مد العولمة بعقلية "التقليد"، بل ببعث الفكر الإسلامي من جديد ليكون قادراً على الاشتباك مع الواقع المعاصر؛ وهو ما يؤصل له الدكتور محسن عبد الحميد باعتبار التجديد "فريضة وقت" ليس لتغيير الثوابت، بل لإزالة الركام الذي غطى جوهر العقيدة، وتطوير الأدوات المعرفية لتكون قادرة على صياغة مشروع حضاري ينافس المشروعات المادية المهيمنة" (250).

ويتطلب هذا التعافي بناء خطاب ديني يتجاوز الأطر الوعظية التقليدية نحو فهم الأسس الجدلية التي يستند إليها الفكر الحديث، حيث يوضح الدكتور زكرياء غوبريني أن فلسفة الخطاب الديني المعاصر يجب أن تنبثق من تحليل الأفكار والمبادئ الفرضية، واستخدامها في "تفسير النوازل المعاصرة التي تواجه الإنسانية" (251) وفي قلب هذه المواجهة مع النزعة المادية الذرائعية، تبرز ضرورة استراتيجية "الروحنة" كطاقة محرّكة للإبداع والتميز؛ إذ يرى الشيخ محمد مهدي شمس الدين أن القوة المعنوية الروحية التي شيدت صرح الحضارة الإسلامية سابقاً، لا تزال قادرة على إطلاق الطاقة الكامنة في العقل البشري ليبدع بالمقاييس المعاصرة "مؤسسات ومنجزات حضارية تقوم على مبدأ (الروحنة) والأخلاق والقيم الإنسانية" (252).

ومع انفتاح الفضاءات التكنولوجية، تداخلت المعايير الاقتصادية في صناعة "الرموز"، وهو ما يحلله الدكتور شريف محمد عوض مبيناً أن الخطاب الديني صار يخضع لـ "قوانين الجذب والتأثير الإعلامي"، مما أفرز تحديات جديدة تتعلق بأصالة المرجعية الدينية في زمن العولمة" (253) وتأسيساً على ما سبق، يتناول هذا القسم الاستراتيجيات الفكرية والعقدية اللازمة لتحقيق التعافي المجتمعي والوقاية من التبعية، وتبدأ بأهم محور وهو:

(249) طه جابر العلواني، *خواطر في الأزمة الفكرية والمأزق الحضاري للأمة الإسلامية* (هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1989)، 15.

(250) محسن عبد الحميد، *تجديد الفكر الإسلامي* (هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1981)، 40.

(251) غوبريني، زكرياء، "فلسفة بناء الخطاب الديني في ظل عولمة القيم والأفكار"، *مجلة الشهاب* 1/9 (2023)، 533.

(252) شمس الدين، "قضايا إسلامية معاصرة"، 78.

(253) شريف محمد عوض، "صناعة الرمز الديني في الحياة اليومية في ضوء تحولات العولمة"، *حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية* 37 (2016)، 9.

3.3.1.1.1 تجديد الخطاب العقدي (الإيماني والديني)

يُعد تجديد الخطاب العقدي الإسلامي حجر الزاوية وأهم استراتيجيات مواجهة التأثيرات السلبية للعلومة، ولا يُقصد بالتجديد هنا المساس بالثوابت أو تحريف الأصول، بل هو تجديد لآليات الفهم، ولغة الخطاب، وأدوات التبليغ لتكون قادرة على اختراق العقل المعاصر، ويتضمن هذا التجديد الاستراتيجي عدة مسارات عملية:

1. **تجديد لغة الخطاب العقدي:** إن اللغة التراثية، رغم رصانتها، قد تقف حاجزاً أمام الأجيال التي نشأت في ظل العولمة وتأثرت بمصطلحاتها السريعة والمكثفة؛ لذلك يتطلب التجديد استخدام لغة معاصرة، واضحة، ومؤثرة، تخاطب العقل والوجدان المعاصرين مع الحفاظ التام على الدلالات الشرعية الدقيقة لجوهر العقيدة وثوابتها.
2. **تطوير أساليب عرض العقيدة:** لم يعد التلقين التقليدي المجرّد كافياً في عصر الثورة البصرية. يتطلب تجديد الخطاب استثمار أدوات العصر وتحدياته من خلال توظيف الوسائط المتعددة، والرسوم البيانية (الإنفو جرافيك)، والأمثلة الواقعية المعاصرة، والسرد القصصي المؤثر؛ لتقريب المفاهيم العقديّة المجرّدة وربطها بالواقع المعيش للشباب.
3. **تجديد مناهج الاستدلال العقدي (علم الكلام المعاصر):** في مواجهة الفلسفات المادية والعلموية التي تفرضها العولمة، لم تعد مناهج الاستدلال التقليدية (التي كانت ترد على فرق تاريخية انقرضت) كافية، بل يتطلب الأمر تطوير مناهج الاستدلال العقدي لتواكب الكشوفات العلمية، وتستفيد من المناهج الفلسفية والمنطقية الحديثة في دحض الشبهات المعاصرة، مع الالتزام الصارم بأصول الاستدلال الإسلامي المعتمدة على الوحي والعقل الصريح.
4. **استيعاب موضوعات الخطاب العقدي الحديثة:** يجب أن يغادر الخطاب العقدي دوامة القضايا التاريخية المحسومة، لينتقل إلى الاشتباك المباشر مع النوازل الفكرية وتحديات العصر؛ مثل: تحرير العلاقة بين العلم التجريبي والدين، ومناقشة قضايا التعددية والحرية الدينية من منظور إسلامي، وتفكيك الفلسفات المادية التي تبثها العولمة، وتقديم الرؤية الإسلامية للإنسان والكون في مواجهة "النشيو" والاستهلاك.

في تأصيل شرعي ومقاصدي لهذا التجديد، يقرر الدكتور طه جابر العلواني أن: "تجديد الخطاب العقدي الإسلامي ضرورة شرعية وحضارية لمواجهة تحديات العصر، وتحصين العقيدة

الإسلامية من التأثيرات السلبية للعولمة؛ وهذا التجديد لا يعني تغيير أصول العقيدة وثوابتها، بل يعني تجديد فهمنا لها، وتطوير أدوات عرضها وشرحها بما يتناسب مع متطلبات العصر وتحدياته" (254).

يضع الدكتور محمد عمارة الضابط المنهجي (الجمع بين الأصالة والمعاصرة) لنجاح هذه الاستراتيجية مبنياً أن: "تجديد الخطاب العقدي الإسلامي يتطلب الجمع بين الأصالة والمعاصرة بحيث يحافظ على أصول العقيدة الإسلامية وثوابتها، ويستفيد في الوقت نفسه من المناهج والأساليب المعاصرة في العرض والاستدلال، فالتجديد ليس هدماً للقديم، بل هو إحياء له، وتطوير لأدواته ومناهجه بما يجعله قادراً على مواجهة تحديات العصر" (255).

3.3.1.1.2 تطوير علم الكلام الإسلامي المعاصر

يُعد تطوير "علم الكلام الإسلامي المعاصر" (علم التوحيد وأصول الدين) من أهم الاستراتيجيات الفكرية العميقة لمواجهة التأثيرات السلبية للعولمة، فإذا كان علم الكلام قديماً قد نشأ للرد على الفلسفات اليونانية والفرق المنحرفة، فإنه يحتاج اليوم إلى وثبة تجديدية تمكنه من الاشتباك مع النوازل الفكرية المعاصرة، ويتضمن مسار هذا التطوير عدة جوانب منهجية وعملية:

1. **الاستفادة من معطيات العلوم الكونية الحديثة:** يتطلب التطوير المعاصر لعلم الكلام دمج المكتشفات العلمية القطعية في حقول الفيزياء، والكيمياء، والأحياء، وعلم الكونيات، وتوظيفها في تعزيز البراهين على وجود الله تعالى وعظيم صنعته برؤية علمية حديثة، فهذه الاكتشافات تقدم اليوم أدلة استقرائية قوية تسهم في دحض الشبهات المادية والإلحادية التي تتكئ عليها العولمة الثقافية لتفسير نشأة الكون بمعزل عن الخالق.
2. **التصدي النقدي للفلسفات العولمية المعاصرة:** يجب أن ينتقل علم الكلام من الرد على الفرق التاريخية المنقرضة إلى مواجهة الفلسفات الحية المهيمنة اليوم؛ كالوجودية، والبراغماتية، والماركسية، والليبرالية المتطرفة، ويتطلب ذلك تقديم نقد علمي وموضوعي يفك أطروحاتها، ويبين تهاوتها وقصورها البنيوي عن تقديم إجابات شافية ومتوازنة للأسئلة الوجودية والقيمية الكبرى.

(254) طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي (هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995)، 145.

(255) عمارة، العولمة والعقيدة: دراسة في التأثيرات المتبادلة، 2003، 156.

3. **تطوير وتحديث مناهج الاستدلال:** يستلزم علم الكلام المعاصر الانفتاح الواعي على المناهج العلمية والفلسفية الحديثة (كالمنهج التجريبي، والمنهج التحليلي، والمنهج النقدي) وتوظيفها في خدمة النص الشرعي، وذلك مع الحفاظ التام على أصول الاستدلال الإسلامي وقواعده المستمدة من الوحي والعقل الصريح.

4. **الاشتباك مع القضايا والإشكالات المعاصرة:** لا بد أن تتسع دائرة مباحث علم الكلام لتشمل تقديم رؤية إسلامية واضحة ومقنعة لإشكالات العصر الكبرى؛ مثل: تحرير العلاقة بين العلم والدين، ومناقشة قضايا التعددية الدينية، وحدود الحرية الدينية، وتحليل ظاهرة العولمة وتفكيك تأثيراتها المباشرة على البنية العقدية للمجتمع.

في تأصيل لضرورة هذا التحديث المعرفي، يؤكد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي أن: "تطوير علم الكلام الإسلامي المعاصر ضرورة ملحة لمواجهة التحديات الفكرية والفلسفية المعاصرة التي تفرضها العولمة، وهذا التطوير يتطلب الاستفادة من العلوم الحديثة، ومواجهة الفلسفات المعاصرة، وتطوير مناهج الاستدلال، وتناول القضايا المعاصرة، وكل ذلك يجب أن يتم في إطار الحفاظ على أصول العقيدة الإسلامية وثوابتها"⁽²⁵⁶⁾

ومن زاوية أخرى، يضع الدكتور محمد عمارة شرطاً لنجاح هذا التطوير يتمثل في توحيد الجهود وترك الخلافات الفرعية، مبيناً أن: "تطوير علم الكلام الإسلامي المعاصر يتطلب تجاوز الخلافات المذهبية التقليدية، والتركيز على القضايا المشتركة التي تواجه المسلمين جميعاً في العصر الحاضر؛ فالتحديات الفكرية والفلسفية المعاصرة التي تفرضها العولمة، تتطلب وحدة الصف الإسلامي، وتضافر الجهود لمواجهتها والتصدي لها"⁽²⁵⁷⁾

3.3.1.1.3 الرد على الشبهات المعاصرة حول العقيدة الإسلامية

يُعد التصدي العلمي والمنهجي للشبهات المعاصرة التي تثار حول العقيدة الإسلامية من الركائز الأساسية لاستراتيجيات مواجهة الفكرية في عصر العولمة، فمع الانفتاح التكنولوجي، لم تعد الشبهات محصورة في النطاق الأكاديمي أو النخبوي، بل أصبحت تغزو عقول العوام والشباب

⁽²⁵⁶⁾ البوطي، قضايا ساخنة: التشريع - الإرهاب - العولمة الإنسانية والعولمة الاستعمارية، 123.

⁽²⁵⁷⁾ محمد عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام (القاهرة: نهضة مصر، 2004)، 112.

في كل مكان، ولضمان فاعلية هذا التصدي، يجب أن يتم وفق منهجية مؤسسية تتضمن الخطوات التالية:

1. **الرصد الدقيق والمبكر للشبهات:** تبدأ المواجهة من التتبع المستمر لما يُطرح في الفضاء المفتوح؛ ويتطلب ذلك رصد ومتابعة الشبهات عبر وسائل الإعلام، وشبكة الإنترنت، والمنصات الرقمية، إلى جانب الإصدارات المكتوبة (الكتب والمقالات) والمؤتمرات، ويمثل هذا الرصد "الاستخبارات الفكرية" التي تسبق أي تحرك دفاعي.
2. **تصنيف الشبهات وتحليل بنيتها:** لا يكفي الرصد المجرد، بل يجب إخضاع هذه الشبهات لعملية تصنيف وتحليل عميقة لمعرفة: مصادرها (استشراقية، إحادية، حدائية)، وأهدافها، ومناهجها المغالطة، ومدى انتشارها وتأثيرها في المجتمع؛ إن هذا التحليل المعرفي يسهل بناء استراتيجيات تفكيك دقيقة تصيب جذر الشبهة لا قشورها.
3. **إعداد الردود العلمية والمنهجية:** يتطلب الرد الفعال إعداد دراسات علمية رصينة تزوج بين الأدلة النقلية (الشرعية) والأدلة العقلية؛ ويجب أن تستفيد هذه الردود من معطيات العلوم الحديثة، وتُصاغ بلغة معاصرة وأساليب حجاجية مقنعة تخاطب العقلية المعاصرة بعيداً عن التقرير الجاف؛ فالردود العلمية المحكمة هي الدرع الواقي للعقيدة.
4. **النشر الاستراتيجي وتعميم الردود:** إن الرد العلمي يفقد قيمته إذا ظل حبيس الأدراج الأكاديمية؛ لذا يتطلب الأمر توظيف أدوات العولمة ذاتها (وسائل الإعلام، والإنترنت، وشبكات التواصل الاجتماعي) لنشر هذه الردود وتوزيعها على نطاق واسع، لضمان وصولها إلى الفئات الأكثر استهدافاً وعرضة للشبهات، وخاصة شريحة الشباب.

في إطار التأصيل لهذه الاستراتيجية، يؤكد الدكتور يوسف القرضاوي على ضرورة المؤسسة والعمل المنظم، قائلاً: "الرد على الشبهات المعاصرة حول العقيدة الإسلامية واجب شرعي، وضرورة عصرية لحماية العقيدة الإسلامية من التشويه والتشكيك، وهذا الرد يتطلب جهوداً علمية منظمة تقوم على رصد الشبهات، وتصنيفها وتحليلها، وإعداد الردود العلمية، ونشرها وتوزيعها، وكل ذلك يجب أن يتم بأسلوب علمي هادئ بعيداً عن التعصب والانفعال" (258).

(258) القرضاوي، المسلمون والعولمة، 2000، 167.

ومن زاوية إعداد الكوادر القادرة على هذه المواجهة المزدوجة، يرى الشيخ صالح الفوزان أن: "الرد على الشبهات المعاصرة حول العقيدة الإسلامية يتطلب تأهيل علماء متخصصين يجمعون بين العلم الشرعي، والمعرفة بالعلوم الحديثة، والإلمام بالفلسفات المعاصرة، والقدرة على استخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة، فالشبهات المعاصرة متنوعة ومتجددة، وتتطلب ردوداً علمية متخصصة ومتجددة" (259).

3.3.1.2. الاستراتيجيات التربوية والتعليمية

يعد التعليم المدخل الرئيس والركيزة الأساسية لتحسين المجتمع ضد الانزلاق الثقافي والارتهان لمنظومات القيم الوافدة، وفي تشخيص دقيق لأزمة التعليم المعاصر، يرى الدكتور زغول النجار أن المنظومات التعليمية في بلادنا تعاني من حالة "انفصام نكد" بين حقائق العلم ومبادئ الدين، وهو شرح منهجي يسهل اختراقه بالقيم العولمية المادية التي تفصل الإنسان عن غايته الوجودية، ويؤكد النجار أن المخرج من هذا المأزق يكمن في إستراتيجية "تأصيل العلوم" وإعادة ربطها بالخالق؛ بهدف: "بناء جيل يمتلك المهارة التقنية والصلابة العقديّة في آن واحد" (260).

بناءً على هذا التأصيل، يتناول هذا القسم الاستراتيجيات العملية التي تستهدف بناء الفرد والمجتمع من الداخل، وضمان انتقال العقيدة من حيز التنظير إلى حيز التمثل السلوكي والشهود الحضاري، وذلك من خلال المسارات التربوية والتعليمية التالية:

3.3.1.2.1. تطوير مناهج التربية العقديّة (الإيمانية)

إن استعادة الأمة لمكانتها الحضارية وقدرتها على التمكين لا تتحقق بمجرد الانخراط الشكلي في المنظومات الدولية المعاصرة، بل بالارتكاز على أساس عقدي متين يمتلك الصلابة الكافية لمواجهة ضغوط العولمة المتعددة، وفي تشخيص دقيق لواقع الضغوط الدولية وأثرها النفسي والسياسي، تشير الدكتورة رقية شاکر الزبيدي إلى أن المجتمعات اليوم: "ترزح تحت وطأة الضغوط الدولية ومتطلبات العولمة بكل أبعادها وأشكالها السياسية والاقتصادية والثقافية، بما

(259) الفوزان، شرح العقيدة الواسطية، 189.

(260) زغول راغب النجار، أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية (هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي،

(1990)، 75.

يصور للكثيرين أن مقاومة هذه الضغوط والصمود أمام تحديات العولمة ضرب من الانتحار السياسي والعزلة الثقافية والدمار الاقتصادي " (261)

انطلاقاً من هذا الواقع، يُعد تطوير مناهج التربية العقيدة في النظم التعليمية أحد أهم الاستراتيجيات لمواجهة تلك الآثار السلبية، وهو تطوير لا يمس جوهر العقيدة وثوابتها، بل يستهدف تحديث آليات غرسها وتمثلها في النفوس، ويتجلى هذا المنزع التطويري في ضرورة **تحديث محتوى المناهج** لينتقل من الإطار النظري المجرد إلى الاشتباك المباشر مع القضايا والشبهات المعاصرة التي تفرضها العولمة؛ إذ إن الاكتفاء بالمحتوى التقليدي قد يترك الطالب أعزل أمام الغزو الفكري الحديث.

كما يتطلب الواقع الرقمي تطوير أساليب التدريس لتصبح أكثر تفاعلية وجاذبية، مستفيدة من التقنيات والوسائط الحديثة، والتعلم القائم على حل المشكلات؛ فالتلقين لم يعد أداة مجدية مع عقلية اعتادت التدفق المعلوماتي السريع، وبصاحب ذلك ضرورة تطوير أساليب التقييم لتنتقل من قياس "الحفظ والاستظهار" إلى قياس مدى "تمثّل" الطالب للعقيدة في سلوكه اليومي، وقدرته النقدية على محاكمة الأفكار الوافدة بناءً على مرجعيته الإسلامية، وفي قلب هذه العملية يبرز دور **المعلم** كركيزة أساسية مما يستوجب تأهيله ليكون محاوراً مقنعاً يمتلك أدوات العصر للإجابة عن التساؤلات الوجودية بكفاءة عالية.

وفي تأكيد على هذه الشمولية، يرى الدكتور محمد عمارة أن تطوير هذه المناهج يمثل ضرورة ملحة لمواجهة العولمة، شريطة أن يتم ذلك "في إطار الحفاظ على أصول العقيدة وثوابتها مع مراعاة متطلبات العصر وتحدياته"⁽²⁶²⁾، ومن زاوية تربوية أعمق، يوجه الدكتور طه جابر العلواني غاية هذه التربية نحو "التركيز على تنمية التفكير النقدي لدى الطلاب"، مؤكداً أن التربية العقيدة ليست محض تلقين للمعلومات، بل هي: "تنمية للعقل والوجدان، وتعزيز للقدرة على الفهم والتطبيق، ومواجهة التحديات" (263).

⁽²⁶¹⁾رقية شاکر الزبيدي، "أثر العقيدة في ترسيخ التمكين عند المسلمين"، مجلة التراث العلمي العربي، 1 (2016)، 249.

⁽²⁶²⁾ عمارة، العولمة والعقيدة: دراسة في التأثيرات المتبادلة، 2003، 178.

⁽²⁶³⁾ العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، 1995، 156.

3.3.1.2.2 تعزيز دور الأسرة في التربية الإيمانية (تحصين النواة)

تُعد الأسرة المحضن الأول والأساس الذي تتشكل فيه الهوية العقدية للإنسان، ولمواجهة تيارات العولمة التي تستهدف تفكيك الروابط الاجتماعية، يصبح تحصين الأسرة وتفعيل دورها التربوي "ضرورة عقدية" وحضارية.

يؤصل العلامة محمد الطاهر بن عاشور لمركزية هذا الدور قائلاً: "العائلة هي الخلية الأولى للمجتمع، وبصلاحها يصلح المجتمع..، وقد أحاط الإسلام الأسرة بسياج من الأحكام التي تضمن تماسكها، وجعل رابطة النسب والمصاهرة من أقوى الروابط... فالنظام الاجتماعي في الإسلام لا يستقيم إلا بسلامة العائلة، لأنها المدرسة الأولى التي يتلقى فيها الفرد أخلاقه وعقيدته" (264)

ولتفعيل هذا الدور المدرسي للأسرة، يجب العمل على:

1. **توعية الوالدين بمركزية التربية العقدية:** يجب خلق وعي مجتمعي لدى الآباء والأمهات بأن توفير الاحتياجات المادية للأبناء لا يغني عن مسؤوليتهم الأولى والأخطر؛ وهي بناء الحصانة العقدية والأخلاقية لديهم لحمايتهم من الاستلاب الثقافي.
2. **تأهيل الوالدين (التربية الوالدية المعاصرة):** يتطلب الأمر إطلاق برامج لتزويد الوالدين بالمعارف والمهارات التربوية الحديثة، وتدريبهم على كيفية غرس القيم الإيمانية بأسلوب الحوار والإقناع (بعيداً عن التسلط)، وكيفية التعامل مع أسئلة الأبناء الشائكة في عصر الفضاء المفتوح.
3. **توفير المحتوى التربوي البديل:** دعم الأسرة بمواد تعليمية وترفيهية إسلامية موثوقة وجذابة (كُتب تفاعلية، قصص، برامج، وتطبيقات إلكترونية) لتكون بديلاً آمناً وجاذباً يسهل على الوالدين مهمة غرس العقيدة.
4. **التكامل بين الأسرة والمؤسسات:** بناء جسور تواصل فاعلة بين الأسرة والمؤسسات التعليمية والدينية (المدارس والمساجد) لضمان تناغم الرسالة التربوية، وتوحيد الجهود في مواجهة التحديات التي تعترض الناشئة.

(264) ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، فصل: نظام العائلة.

ويشخص الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي هذه الضرورة قائلاً: "الأسرة هي الحاضنة الأولى للعقيدة الإسلامية، والمسؤولة الأولى عن غرسها في نفوس الأبناء، ومن ثم فإن تعزيز دور الأسرة في التربية العقدية يعد ضرورة ملحة، لمواجهة التأثيرات السلبية للعولمة..، وهذا التعزيز يتطلب توعية الوالدين، وتأهيلهم، وتوفير المواد التعليمية المناسبة"⁽²⁶⁵⁾ ويرى الشيخ محمد الغزالي أن نجاح هذه المهمة يبدأ من "إعادة بناء الأسرة المسلمة على أسس إسلامية صحيحة تجمع بين الأصالة والمعاصرة؛ فالأسرة المفككة، أو المتأثرة بالقيم الغربية لا يمكنها القيام بدورها في التربية العقدية " (266)

3.3.1.2.3 تفعيل دور المؤسسات التعليمية والدينية

يتطلب التعافي المجتمعي في مواجهة العولمة صياغة رؤية تربوية استشرافية لا تكتفي بمجرد ردود الأفعال المؤقتة، بل تعمل على غرس "مناعة عقدية" أصيلة في نفوس الأجيال، قوامها الجمع بين التفكير في الوحي المسطور والكون المنظور، وفي هذا السياق، يؤصل الأستاذ عمر عبيد حسنة لهذه الرؤية بكونها السبيل الحقيقي للمعرفة والتعلم والتدبر في آلاء الخلق، ووسيلة كشف السنن الكونية والقوانين الاجتماعية الناطمة لمسيرة الحياة معتبراً أن هذا المسار المنهجي هو: "المخرج الحقيقي لمواجهة تحديات العولمة التربوية"⁽²⁶⁷⁾

إن هذه الرؤية المستقبلية تصطم بواقع معقد حيث لم يعد التعليم الديني بمعزل عن التحولات العالمية الكبرى، بل بات في قلب استهداف خارجي ممنهج يسعى لتعديل مضامينه بما يتوافق مع الرؤى والمصالح الغربية، ويشير الدكتور أبو سعيد محمد عبد المجيد إلى طبيعة هذه الضغوط الدولية التي أعقبت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حيث تغيرت النظرة إلى التعليم الديني ليصبح في المنظور الغربي مصدراً للمخاطر يجب التخلص منه أو "تعديله" قسرياً، ويؤكد أن مواجهة هذا التحدي تتطلب تعاملًا واعياً يمكن أبناء الأمة من العيش في القرن الحادي والعشرين وهم: "مسلحون بلغة العصر الجديد ومفاهيمه وآلياته"، دون التفريط في جوهر هويتهم العقدية " (268)

⁽²⁶⁵⁾ البوطي، قضايا ساخنة: التشريع - الإرهاب - العولمة الإنسانية والعولمة الاستعمارية، 134.

⁽²⁶⁶⁾ الغزالي، عقيدة المسلم، 167.

⁽²⁶⁷⁾ حسنة، العولمة: فرص وتحديات، 3.

⁽²⁶⁸⁾ عبد المجيد أبو سعيد محمد، "التجديد في مناهج التعليم الديني في عصر العولمة"، المجلة الأردنية في

الدراسات الإسلامية، 4/6 (2010)، 291.

وبناءً على ذلك، وإلى جانب الدور المحوري للأسرة تبرز المؤسسات المجتمعية - بما تشمله من مدارس وجامعات ومساجد ومراكز قرآنية - بوصفها خط الدفاع الثاني والمكمل في غرس العقيدة وتحصين الوعي الجمعي، ولتفعيل دور هذه المؤسسات في زمن العولمة بما يضمن التوازن بين الأصالة والمعاصرة؛ يُقترح الآتي:

1. **تطوير البرامج والمناشط المؤسسية:** يجب أن تتجاوز هذه المؤسسات دورها التقليدي الروتيني لتقدم برامج تعليمية وتزكوية فاعلة تلامس احتياجات الشباب الواقعية وتجيب عن تساؤلاتهم الفكرية العميقة.
2. **تأهيل الأئمة والدعاة (فقه الواقع):** يتطلب تفعيل دور المسجد تأهيل الأئمة والدعاة ليكونوا ملمين بـ "فقه الواقع"، وقادرين على توظيف لغة معاصرة تستوعب الشبهات وترد عليها بأسلوب علمي مقنع بعيداً عن الخطاب العاطفي المجرد.
3. **توظيف التكنولوجيا في الدعوة والتعليم:** يجب أن تنتقل المؤسسات الدينية إلى الفضاء الرقمي بقوة مستثمرة أدوات العولمة (المنصات الإلكترونية، والتطبيقات الذكية، والتعليم عن بعد) لإيصال رسالة العقيدة الصافية بأسلوب عصري وجذاب يخترق حواجز العزلة.
4. **الانفتاح والتلاحم المجتمعي:** تعزيز حضور هذه المؤسسات في قلب المجتمع من خلال الأنشطة التطوعية والمبادرات الشبابية، مما يعيد الثقة في المرجعية الدينية ويجعلها الملاذ الآمن للأجيال.

ويلخص الدكتور يوسف القرضاوي هذه الرؤية مؤكداً أن: "المؤسسات التعليمية والدينية تلعب دوراً محورياً في تعليم العقيدة الإسلامية ونشرها..، وهذا التفعيل يتطلب تطوير البرامج التعليمية، وتأهيل المعلمين والدعاة، وتوظيف التكنولوجيا الحديثة، وتعزيز التواصل مع المجتمع" (269)، ويضيف الدكتور العلواني شرطاً لنجاح هذا التفعيل وهو أن "يتطلب تجديد الخطاب الديني ليكون أكثر قدرة على مخاطبة العقل المعاصر، ومواجهة التحديات الفكرية والثقافية الراهنة" (270).

(269) القرضاوي، المسلمون والعولمة، 2000، 178.

(270) العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، 1995، 167.

3.3.1.3. الاستراتيجيات الإعلامية والثقافية

يتناول هذا القسم الاستراتيجيات التي تستهدف مواجهة العولمة في أخطر ساحاتها، ألا وهي ساحة الإعلام والثقافة، والتي تمثل القوة الناعمة القادرة على إعادة تشكيل العقول والوجدان:

3.3.1.3.1 تطوير الإعلام الإسلامي (صناعة البديل الناجح)

يمثل الإعلام الجبهة المتقدمة في معركة الوعي، ويُعد تطوير الإعلام الإسلامي لينتقل من مرحلة "رد الفعل" إلى مرحلة "صناعة التأثير" من أهم استراتيجيات المواجهة، ويتضمن هذا التطوير المسارات التالية:

1. **تطوير المحتوى وتجديد الرسالة:** لم يعد المحتوى الوعظي التقليدي كافياً لجذب الجيل المعاصر الذي تشرب أنماط الإنتاج الإعلامي الغربي السريع والمبهر، يتطلب الأمر إنتاج محتوى إعلامي ذكي ومبتكر يطرح القضايا العقدية وتحديات العولمة بأسلوب عصري يخاطب العقل ويلامس الوجدان.
2. **الاستثمار في الوسائل والمنصات الحديثة:** يجب كسر احتكار الوسائل التقليدية، والانتقال بقوة لاحتلال مساحات في الفضاء الرقمي (وسائل التواصل الاجتماعي، والتطبيقات الذكية، والمنصات التفاعلية، والبث الفضائي الموجه) للوصول إلى الشباب في المساحات التي يتواجدون فيها.
3. **تأهيل الكوادر الإعلامية (صناعة النجوم الهادفة):** لا ينهض الإعلام إلا بكوادره؛ ويستلزم التطوير إعداد جيل من الإعلاميين وصناع المحتوى الذين يجمعون بين الرسوخ العقدي، والاحترافية التقنية والفنية العالية، والقدرة على خوض غمار الجدل الفكري المعاصر بمهارة وثبات.
4. **تعزيز التنسيق بين المؤسسات الإعلامية:** لمواجهة الآلة الإعلامية العولمية الضخمة، يجب على المؤسسات الإعلامية الإسلامية الانتقال من التنافس الداخلي إلى التكامل الاستراتيجي؛ عبر توحيد الرؤى، وتبادل الخبرات، وإطلاق مشاريع إعلامية مشتركة ذات ميزانيات ضخمة قادرة على المنافسة.

يؤصل الدكتور محمد عمارة لشمولية هذه الاستراتيجية قائلاً: "تطوير الإعلام الإسلامي ضرورة ملحة، لمواجهة التأثيرات السلبية للعولمة..، وهذا التطوير يتطلب تطوير المحتوى، وتطوير الوسائل، وتأهيل الكوادر، وتعزيز التنسيق..، وكل ذلك يجب أن يتم في إطار الحفاظ على أصول

العقيدة وثوابتها مع مراعاة متطلبات العصر"⁽²⁷¹⁾، ويضيف الدكتور يوسف القرضاوي بُعداً عالمياً لهذا الإعلام مؤكداً أن تطويره "يتطلب الانفتاح على العالم، والاستفادة من تجارب الآخرين مع الحفاظ على الهوية الإسلامية، فالإعلام الإسلامي ليس إعلاماً منغلِقاً على نفسه، بل هو إعلام منفتح يخاطب العالم كله، ويقدم رسالة الإسلام للبشرية جمعاء" ⁽²⁷²⁾.

3.3.1.3.2 تعزيز الإنتاج الثقافي والفني الإسلامي

الثقافة والفن هما الأوعية التي تُنقل عبرها القيم، ولحماية العقيدة من السيولة الثقافية العولمية، لابد من إنتاج ثقافة إسلامية منافسة وحية، وذلك عبر الخطوات التالية:

1. تشجيع التأليف في النوازل الفكرية والعقدية: تحفيز الباحثين والمفكرين على إثراء المكتبة الإسلامية بإصدارات معاصرة (كتب، دراسات، وروايات أدبية) تفكك التحديات الفكرية، وتعرض العقيدة الإسلامية بأسلوب أدبي وعلمي جذاب.
2. دعم الإنتاج الفني (القوة الناعمة الملتزمة): يُعد الفن من أقوى أدوات التأثير النفسي؛ لذا يجب دعم الإنتاج الفني الهادف (السينما النظيفة، والمسلسلات التاريخية والاجتماعية، والأناشيد، والرسوم المتحركة للأطفال) ليكون بديلاً حقيقياً ومنافساً للمحتوى الذي يهدم القيم.
3. تطوير الحضور الرقمي للإسلام: بناء موسوعات ومواقع إلكترونية إسلامية بلغات متعددة، تتميز بالاحترافية العالية في التصميم وسهولة الاستخدام، لتكون المرجعية الأولى الموثوقة للباحثين عن الحقيقة وسط فوضى الإنترنت.
4. دعم حركة الترجمة العكسية: نقل الإنتاج الثقافي والفكري الإسلامي الرصين إلى اللغات الحية العالمية عبر حركة ترجمة مؤسسية، لتقديم الرؤية الإسلامية للكون والحياة ومواجهة التشويه العولمي في عقر داره.

وفي هذا السياق، يقول الدكتور محمد عمارة: "تعزيز الإنتاج الثقافي الإسلامي ضرورة ملحة... يتطلب تشجيع التأليف في مجال العقيدة، ودعم الإنتاج الفني الإسلامي، وتطوير المواقع

⁽²⁷¹⁾ عمارة، العولمة والعقيدة: دراسة في التأثيرات المتبادلة، 2003، 189.

⁽²⁷²⁾ القرضاوي، المسلمون والعولمة، 2000، 189.

الإلكترونية، ودعم الترجمة والنشر"⁽²⁷³⁾؛ ويضع الدكتور طه جابر العلواني الضابط المنهجي لهذا الإنتاج مبيناً أنه: "يتطلب الانفتاح على الثقافات الأخرى، والاستفادة من تجاربها مع الحفاظ على الهوية الإسلامية، فالثقافة الإسلامية ليست ثقافة منغلقة على نفسها بل هي ثقافة منفتحة تتفاعل مع الثقافات الأخرى، وتأخذ منها ما يتوافق مع أصولها وثوابتها" ⁽²⁷⁴⁾.

3.3.1.3.3 مواجهة الغزو الثقافي والفكري

تتجلى خطورة العولمة في شقها الثقافي من خلال سعيها الحثيث لتحويل المجتمعات الإسلامية إلى مجرد "أسواق" مفتوحة، لا لتصريف البضائع المادية فحسب، بل لاستهلاك القيم الغربية الوافدة؛ وهو ما يُفضي بالضرورة إلى إحداث تغيير جذري في بنية الهوية ومنظومة السلوك الجماعي، ويصف الباحث خضير جاسم حالوب هذا الواقع المأزوم بكون العولمة تعد من أشد وسائل الغزو الثقافي عنفاً وضراوة؛ نظراً لدورها المحوري في تنمية "الاستهلاك الإسلامي" للثقافة الغربية وأيديولوجياتها الخاصة، ويرى أن هذا الغزو قد حقق اختراقات ملموسة بنجاحه في: "استبدال هوية المسلمين الثقافية، وجعل منهم أسواقاً لتصريف منتجاتها، ولا زالت تسعى للقضاء على الدين وأمركة المسلمين"⁽²⁷⁵⁾.

بناءً على هذا التشخيص، فإن الصمود أمام هذا الطوفان الثقافي يقتضي بناء رؤية مزدوجة؛ حيث إن استراتيجية صناعة البديل الحضاري النابع من الذات يجب أن تتوازي مع استراتيجية دفاعية صارمة لصد الغزو المباشر الموجه لهدم العقيدة وتقويض الهوية، وتتضمن هذه المواجهة:

1. الرصد الدقيق لمسارات الغزو الثقافي: تشكيل مراكز رصد استراتيجية تتابع ما يُبيث عبر المنصات العالمية والترجمات الوافدة، للوقوف المبكر على مصادر الخطر الفكري قبل تفشيه.

⁽²⁷³⁾ عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، 2004، 123.

⁽²⁷⁴⁾ العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، 1995، 178.

⁽²⁷⁵⁾ خضير حالوب - كرار حسين، "مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية"، وسائل الغزو الثقافي وأهدافها (العولمة

أُتمونجاً) 1/13 (2023)، 1.

2. تحليل أهداف الغزو وتفكيك آلياته: إخضاع المواد المرصودة للتحليل العلمي لمعرفة الجهات التي تقف خلفها، والاستراتيجيات النفسية والاجتماعية التي تستخدمها للتأثير على الشباب.

3. التحصين الداخلي (بناء المناعة): لا يمكن مواجهة الغزو بمجرد المنع (الذي أصبح مستحيلاً في زمن العولمة)، بل من خلال بناء المناعة الذاتية للمجتمع عبر تعزيز الاعتزاز بالهوية والانتماء لتاريخ الأمة وقيمها.

4. الرد الاستباقي وتفنيد الشبهات: الرد المباشر والعلمي على الطعون المثارة، باستخدام الأدلة النقلية والعقلية، وتقديمها بقوالب إعلامية تصل للجمهور المستهدف.

يلخص الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي هذه الاستراتيجية بوضوح قائلاً: "مواجهة الغزو الثقافي والفكري واجب شرعي، وضرورة عصرية، لحماية العقيدة الإسلامية من التشويه والتشكيك، وهذه المواجهة تتطلب رصد مظاهر الغزو، وتحليل أساليبه وأهدافه، وتحصين المجتمع المسلم، والرد على الشبهات والطعون، وكل ذلك يجب أن يتم بأسلوب علمي هادئ بعيداً عن التعصب والانفعال"⁽²⁷⁶⁾؛ ويؤكد الشيخ محمد الغزالي على أن نجاح هذه المواجهة مرهون بـ "تجديد الفكر الإسلامي وتطوير الخطاب الديني... فالفكر الإسلامي المتجدد، والخطاب الديني المتطور هما السلاح الأساسي في مواجهة الغزو الثقافي والفكري"⁽²⁷⁷⁾.

3.3.1.4. الاستراتيجية التكنولوجية والرقمية

يتناول هذا القسم الاستراتيجيات التي تتعامل مع البنية التحتية للعولمة (التقنية)، محولة إياها من مصدر تهديد إلى أداة بناء وحماية للعقيدة:

3.3.1.4.1. توظيف التكنولوجيا في خدمة العقيدة الإسلامية

تُعد التكنولوجيا سلاحاً محايداً ذا حدين؛ فكما أنها أداة للتأثير السلبي، يمكن تحويلها إلى أقوى أداة لنشر العقيدة الإسلامية وتعزيزها عالمياً، ويتضمن هذا التوظيف الاستراتيجي عدة مسارات:

⁽²⁷⁶⁾ البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، 156.

⁽²⁷⁷⁾ الغزالي، عقيدة المسلم، 178.

1. **تطوير التطبيقات الإسلامية الذكية:** تصميم وتطوير تطبيقات للهواتف الذكية تقدم محتوى عقدياً وإيمانياً بأسلوب عصري تفاعلي، لترافق المسلم في يومه، وتساعد على فهم عقيدته وتطبيقها، وتكون بديلاً آمناً للتطبيقات المستهلكة للوقت.
2. **إنشاء المواقع الإلكترونية التخصصية:** تأسيس شبكة من المواقع الإلكترونية المرجعية التي تقدم العقيدة الإسلامية بلغات متعددة، وتتولى الرد الفوري والمنهجي على الشبهات والطعون لتكون حائط صد إلكتروني موثوق.
3. **الاستثمار الموجه لوسائل التواصل الاجتماعي:** اقتحام خوارزميات وسائل التواصل الاجتماعي بصناعة محتوى قيم يبتشر بقوة، لغرض نشر العقيدة، والرد على الشبهات، والوصول المباشر إلى فئة الشباب التي تتخذ من هذه المنصات بيئة أساسية لها.
4. **إنتاج المحتوى الرقمي المتنوع:** تنوع قوالب المحتوى الإسلامي لتشمل (الكتب الإلكترونية التفاعلية، والإنفو جرافيك، والبودكاست الفكري، والفيديوهات القصيرة)؛ مما يضمن محاصرة التأثيرات السلبية للعولمة بمحتوى إيجابي مكثف وجذاب.

يؤكد الدكتور يوسف القرضاوي على مركزية هذا التوجه قائلاً: "توظيف التكنولوجيا في خدمة العقيدة الإسلامية ضرورة عصرية لمواجهة التأثيرات السلبية للعولمة..، وهذا التوظيف يتطلب تطوير التطبيقات، وإنشاء المواقع الإلكترونية، واستخدام وسائل التواصل، وإنتاج المحتوى الرقمي، وكل ذلك يجب أن يتم في إطار الحفاظ على أصول العقيدة وثوابتها مع مراعاة متطلبات العصر"⁽²⁷⁸⁾؛ ويضيف الدكتور طه جابر العلواني شرطاً لنجاح ذلك مبيناً أنه: "يتطلب تأهيل كوادر إسلامية متخصصة في مجال التكنولوجيا تجمع بين العلم الشرعي، والمعرفة التكنولوجية، والقدرة على التواصل مع الجيل المعاصر"⁽²⁷⁹⁾

3.3.1.4.2 التوعية والتحصين ضد التحديات التكنولوجية

إلى جانب الاستفادة من التقنية، تفرض العولمة تحديات بالغة الخطورة (كالإلحاد الرقمي، والإباحية، والإدمان، والعزلة)، ولمواجهة هذه الإفرازات، لا بد من استراتيجيات دفاعية تتضمن:

⁽²⁷⁸⁾ القرضاوي، المسلمون والعولمة، 2000، 190.

⁽²⁷⁹⁾ العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، 1995، 189.

1. **التوعية المبكرة بمخاطر التكنولوجيا:** إطلاق حملات توعية تستهدف الأسرة والشباب لكشف الآثار المدمرة للمحتوى غير المنضبط على الاستقرار النفسي واليقين العقدي، فالوعي بالخطر هو أول دروع الوقاية.
2. **تطوير وتفعيل برامج الحماية والرقابة:** تشجيع إنتاج واستخدام برمجيات الحماية وتصفية المحتوى لحماية الناشئة من الفخاخ الإلحادية والإباحية، والحد من اختراق الألعاب العنيفة التي تروج لقيم منافية للعقيدة.
3. **تعزيز ثقافة "الاستخدام الإيجابي":** توجيه طاقات الشباب نحو استثمار التقنية في مسارات نافعة، كالتعلم الذاتي، وتطوير المهارات، والمشاركة في مشاريع الدعوة الرقمية، مما يحولهم من "مستهلكين سلبيين" إلى "منتجين فاعلين".
4. **كسر العزلة بتعزيز التواصل الواقعي:** الموازنة بين الحياة الرقمية والواقعية، من خلال دمج الشباب في برامج تطوعية، وفعاليات اجتماعية ومسجدية، لانتشالهم من براثن "الاغتراب الرقمي".

يلخص الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي هذه المواجهة بقوله: "مواجهة التحديات التكنولوجية ضرورة ملحة لحماية العقيدة..، وهذه المواجهة تتطلب التوعية بمخاطر التكنولوجيا، وتطوير برامج الحماية والرقابة، وتعزيز الاستخدام الإيجابي، وتعزيز التواصل الاجتماعي الواقعي... في إطار التوازن بين الاستفادة من التكنولوجيا، والحذر من مخاطرها"⁽²⁸⁰⁾؛ ويؤكد الشيخ محمد صالح المنجد على دور التحصين الداخلي قائلاً: "مواجهة التحديات التكنولوجية تتطلب تربية النشء على الاستخدام الواعي للتكنولوجيا من خلال غرس القيم الإسلامية في نفوسهم، وتعزيز الرقابة الذاتية لديهم... فالتربية الإسلامية الصحيحة هي الحصن الأول"⁽²⁸¹⁾.

3.3.1.4.3 تطوير المنصات التعليمية الإلكترونية

لقد أصبحت المنصات الإلكترونية هي البديل الاستراتيجي لنشر العلم الشرعي وتجاوز الحدود الجغرافية التي تفرضها العولمة، ولتفعيل دور هذه المنصات يجب التركيز على:

(280) البوطي، قضايا ساخنة: التشريع - الإرهاب - العولمة الإنسانية والعولمة الاستعمارية، 145.

(281) المنجد، خطر العولمة على العقيدة الإسلامية، 123.

1. تطوير المحتوى التعليمي وتجديده: صياغة مقررات العقيدة والعلوم الشرعية بأسلوب أكاديمي معاصر، يبتعد عن الحشو، ويركز على بناء العقلية الناقدة والمؤمنة.
2. اعتماد أساليب التعليم التفاعلية: توظيف تقنيات الواقع الافتراضي، والمحاكاة، والتعلم النشط داخل المنصات، لكسر حاجز الملل الذي يصاحب التعليم عن بعد التقليدي.
3. ابتكار أساليب تقويم منهجية: إيجاد طرق قياس موضوعية لتقييم استيعاب المتعلمين للجانبين النظري والسلوكي للعقيدة، وقياس مهاراتهم في المحاجة والرد على الشبهات.
4. خلق بيئات تواصل حية: توفير مساحات تفاعلية حية (فصول افتراضية ومنتديات نقاشية) تربط الطالب بشيخه ومعلمه مباشرة، لتعويض غياب التلقي الوجيه.

يقرر الدكتور طه جابر العلواني أهمية هذا المسار قائلاً: "تطوير المنصات التعليمية الإلكترونية ضرورة عصرية لنشر العقيدة الإسلامية وتعليمها..، وهذا التطوير يتطلب تطوير المحتوى التعليمي، وأساليب التعليم، وأساليب التقويم، وتعزيز التفاعل بين المعلمين والمتعلمين"⁽²⁸²⁾ وفي سياق تكامل هذا الجهد، يؤكد الدكتور يوسف القرضاوي على أن نجاح هذه المنصات مرهون بقدرتها على كسر الحواجز وتوفير "العالمية في الخطاب"، بحيث تصبح جامعة مفتوحة تنقل التربية العقيدة الرصينة من قاعات الدرس المغلقة إلى كل مسلم في أرجاء الأرض، متجاوزة عوائق الجغرافيا واللغة"⁽²⁸³⁾.

3.3.2. نماذج ناجحة في مواجهة التأثيرات السلبية للعولمة على العقيدة الإسلامية

يتناول هذا القسم استعراضاً لبعض النماذج المؤسسية والمبادرات العملية التي نجحت في تحويل الاستراتيجيات السابقة (الفكرية، التربوية، والإعلامية) إلى واقع ملموس لمواجهة تحديات العولمة:

3.3.2.1. نماذج من العالم العربي

1. الأزهر الشريف: يُعد الأزهر (بجامعته، ومعاهده، ومراكزه البحثية) صمام أمان عقدي، وقد طور آلياته لمواجهة العولمة عبر تجديد خطابه، وإنشاء "مرصد الأزهر لمكافحة

⁽²⁸²⁾ العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، 1995، 190.

⁽²⁸³⁾ القرضاوي، المسلمون والعولمة، 2000، 201.

التطرف" لتفكيك الشبهات اللغوية والفكرية بشتى اللغات، وإصدار المجلات العلمية المحكمة التي تتناول نوازل العصر.

2. **رابطة العالم الإسلامي:** أسهمت الرابطة بفاعلية من خلال "المجمع الفقهي الإسلامي" الذي يتصدى للنوازل العقديّة والفقهية، بالإضافة إلى تنظيم المؤتمرات العالمية التي تجمع علماء الأمة لمواجهة الاختراق الثقافي، وإصدار المطبوعات التوجيهية.
3. **مركز الأميرة العنود لدراسات المرأة:** يقدم هذا المركز نموذجاً متخصصاً في حماية الهوية؛ من خلال برامج تدريبية وإصدارات علمية تحصن المرأة المسلمة ضد الفلسفات النسوية المتطرفة التي تروج لها العولمة، وترد على الشبهات المثارة حولها.
4. **المبادرات الشبابية الموجهة (نموذج مبادرة "بصيرة"):** تُعد المبادرات النوعية (كمبادرة "بصيرة" وغيرها من المبادرات الشبابية في العالم العربي) نماذج مرنة لتعزيز الهوية والرد المباشر على الشبهات الإلحادية بلغة تناسب العصر.

يؤكد الدكتور محمد عمارة على أهمية هذه الجهود قائلاً: "الأزهر الشريف، بمؤسساته المختلفة، يقدم نموذجاً ناجحاً في مواجهة التأثيرات السلبية للعولمة..، وهذا النموذج يستحق الدراسة والتقييم، للاستفادة من تجربته، وتطويرها، وتعميمها"⁽²⁸⁴⁾؛ وكذلك يثمن الدكتور يوسف القرضاوي دور المجمع الفقهي (كرابطة العالم الإسلامي) باعتبارها جهداً جماعياً قادراً على دراسة النوازل ومواجهة التحديات بمرجعية علمية رصينة"⁽²⁸⁵⁾.

3.3.2.2 نماذج من العالم الإسلامي غير العربي

1. **الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا (IIUM):** قدمت نموذجاً فريداً لـ "أسلمة المعرفة"؛ حيث دمجت بين العلوم الشرعية الرصينة والعلوم الكونية الحديثة في مناهجها، لإنشاء جيل معتز بهويته الإسلامية وقادر على المنافسة التكنولوجية والعلمية في عصر العولمة"⁽²⁸⁶⁾.

(284) عمارة، العولمة والعقيدة: دراسة في التأثيرات المتبادلة، 2003، 201.

(285) القرضاوي، المسلمون والعولمة، 2000، 212.

(286) العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، 1995، 201.

2. رئاسة الشؤون الدينية التركية (Diyanet): تلعب مؤسسة "ديانت" دوراً محورياً في الحفاظ على الهوية العقدية للمجتمع التركي عبر شبكة المساجد، والبرامج الإعلامية، والإصدارات بلغات متعددة التي تواجه المد العلماني اللاديني وتحمي الأسرة⁽²⁸⁷⁾.
3. مجلس علماء إندونيسيا (MUI): يمثل المرجعية الرسمية التي توحد الرؤية العقدية والفقهية في أكبر بلد إسلامي، ويصدر الفتاوى الاستباقية ضد التيارات المنحرفة والبدع التي تتسرب عبر الانفتاح الثقافي.
4. جهود الدعوة الشعبية (نموذج جماعة التبليغ والدعوة): بعيداً عن العمل الأكاديمي، تمثل الجهود الدعوية الشعبية العابرة للحدود (كجماعة التبليغ المنطلقة من شبه القارة الهندية) نموذجاً لحفظ "فطرة العقيدة" لدى العوام، عبر إحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعزيز الأخوة الإسلامية.

يقول الدكتور طه جابر العلواني مشيداً بنموذج الدمج المعرفي: "الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا تقدم نموذجاً ناجحاً في مواجهة التأثيرات السلبية للعولمة على العقيدة الإسلامية من خلال تقديم برامج تعليمية تجمع بين العلوم الشرعية والعلوم الحديثة، وتعزز الهوية الإسلامية لدى الطلاب، وهذا النموذج يستحق الدراسة والتقييم"⁽²⁸⁸⁾.

3.3.2.3 نماذج من المجتمعات الإسلامية في الغرب

1. المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث: يُعد من أهم المؤسسات المرجعية للمسلمين في الغرب؛ حيث يصدر الفتاوى التي تساعد الأقليات على الحفاظ على عقيدتها وهويتها، مع الاندماج الإيجابي في مجتمعاتها دون ذوبان.
2. مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية: يقدم نموذجاً أكاديمياً رفيعاً يتواجد في قلب أعرق الجامعات الغربية، ليعرض الإسلام والعقيدة برؤية علمية رصينة تفند الصور النمطية الاستشراقية والإعلامية المشوهة.

(287) Diyanet İşleri Başkanlığı، 2024-2028 Stratejik Planı (Strateji Geliştirme Başkanlığı، 2024)، 64-67 -2024 الخطة الاستراتيجية التركية، الرئاسة الشؤون الدينية التركية، انظر: رئاسة الشؤون الدينية التركية، الخطة الاستراتيجية 2024-2028.

(288) العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، 1995، 201.

3. **مؤسسات التعليم والتربية** (نموذج كلية الزيتونة بأمريكا): تمثل "كلية الزيتونة" أول كلية إسلامية معتمدة في الولايات المتحدة، وتهدف إلى تخريج جيل من المسلمين الأمريكيين المعتزین بعقیدتهم، والقادرین على التعامل مع الفلسفة الغربية بوعي نقدي إسلامي.
4. **المبادرات الدعوية والتوعوية** (نموذج مبادرة "سلام" وغيرها في بريطانيا): مبادرات نوعية تستهدف الشباب المسلم في المهجر، لتعزيز فخرهم بهويتهم وتزويدهم بالحجج العقلية لدحض الشبهات التي تثار في البيئات المفتوحة.

وفي تقييم هذه النماذج، يقول الدكتور طارق رمضان: "المجلس الإسلامي الأوروبي يقدم نموذجاً ناجحاً في مواجهة التأثيرات السلبية للعولمة... من خلال إصدار فتاوى تتناول قضايا المسلمين في الغرب، وتقديم برامج توعوية تعزز الهوية الإسلامية لدى المسلمين الأوروبيين"⁽²⁸⁹⁾؛ كما يؤكد الدكتور يوسف القرضاوي على أن هذه المؤسسات تتحمل العبء الأكبر في مساعدة المسلمين هناك على الموازنة بين الحفاظ على الثوابت العقديّة ومتطلبات المواطنة"⁽²⁹⁰⁾.

3.3.3. خلاصة الباب

تمثل استراتيجيات مواجهة التأثيرات السلبية للعولمة على العقيدة الإسلامية منظومة دفاعية وبنائية متكاملة، لا تقتصر على مجرد "الرد" اللحظي، بل تتجاوزه إلى "الفعل" الاستراتيجي، وقد أثبت هذا الباب أن حماية الالتزام الإيماني لا تكون بالانعزال عن العالم، بل بتتبع مسارات المواجهة لتشمل الجوانب الفكرية، والثقافية، والتربوية، والإعلامية، والتكنولوجية.

وقد تبين أن صميم هذه المواجهة يكمن في: تجديد الخطاب العقدي وتطوير مناهج علم الكلام لمواجهة الفلسفات الحديثة، وتفعيل دور الأسرة والمؤسسات التعليمية والدينية كمحاضن أساسية للتربية، وبموازاة ذلك يجب الانتقال من الاستهلاك إلى الإنتاج عبر تطوير الإعلام الإسلامي، وتعزيز الإنتاج الثقافي، والتوظيف الذكي والمنهجي للتكنولوجيا (كالمنصات التعليمية والتطبيقات) لتكون أدوات فاعلة في نشر الوعي والرد على الشبهات الإلحادية والإباحية.

إن النماذج التطبيقية الناجحة التي أفرزتها مؤسسات العالم العربي، والعالم الإسلامي غير العربي، وصولاً إلى مبادرات الأقليات المسلمة في الغرب، تؤكد أن الأمة تمتلك الحيوية اللازمة لمقاومة

(289) رمضان، المسلمون في الغرب، 2004، 123.

(290) القرضاوي، في فقه الأقليات المسلمة، 145.

الذوبان؛ غير أن التحدي الأكبر يكمن في ضرورة استمرار هذه الجهود وتضافرها وتكاملها بين جميع مكونات المجتمع الإسلامي (أفراداً ومؤسسات)، في إطار رؤية منهجية تستند إلى فهم عميق لآليات العولمة، واعتزاز راسخ بخصائص العقيدة الإسلامية وثوابتها.

3.3.4. رؤية مستقبلية للتعامل مع العولمة: دليل عملي لترتيب الأولويات الإيمانية

تعتمد الرؤية المستقبلية لمواجهة التحديات العولمية على ابتكار أدوات معيارية ومنهجية تحمي المسلم من السقوط في فخ "الهزيمة النفسية"، والتي تصفها الباحثة هاجر السناني بأنها حالة من الذوبان الكامل في شخصية "الهائم" وفقدان الاستقلال القيمي، ولتجاوز هذا المأزق، تبرز ضرورة تفعيل "مصفوفة الثبات والمرونة"؛ حيث يتعين على المسلم المعاصر التفريق بوعي حاد بين "القطعيات العقدية" التي تشكل جوهر هويته ولا تقبل المساومة، وبين "الوسائل والآليات" التي تقبل التطوير والاقْتباس، ومن هنا تبرز إستراتيجية "أسلمة العولمة" - بمعنى قيادتها بقيم الوحي - بدلاً من الانصياع لـ "عولمة الإسلام" التي تسعى لتطويعه للمنظومات المادية، وفي هذا السياق الوجودي، يطرح الباحث الطاهر دحماني تساؤله الاستشراقي: "فلمن ترجح كفة هذا الصراع في نهاية المطاف؛ للعولمة الرأسمالية (عولمة الإسلام)، أم للإسلام الحنيف (أسلمة العولمة)؟" (291)

وتنتقل هذه الرؤية من التعويل على "الدولة" إلى استنهاض "المجتمع المؤسسي" والأهلي؛ فنظراً للضغوط الدولية الهائلة التي تعيد صياغة النظم الرسمية، تقع مسؤولية حماية العقيدة على عاتق المؤسسات المستقلة والوعي الفردي، ويحلل الدكتور جلال أمين هذا الواقع بجرأة مبيناً أن استجداء الدولة للصوص أمام العولمة قد يكون رهاناً خاسراً بعد أن جرت عولمة الكثير من مفاصلها، مؤكداً أن المعارضة لاتجاهات العولمة لا تزال توجه خطابها للدولة: "فتستجديها مرة، وتنتقدها مرة... من دون أن تريد رؤية دولنا قد أفصحت عن أنها قد فقدت قدرتها على المقاومة" (292).

كما تمتد هذه الرؤية لتشمل المجال الإعلامي وصناعة الرموز؛ ففي ظل العولمة الرقمية، لم يعد الرمز الديني يُنتج داخل المحارِب التقليدية فحسب، بل صار يُصنع عبر وسائط تخضع لقوانين السوق والترويج، ويحذر الدكتور شريف محمد عوض من أن هذه الصناعة باتت محكومة بـ

(291) دحماني، "خطر العولمة الدينية على المجتمعات الإسلامية: عولمة الإسلام أم أسلمة العولمة؟"، 12.

(292) جلال الدين أمين، "العولمة والدولة"، ملف العرب والعولمة 228/20 (1998)، 1.

"قوانين الجذب والتأثير الإعلامي"، مما يفرض تحديات جسيمة على أصالة المرجعية الدينية وقدرتها على الثبات أمام التحولات المتسارعة" (293).

إن الخلاصة المستقبلية للتعافي المجتمعي تظل مرهونة بقدرة الأمة على "تطويع" المنجز التكنولوجي لخدمة عالمية التوحيد، فالمرجح ليس في الهروب من التاريخ، بل في قراءته عبر "الوحي والكون" معاً؛ وهو ما لخصه الأستاذ عمر عبيد حسنة بأن هذا البعث هو: "سبيل للمعرفة والتفكير في آيات الله في الكتاب المسطور والكون المنظور..، ووسيلة كشف السنن الكونية والقوانين الاجتماعية النازمة لمسيرة الحياة" (294).

تنطلق هذه الرؤية المستقبلية من فهم دقيق لطبيعة العولمة وآلياتها المتسارعة، وتستند في المقابل إلى الفهم العميق لخصائص العقيدة الإسلامية وما تمتاز به من ثبات في الأصول ومرونة في الفروع، وتهدف هذه الرؤية إلى تقديم أداة معيارية وعملية تمكن المسلم المعاصر من ترتيب أولوياته الذاتية؛ لينجو في آخرته، ويكون فاعلاً ومؤثراً في دنياءه، متجاوزاً حالة التخبط أمام طوفان العولمة، وذلك وفق قواعد منهجية رصينة، من أهمها:

أولاً: المرتكز الفلسفي للرؤية (جدلية الثبات والمرونة)

لا يمكن للمسلم أن يواجه سيولة العولمة (التي تذيب كل الثوابت) إلا بامتلاك وعي دقيق بحدود "الثبات والمرونة" في دينه، ويتجلى الثبات في المصادر القطعية للتشريع (القرآن والسنة) وما تفرع عنها من كليات؛ كأركان الإيمان الستة، وأركان الإسلام الخمسة، والمحرمات اليقينية (كالزنا والربا وقتل النفس)، وأمهاات الفضائل (كالصدق والأمانة)، فهذه الكليات ثابتة لا تتغير بتغير الزمان أو المكان، ولا تقبل النسخ أو الإلغاء تحت أي ضغط عولمي، وكما يقرر الإمام الشاطبي، فإن هذه الثوابت: "كُلِّية أبدية، وضعت عليها الدنيا، وبها قامت مصالحها في الخلق... فذلك الحكم الكلي باقٍ إلى أن يرث الله الأرض وما عليها" (295).

(293) عوض، "صناعة الرمز الديني في الحياة اليومية في ضوء تحولات العولمة"، 9.

(294) حسنة، العولمة: فرص وتحديات، 3 العولمة والتربية.

(295) إبراهيم بن موسى (أبو إسحاق) الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ed. by مشهور بن حسن آل سلمان

(الخبر - المملكة العربية السعودية: دار ابن عفان، 1997)، 65 ج2.

وفي المقابل، تتجلى المرونة في المصادر الاجتهادية، وفي جزئيات الأحكام وفروعها التي تتغير بحسب اقتضاء المصلحة زماناً ومكاناً، مما يمنح المسلم مساحة واسعة للتعاطي الإيجابي مع منجزات العصر، حيث يؤكد الإمام ابن القيم هذا المعنى مبيناً أن الأحكام نوعان: "نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها، لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة..، والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زماناً ومكاناً وحالاً"⁽²⁹⁶⁾ بناءً على هذه القاعدة المنهجية، يمكن صياغة أداة عملية لضبط بوصلة المسلم.

ثانياً: ابتكار " مصفوفة الأولويات الإيمانية" في مواجهة العولمة

تستوجب التحولات العولمية المتسارعة في العصر الراهن صياغة رؤية منهجية تتجاوز الاستجابات الانفعالية السطحية، لتنتقل بالذات المسلمة إلى فضاء الفاعلية الحضارية المنضبطة بمقاصد الشريعة، إن الإشكالية الراهنة التي تواجه الهوية الإسلامية لا تكمن فقط في قوة التيارات الخارجية، بل في "الارتباك القيمي" الداخلي الذي أفقد الكثيرين القدرة على التمييز بين "الأصيل" و"الزائف"، وبين "الوسيلة" و"الغاية"، ففقه مراتب الأعمال الذي يعرف "بأنه يتمثل في ترتيب الأحكام والقيم والتكاليف وفق معايير شرعية مستمدة من الوحي والعقل، بحيث يُعطى كل شيء حقه من التقديم أو التأخير بلا طغيان ولا إفسار، مع مراعاة التفاوت البليغ بين مراتب الأعمال باعتبارها أصولاً أو فروعاً، وفاضلاً أو مفضولاً"²⁹⁷ ومن هذا المنطلق تبرز الحاجة لـ"مصفوفة الأولويات الإيمانية" كابتكار منهجي يهدف إلى إعادة ترتيب الخارطة الذهنية والعملية للمسلم مستفيداً من تمازج فريد بين "فقه الأولويات"²⁹⁸ في التراث الإصلاحية المعاصر و"إدارة الفعالية"²⁹⁹ في الفكر الإداري العالمي.

تعتمد هذه المصفوفة في جوهرها على فلسفة "الفرز القيمي"، وهي العملية التحليلية التي تسمح للمسلم بالانتقال من حالة التلقي السلبي أو الرفض المطلق للمعطيات الاجتماعية إلى مرحلة القبول

⁽²⁹⁶⁾ شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، *إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان*، ed. by محمد عزيز شمس

(مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، 1432)، ج 330، 1.

²⁹⁷ يوسف القرضاوي، *في فقه الأولويات: دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة* (القاهرة: مكتبة وهبة، 1996)،

9 بتصرف: خلاصة تعريف القرضاوي.

²⁹⁸ القرضاوي، *في فقه الأولويات: دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة*، 129-132.

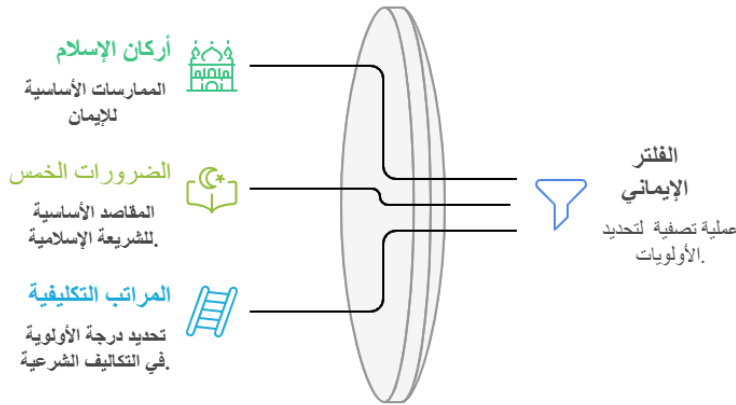
²⁹⁹ ستيفن كوفي، *العادات السبع للناس الأكثر فعالية* (الرياض: مكتبة جرير، 2009)، 179.

الانتقائي الواعي، إن هذا الفرز يتطلب دمجاً وظيفياً بين "البوصلة"، التي تمثل القيم والمقاصد الكلية عند الشيخ يوسف القرضاوي، وبين "الساعة"، التي ترمز إلى إدارة الزمن والفاعلية الميدانية عند ستيفن كوفي، إن هذا الدمج ينتج نموذجاً بشرياً يمكن وصفه بـ "المسلم الاستراتيجي"، وهو الفرد الذي يدرك أن "البوصلة أكثر أهمية من الساعة"، لأن تحديد الاتجاه الصحيح هو الذي يمنح القيمة لكل جهد مبذول في الزمن.

التأسيس المنهجي: تلاقي المقاصد الشرعية والمبادئ الإدارية

تقوم المصفوفة على ثلاثة محاور متداخلة تشكل مجتمعة "الفلتر الإيماني" للمعاصر: المحور الأفقي المتمثل في "أركان الإسلام" (الممارسة العملية)، والمحور الرأسي المتمثل في "الضرورات الخمس" (المقاصد الكبرى)، بالإضافة إلى "المراتب التكليفية" التي تعمل كمرشح نهائي لتحديد درجة الأولوية، إن هذا البناء الثلاثي يضمن ألا يغيب الجانب العبادي عن المقصد الإنساني، وألا يطغى أحدهما على الآخر في ميزان العمل اليومي.

محاور الأعمال الإيمانية



Made with Napkin

المحور المنهجي	المكونات الأساسية	الوظيفة في المصفوفة
المحور الأفقي (الأركان)	الشهادتان، الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج	تحديد الواجهة العملية والاتصال الشعائري مع الخالق
المحور الرأسي (المقاصد)	حفظ الدين، النفس، العقل، النسل، المال	تحديد الغايات الكلية والضرورات الوجودية للفعل الإنساني
مرشح الأولويات (التكليف)	الواجب، المحرم، المندوب، المكروه، المباح	تصنيف الأعمال وفق وزنها الشرعي والواقعي لترشيد الجهد

فلسفة الفرز القيمي والأصالة الإسلامية

يرتبط مفهوم الفرز القيمي ارتباطاً وثيقاً بـ "الأصالة الإسلامية"، التي تعني تحديد أصل كل شيء وإرجاعه إلى منطلقات التوحيد، إن الشاب المسلم في مرحلة التكوين ينتقل من التلقي الجمعي غير الموجه إلى حالة الانضباط الذاتي، حيث يصبح "مولداً ذاتياً للأسئلة" بدلاً من كونه مجرد "مستقبل سلبي"، هذا التحول هو الذي يحمي الذات من "الاغتراب الرقمي"، حيث يقضي الفرد وقته في إنتاج بيانات تخدم الأنظمة العولمية دون أن يمتلك سيطرة على مصيره القيمي.

إن الفرز القيمي يهدف إلى تقوية العناصر الوظيفية في الثقافة الإسلامية، مع إضعاف العناصر غير الوظيفية التي قد تكون تسربت عبر العصور أو عبر الغزو الثقافي، وهذا المسار لا يعني الانسلاخ من العصر، بل يعني "تجديد الأدوات الإدراكية" لاستيعاب تجارب الأمم ونقدها انتقائياً، مما يجعل المسلم فاعلاً لا مفعولاً به في المشهد العالمي.

المربع الأول: منطقة الإدارة العقدية والمواجهة الحتمية

يمثل المربع الأول في مصفوفة الأولويات المنطقة "المباشرة والحاسمة"، وهي مساحة "إدارة الأزمات العقدية"، وفي هذا النطاق، تلتقي ضرورات "حفظ الدين" مع أركان الإسلام الأساسية في مواجهة مباشرة مع تهديدات العولمة التي تمس جوهر العقيدة وبناء الأسرة؛ يصف كوفي هذا المربع بأنه "مربع الأزمات" الذي يستهلك طاقة الإنسان إذا لم يمتلك وقاية مسبقة؛ إذ إن الاستمرار في هذا المربع دون بناء منهجي يؤدي حتماً إلى "الاحتراق النفسي" والارتباك الوجودي.

• تقديم الأصول على الفروع كضرورة وجودية

يؤصل القرضاوي في هذا المربع لضرورة "تقديم الأصول على الفروع"، موضحاً أن أعظم الفهم هو "فهم رتب الأعمال"، فمن ضيع الأصول العقدية لم تنفعه الممارسات الفرعية، لأن الأصول هي الأساس الذي يقوم عليه كامل البناء الإيماني؛ إن المواجهة هنا لا تقبل المرونة لأنها تمس أصل الوجود، مثل التصدي لموجات الإلحاد الجديد التي تحاول تقويض مصدرية الوحي باسم العلم المعاصر.

إن التدقيق في "رتب الأعمال" يكشف أن الانشغال بالخلافات الفرعية في ظل وجود تهديد وجودي للعقيدة هو نوع من الفشل الاستراتيجي، فبينما تسعى العولمة إلى تذويب الخصوصيات الدينية

ومحو الخلفيات الثقافية لصالح نمط مادي موحد، يجب أن تتركز جهود المسلم في هذا المربع على "الرفض التام" لكل ما يمس القطعيات، مع "التحصين الشديد" للذات والمجتمع.

• حفظ النسل والأسرة في دائرة الواجب القطعي

لا يقتصر المربع الأول على المسائل العقدية المجردة، بل يمتد ليشمل "حفظ النسل" من خلال حماية مؤسسة الأسرة؛ إن الترويج العولمي للإباحية أو الشذوذ يضرب في تقاطع (أحكام الأسرة مع حفظ النسل)، وهو انتهاك مباشر للمحرمات القطعية، وفي هذا السياق، تصبح رعاية الأم والأسرة مقدمة على أي مصالح مادية عارضة، لأن حفظ النفس والنسل ضرورة شرعية لا يقوم الدين ولا الدنيا إلا بها.

الموقف المنهجي المقترح	التقاطع المقاصدي في المربع الأول	التهديد العولمي
الرفض العقدي والتحصين الفكري العميق	حفظ الدين + الشهاداتتان	الإلحاد والفلسفات المادية
تفعيل الرقابة الشرعية وتعزيز الروابط الأسرية	حفظ النسل + الحقوق الزوجية	تقويض أحكام الأسرة
تقديم الكفاية على الرفاه وتأسيس القيم التكافلية	حفظ المال + الزكاة	المادية والاستهلاك المفرط

إن المسلم الذي يجد نفسه في حالة طوارئ دائمة تجاه هذه التهديدات هو الشخص الذي أهمل البناء في "المربع الثاني"، مما جعل دينه عرضة للاختراق عند كل أزمة عارضة.

المربع الثاني: قلب المصفوفة ومنطقة البناء الوقائي

يعتبر المربع الثاني، الموصوف بأنه "غير مباشر ولكن جوهري"، هو المركز الاستراتيجي لنموذج المسلم الفعال. في هذا النطاق، يتم التركيز على "حفظ العقل والنسل" من خلال التعليم والتربية المستمرة قبل وقوع الأزمة، ويرى كوفي أن الأشخاص الفعالين هم الذين "يصغرون حجم المربع الأول بالبقاء وقتاً أطول في المربع الثاني"، لأن الأنشطة الوقائية هي التي تمنع الانهيار الحضاري لاحقاً.

• أولوية عمل القلب والفهم العميق

في هذا المربع، يتجلى تأصيل القرضاوي لـ "أولوية عمل القلب على عمل الجوارح"؛ فالنية والقناعات والوعي هي المحرك لكل فعل خارجي؛ إن إصلاح الباطن هو الذي يضمن استمرارية المقاومة الثقافية للعولمة من الداخل، بحيث لا تكون الاستجابة مجرد رد فعل آلي، بل فعلاً نابعاً من إيمان عميق وفهم مستبصر.

كما تبرز هنا "أولوية الفهم على مجرد الحفظ"؛ فبينما يظل الحفظ حبيس الذاكرة، يمتد الفهم ليشمل دراسة أمور الدنيا والتخطيط المنظم لها. إن بناء "العقل الناقد" القادر على التمييز بين الغث والسمين في الفضاء الرقمي هو نشاط من أنشطة المربع الثاني التي تحمي الفرد من "آفة التلقي السلبي" التي تهيمن على المنظومات التقليدية.

• التربية الإسلامية كأداة للصدود الثقافي

تؤكد الدراسات الأكاديمية أن صمود الثقافة الإسلامية في وجه العولمة يعتمد بالأساس على "التوظيف التكنولوجي" في نشر القيم والتربية والرقابة الذاتية؛ إن إنشاء محتوى رقمي رصين يعكس الصورة الحقيقية للدين هو جهد وقائي يمنع الشباب من السقوط في فخ الاغتراب.

المربع الثالث: منطقة المرونة الحضارية وإدارة التغيرات السطحية

يتعلق المربع الثالث بما هو "مباشر ولكن منخفض الأولوية"، وهي المنطقة التي يصفها كوفي بمربع "الخداع"، وهنا يقع الكثير من المسلمين في فخ الانشغال بالوسائل العاجلة (كالموضة، أو التريندات الرقمية، أو أنماط الاستهلاك المباحة) معتقدين أنها تمس جوهر الهوية، بينما هي في الحقيقة متغيرات سطحية لا ينبغي أن تستنزف الطاقة الكلية.

• أولوية الكيف على الكم في التعامل مع العولمة

يركز القرضاوي في هذا النطاق على "أولوية الكيف على الكم"؛ ففي التعامل مع منتجات العولمة التقنية، ليست العبرة بمقاطعها كمياً، بل باستيعابها كيفياً بما يخدم المقاصد الكبرى. إن المسلم الاستراتيجي لا ينشغل برفض "القشور التقنية" لمجرد أنها قادمة من الغرب، بل يبحث عن كيفية توظيفها لخدمة القيم الإسلامية.

تظهر "آفة الاستنزاف" بوضوح في هذا المربع عندما يهدر المسلم وقته في محاربة (المباحات والمرونة) معتقداً أنه يدافع عن الدين، بينما يترك الكليات (المربع الأول) عرضة للاختراق. إن

"المرونة الحضارية" تتطلب استيعاب التغيرات في أنماط اللباس المباح، أو طرق التجارة الإلكترونية، أو التقنيات الحديثة، طالما أنها لا تتصادم مع نص قطعي أو ضرورة مقاصدية.

• إدارة "الخداع" الرقمي والاستهلاك

تفرض العولمة نمط حياة سريع الإيقاع يجعل الإنسان عبداً للأجهزة الذكية، مما يؤدي إلى فقدان القدرة على التأمل الهادئ والذكاء العاطفي. إن إدارة المربع الثالث تتطلب:

- **الترشيد:** استخدام الأدوات التقنية بذكاء دون أن تتحول هي إلى غاية.
- **الانتقائية:** اختيار ما يتناسب مع القيم الجوهرية وترك ما يؤدي إلى تآكل الوقت والجهد بلا فائدة.
- **الرقابة الذاتية:** الوعي بكيفية توظيف التكنولوجيا كجسر للإنسانية لا كحاجز يفصل الفرد عن ذاته.

إن التحدي الحقيقي في هذا المربع هو "الاستفادة الإيجابية والفاعلية" دون الذوبان، بحيث يظل المسلم ممسكاً بزمام المبادرة في استخدام الوسائل المعاصرة لتحقيق أهداف "المربع الثاني".

المربع الرابع: خط التعايش والمشاركات الإنسانية

يمثل المربع الرابع المساحة "غير المباشرة ومنخفضة الأولوية"، وهي منطقة التوافق الإنساني العام والعادات التي لا تصادم عقيدة ولا نصاً. هنا تتجلى عالمية الإسلام وقدرته على استيعاب التنوع الثقافي تحت مظلة "الأخوة الإنسانية".

• تغيير الفتوى بتغير الزمان والمكان والعرف

يؤصل القرضاوي في هذا المربع لقاعدة "تغيير الفتوى بتغير الزمان والمكان والعرف". إن هذا الفصل العظيم النفع يحمي الشريعة من الجمود، ويؤكد أن مبنائها على "الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد". فالشريعة هي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالحة كلها، وأي مسألة تخرج عن هذا الإطار إلى الجور أو العبث فليست من الشريعة في شيء.

يدعم هذا التأصيل مرونة المسلم في التعامل مع العادات الثقافية المشتركة؛ فما لا يخالف الثوابت من أعراف الشعوب يظل في دائرة المباح الذي يسهل فيه التعايش. إن "وعي المشترك" الإنساني

هو الذي يمنح المسلم القدرة على رؤية المكارم عند الآخرين والاستفادة منها، بدلاً من الانغلاق التام الذي يفقده فرصة التأثير والحوار.

• التعايش الإيجابي لا الذوبان السلبي

إن "خط التعايش" في المصفوفة لا يعني التنازل عن الخصوصية، بل يعني "التسامح" في المساحات المشتركة وتفعيل مبادئ العدالة والديمقراطية (بمعناها الإجرائي) كوسائل لحماية الحقوق وصيانة الكرامة الإنسانية. إن "المسلم الاستراتيجي" يدرك أن الانفتاح على العالم هو وسيلة لتقديم رسالة الإسلام بشكل يحسن فهمه، وليس دعوة للاغتراب أو التخلي عن الجذور.

مستوى التفاعل	السلوك التقليدي (الجمود)	السلوك المقترح في المصفوفة (التعايش)
تجاه العادات العالمية	الرفض المطلق بدعوى التغريب	الفرز القيمي والقبول الانتقائي
تجاه القضايا الإنسانية	الانعزال والتمحور حول الذات	تفعيل "وعي المشترك" والمشاركة الإيجابية
تجاه تطور الأحكام	الجمود على قنوى العصور السابقة	مراعاة تغير الزمان والمكان والحال

إن ثمرة هذا المربع هي تحقيق "التفاعل الإيجابي الخلاق" مع تجليات التقدم الإنساني، مع الحفاظ على "نقطة الارتكاز المعنوي" المتمثلة في التوحيد والأصالة.

المسلم الاستراتيجي: الثمرة العملية لدمج الرؤيتين

إن دمج "الفعالية" عند كوفي مع "الفقه" عند القرضاوي ينتج نموذجاً بشرياً متميزاً يجمع بين قوة الروح ودقة الإدارة. إن "المسلم الاستراتيجي" هو الذي يمتلك:

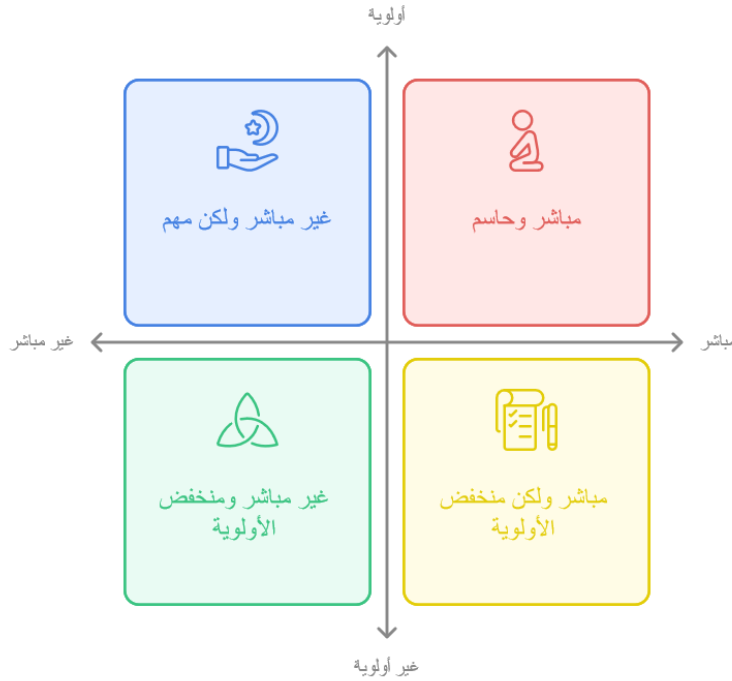
1. **بوصلة مقاصدية:** توجهه نحو الغايات الكبرى (حفظ الضرورات الخمس).
2. **ساعة منضبطة:** تدير وقته وجهده في "المربع الثاني" لتقليل الأزمات واستنزاف الطاقة.
3. **فلتر تكليفي:** يزن به الأفكار والممارسات العولمية قبل إدخالها في حيز التنفيذ.

التحصين ضد آفتي الاستنزاف والذوبان

تطبيق مصفوفة الأولويات الإيمانية يحمي المسلم من آفتين خطيرتين في عصر العولمة:

- آفة الاستنزاف: بحيث لا يهدر طاقته في محاربة المباحات والمرونة الحضارية (المربع الثالث)، معتقداً أنه يدافع عن الدين، بينما يترك الأصول (المربع الأول) مكشوفة.
- آفة الذوبان: بحيث يدرك خطوط التماس الحمراء، فلا يبرر التنازل عن الثوابت العقدية بدعوى الانفتاح ومواكبة العولمة.

مستويات تقييم التأثير الديني



تفعيل مفهوم "الإحسان" كمعيار للجودة

ينتقل التعامل مع العولمة، من خلال هذه المصفوفة، من الانفعال العاطفي المشتت إلى الفعل المؤسسي والذاتي المنضبط، وهنا يتحقق مقام "الإحسان" الذي يربط بين إتقان العمل الدنيوي واستشعار الرقابة الإلهية في كل تقاطعات الحياة؛ إن هذا الإحسان يتطلب بذل غاية الوسع في تحصيل أسباب تطوير آليات التعامل وتكوين الكفاءات الفاعلة في المشهد العالمي.

إن "المسلم الاستراتيجي" هو الذي يدرك أن "البوصلة" (القيم) تحدد له "لماذا" يعمل، بينما "الساعة" (الإدارة) تحدد له "كيف" ومتى يعمل، وبهذا التوازن، يصبح قادراً على تحقيق

"العمران والاستخلاف" الذي هو مقصد الوجود الإنساني، مستفيداً من أدوات العصر، محتفظاً بهويته العقديّة، ومساهمًا بفعالية في بناء حضارة إنسانية أكثر عدلاً ورحمة.

بهذا المنطق، لا تعود العولمة تهديداً محضاً، بل تتحول إلى "ميدان للابتلاء الحضاري" يثبت فيه المسلم قدرته على الصمود والفاعلية، محققاً التوازن الدقيق بين الأصالة المرجعية والمعاصرة المبدعة؛ إن مصفوفة الأولويات الإيمانية هي الخطوة الأولى نحو استعادة "السيادة الذاتية" في عالم يسعى لتنميط الإنسان وتشبيّهه، ليبقى المسلم عبداً لله وحده، حراً في اختياراته، فاعلاً في عصره..³⁰⁰

3.3.4.1. محور الرؤية الفكرية والعقدية

يشكل الفضاء الفكري الساحة الأولى التي تتصادم فيها مرجعية الوحي مع فلسفات العولمة المادية، ولتحقيق الاستعصاء العقدي، لا بد من بلورة رؤية فكرية هجومية ودفاعية في آن واحد، تتجاوز الانكفاء إلى المبادرة الحضارية.

3.3.4.1.1 تجديد الفكر الإسلامي في ضوء تحديات العولمة

إن التعافي من الآثار السلبية للعولمة يقتضي، بالدرجة الأولى، وقفة نقدية جادة مع الذات لتجاوز حالة "الغفلة المنهجية" التي جعلت المجتمعات الإسلامية غثاء كغثاء السيل أمام الأمواج الوافدة، ويحلل الأستاذ محمد قطب هذا الواقع بمزيج من المرارة والاستنهاض؛ إذ يرى أن المسلمين يشكون اليوم من أخطار العولمة ونذرها التي تتهددهم، وحق لهم ذلك، ولكن قلما يتبادر إلى أذهانهم أنهم -بسبب تقاعسهم وتفلتهم من تكاليف ومنهجية دينهم- هم السبب الأول فيما يلقونه اليوم من هوان وعسف " ³⁰¹

وتتطلب الرؤية المستقبلية لهذا التجديد بناء نموذج "مدني" يستفيد من منجزات العصر وأدواته المعاصرة دون التفريط في جوهر الوحي؛ فالموازنة بين الأصالة والمدنية تقتضي انفتاحاً واعياً يتجاوز الانغلاق الفكري، وفي هذا السياق، يذكر أحمد القبانجي أنه إذا تم تجاوز الرؤية المثالية

³⁰⁰ القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، 251-253. (تم الاعتماد عليه في تأصيل الثبات والمرونة).

³⁰¹ القرضاوي، المسلمون والعولمة، 2000.

الجامدة إزاء التراث وما تتضمنه من انغلاق، أمكن التوصل إلى: "قناعة نظرية وعملية بأطروحة المجتمع المدني فيما تمثله من انسجام مع مبادئ الدين وحقوق الإنسان والقيم الإنسانية العليا"³⁰².

ولا يقتصر هذا التجديد على الجانب الهيكلي، بل يمتد ليشمل "صراع القيم" في مواجهة النسبية الأخلاقية؛ إذ تتجاوز تأثيرات العولمة حدود الاقتصاد والسياسة لتضرب في عمق المنظومة القيمية للمجتمع المسلم، محاولةً إحلال قيم "الفردانية والمنفعة المادية" محل القيم "التراحمية والقطعية"، ويشخص الباحثان رضوان زيادة وكيفن جيه أوتول هذا الندافع مؤكدين أن الصراع الحقيقي اليوم هو صراع قيم بالدرجة الأولى؛ فالعولمة تسعى لتعميم نسق غربي يصطدم مباشرة بالمنظومة الإسلامية التي توازن بين الروح والمادة، وحقوق الفرد وواجباته تجاه الأسرة، مما يجعل: "التمسك بالقيم الإسلامية خط الدفاع الأول"³⁰³.

يُمثل هذا المخاض الفكري المطلب التأسيسي الأول لبلورة استجابة حضارية واعية؛ ففي مواجهة دعاوى التغريب التي تروج لأن التمسك بالعقيدة مرادف للجمود، يبرز مفهوم "الهوية" بوصفه كائناً حياً قادراً على التفاعل الخلاق، وفي تأصيل هذه الجدلية، يفكك المفكر محمد عابد الجابري إشكالية "الثبات والتطور"، مقررًا أن الهوية الثقافية ليست معطًى ناجزاً، بل هي: "كيان يصير، يتطور، ويتحول، ويغتني... إنها لا توجد، ولا يمكن أن توجد، إلا بصفاتها متطورة... فالهوية الثقافية هي التي تجعل الفرد هو أتول، والجماعة هي أتول... إنها الثابت في المتحول"³⁰⁴.

بناءً على ذلك، ينطلق مشروع تجديد الفكر الإسلامي من فهم دقيق لآليات العولمة، ويهدف إلى تقديم أداة معيارية وعملية تمكن المسلم المعاصر من ترتيب أولوياته الذاتية؛ لينجو في آخرته، ويكون فاعلاً ومؤثراً في دنياه، وذلك وفق قواعد منهجية رصينة، من أهمها:

³⁰² أحمد القبانجي، *الإسلام المدني* (بيروت: دار الانتشار العربي، 2005)، 3.

³⁰³ رضوان زيادة - كيفين جيه أوتول، *صراع القيم بين الإسلام والغرب* (دمشق: دار الفكر، 2010)، 45.

³⁰⁴ الجابري، "قضايا في الفكر المعاصر"، 122-123.

أولاً: الاستجابة المنهجية والرؤية المستقبلية

في مواجهة الرؤى العولمية التي تبشر بـ "نهاية التاريخ" (فوكوياما) أو حتمية "صدام الحضارات" (هنتنغتون)، يتعين على العقل المسلم امتلاك رؤية استشرافية قادرة على إدارة التدافع الحضاري وفق المسارات التالية:

نظرية "الشبكة التصفوية" كبديل تفسيري: يقدم المركز العالمي للاستشارات الإستراتيجية نظرية "الشبكة التصفوية" كإطار لتفسير الصراع الراهن، حيث تشبه علاقات العولمة مباريات تصفوية تفضي في كل دور إلى تأهل طرف وعزل آخر، ويرى المركز أن الغلبة في هذا الصراع لن تكون للأقوى عسكرياً فحسب، بل:

"الصراع اليوم تصفوي قائم بين الثقافة (الدين والقيم) والمادة (الهيمنة الغربية) ...، ولئن كان الصراع والاستعمار والانتداب اليوم سياسياً تخدمه الآلة العسكرية والاقتصادية، فإن الغلبة النهائية ستكون لمن يمتلك الثبات الثقافي" ³⁰⁵

إستراتيجية "الحوار الحضاري" بديلاً عن الصدام: إن الاستجابة الإسلامية لعولمة الصدام لا تكمن في الانغلاق، بل في تقديم "الحوار الحضاري" القائم على المشترك الإنساني مع صون الخصوصية العقديّة، وفي نقد إسلامي لنظرية الصدام، يؤصل الدكتور محمد خليفة حسن لـ "قانون العوامل المشتركة" كسبيل للتعايش:

"التحقيق السلام في عالم متعدد الحضارات، يُطالب بضرورة أن تبحث شعوب جميع الحضارات عن تلك القيم والمؤسسات والممارسات المشتركة بينهم وبين شعوب الحضارات الأخرى...، ومن خلال هذه القوانين يتم وضع حد لصدام الحضارات" ³⁰⁶.

استيعاب التحديث وتفنيد أوهام "النهاية": يتطلب الرد العملي على أطروحات "فوكوياما" حول تعارض الإسلام مع الحداثة تقديم "نموذج إسلامي معاصر" يبرهن على أن العقيدة قادرة على

³⁰⁵ محمد جريوة، مهلا هنتنغتون.. مهلا فوكوياما: نظرية الشبكة التصفوية في صراع الثقافات والمادة، ed. by

المركز العالمي للاستشارات الإستراتيجية (الرياض: مكتبة العبيكان، 2004)، 96.

³⁰⁶ حسن محمد خليفة، المسلمون والحوار الحضاري مع الآخر: نقد إسلامي لنظرية صراع الحضارات (القاهرة:

مركز الدراسات الشرقية، 2003)، 100.

استيعاب المدنية والشورى بآليات مؤسسية حديثة، مع رفض الاستبداد المادي، لإثبات أن التاريخ لم ينته عند أعتاب الليبرالية الغربية المأزومة روحياً وأخلاقياً.

ثانياً: مسارات تجديد الفكر الإسلامي (تطبيقات "الثابت في المتحول")

يرتكز مشروع التجديد لمواجهة العولمة على أربع مسارات متوازية:

1. **تطوير المنهجية الفكرية:** صياغة منهج يجمع بين أصالة الاستدلال الشرعي والاستفادة الواعية من المناهج التحليلية الحديثة؛ لتفكيك مفاهيم "ما بعد الحداثة" و"السيولة"³⁰⁷ بدلاً من الرفض السطحي.
2. **تحرير المفاهيم (معركة الدلالات):** تجديد المصطلحات الإسلامية ونحت مفاهيم قادرة على التعبير عن الواقع المعاصر، وتفكيك المصطلحات الوافدة "الملغمة" (كالجنر والحرية المطلقة) التي تستهدف الثوابت العقدية.
3. **الاشتباك مع القضايا المستجدة:** توجيه البحث نحو القضايا الضاغطة؛ مثل العلاقة بين العلم التجريبي والدين، وحدود التعددية في المجتمعات المفتوحة، والإجابة عن التساؤلات الوجودية المعاصرة.

³⁰⁷ مصطلح لبومان ويُعرفه بأنها: "الحالة التي تمر بها المجتمعات الحديثة عندما لا تعود الأطر الاجتماعية (مثل الروابط الإنسانية، المؤسسات، القيم، والوظائف) قادرة على الحفاظ على شكلها لفترة طويلة". وهي تعني الانتقال من "الحداثة الصلبة" (المستقرة، القابلة للتنبؤ، ذات الروابط المتينة) إلى "الحداثة السائلة" التي تتميز بالآتي:

1. عدم الثبات: التغيير هو الشيء الوحيد الثابت.
 2. الهشاشة: الروابط الإنسانية تصبح "علاقات شبكية" سهلة القطع (كما في كتابه الحب السائل).
 3. الاستهلاكية: تحول الإنسان من كائن "منتج" إلى كائن "مستهلك" يبحث عن اللذة اللحظية.
 4. الفردية المفرطة: ذوبان الالتزامات الجماعية أمام الرغبات الفردية.
- "إن السيولة هي السمة الغالبة على المرحلة الراهنة من الحداثة، حيث لا تستطيع الأشكال الاجتماعية (البنى، المؤسسات، أنماط السلوك) الصمود طويلاً، إذ تذوب وتتفكك قبل أن تتصلب وتتحوّل إلى نماذج مرجعية للأجيال القادمة".

انظر للمزيد: زيغومنت باومان، **الحداثة السائلة**، ترجمة: حجاج أبو جبر، (القاهرة: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2016)، ص 25-27.

4. تحديث آليات الاستدلال: الارتقاء بأساليب الإقناع من السرد التقليدي إلى الحجاج المنطقي والمقاصدي الذي يحاكي العقلية الناقدة في عصر الطفرة المعلوماتية.

ثالثاً: الضوابط المنهجية للتجديد

لضمان عدم انزلاق التجديد نحو التمييع أو الذوبان، وضع المفكرون المسلمون محددات صارمة: يؤكد الدكتور طه جابر العلواني أن التجديد لا يعني تغيير الأصول: "بل يعني تجديد فهمنا له، وتطوير أدوات عرضه وشرحه، بما يتناسب مع متطلبات العصر وتحدياته" (308)

ويتفق معه الدكتور محمد عمارة في ضرورة الجمع بين الأصالة والمعاصرة: "فالتجديد ليس هدماً للقديم، بل هو إحيائه وتطوير أدواته ومناهجه، بما يجعله قادراً على مواجهة تحديات العصر" (309)

3.3.4.1.2 بناء نموذج معرفي إسلامي معاصر (إسلامية المعرفة)

تُعد معركة المصطلحات والمفاهيم حقل صراع استراتيجي في عصر العولمة حيث يسعى الآخر - عبر الهيمنة المعرفية - إلى إعادة تعريف مسميات الأمة ومفاهيمها المركزية لتجريدها من استقلالها الحضاري ومنظومتها القيمية، وفي بيان خطورة هذا المنزلق المنهجي يذكر الباحث مصطفى أنشاصي أن المفاهيم والمصطلحات باتت تأخذ حيزاً كبيراً في صراع الأمة مع الآخر بل غدت جزءاً جوهرياً من معركته معنا مما يحتم ضرورة الاهتمام بهذا الحقل؛ حيث يُلاحظ أن: "كل شكل من أشكال المقاومة والممانعة ضدها يُسمى (إرهاباً)، وكل إساءة للثوابت تُدرج تحت (حرية التعبير)" 310.

انطلاقاً من هذا الوعي، لا يمكن مواجهة الاختراق الثقافي والمعرفي الذي تفرضه العولمة بمجرد الردود الدفاعية المؤقتة أو الرفض الظاهري العاطفي؛ بل يتحتم التأسيس لـ "نموذج معرفي إسلامي معاصر" يستعيد زمام المبادرة الحضارية، ويقدم إطاراً مرجعياً مستقلاً لتفسير الكون والحياة والإنسان، ليكون قادراً على تفكيك الأنساب المعرفية الوافدة وإعادة بنائها وفق الرؤية التوحيدية.

(308) العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، 1995، 156.

(309) عمارة، العولمة والعقيدة: دراسة في التأثيرات المتبادلة، 2003، 167.

310 أنشاصي، "معركة المفاهيم: الحضارة، الثقافة، العولمة، هي الدين"، 1.

وينطلق بناء هذا النموذج الفلسفي والمعرفي المتكامل من خلال هندسة الأبعاد الأربعة التالية:

1. **المنطلقات التأسيسية (تكامل مصادر المعرفة):** يتجاوز هذا النموذج النظرة المادية الأحادية التي تروج لها فلسفات العولمة، ليؤسس بنيانه على مصادر متكاملة تجمع بين "الوحي" (القرآن والسنة) كإطار حاكم وموجه، و"العقل" و"الواقع" و"التجربة الإنسانية" كأدوات للفهم والاستنباط؛ مما يشكل قاعدة إبستمولوجية صلبة لا تنتكر للغيب ولا تتجاهل المادة.

2. **المنهجية المعرفية (التفكير المركب والنقدي):** يعتمد هذا النموذج آلية تفكير تجاورية تزوج بين الاستقراء والاستنباط، وتجمع بين التحليل والتركيب؛ وصولاً إلى امتلاك أدوات "النقد والتقويم"، إن هذه المنهجية الصارمة هي التي تُمكن العقل المسلم من فرز المعطيات الوافدة، وتمحيصها، وتبيئة الصالح منها، بدلاً من الاستهلاك السلبي لمنتجات العولمة الفكرية.

3. **شمولية المجالات المعرفية (تجاوز القطيعة):** لا يعترف هذا النموذج بالقطيعة المعرفية بين حقول العلم؛ بل يؤسس لشبكة علاقات عضوية تتكامل فيها العلوم الشرعية مع العلوم الإنسانية والطبيعية والتطبيقية، لتشكيل "رؤية كونية" تردم الهوة المصطنعة بين علوم الغاية (الدين) وعلوم الآلة (الدنيا).

4. **الغايات والمقاصد الكبرى:** لا تُطلب المعرفة في هذا النموذج لذاتها، أو لتحقيق الهيمنة المادية البحتة كما تكرسها النظم الاستهلاكية المعاصرة، بل تتجه نحو مقاصد استخلافية عليا تتمثل في: تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى، وعمارة الأرض، ورعاية المصالح الإنسانية، والإسهام الفاعل في بناء الحضارة البشرية على أسس أخلاقية متينة.

في رسم الملامح الاستراتيجية لهذا المشروع الحضاري، يؤكد الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي (أحد أبرز رواد مشروع أسلمة المعرفة) على مركزيته قائلاً: "بناء نموذج معرفي إسلامي معاصر ضرورة حضارية، لمواجهة تحديات العصر، وتحصين العقيدة الإسلامية من التأثيرات

السلبية للعولمة، وهذا البناء يتطلب إعادة صياغة المعرفة الإنسانية وفق الرؤية الإسلامية، وتكامل العلوم الشرعية والعلوم الحديثة، وتوظيف المعرفة لخدمة الإنسان والمجتمع" (311)

ولكي ينجح هذا البناء المعرفي في أداء وظيفته وصد الاختراق العولمي، يشترط الدكتور طه جابر العلواني تحطيم الحواجز الوهمية التي صنعها الانحطاط التاريخي، مبيناً أن: "بناء نموذج معرفي إسلامي معاصر يتطلب تجاوز الثنائيات المعرفية، مثل ثنائية الوحي والعقل، وثنائية الدين والدنيا، وثنائية النقل والعقل، وثنائية الأصالة والمعاصرة، فهذه الثنائيات تعيق بناء نموذج معرفي متكامل، يجمع بين الوحي والعقل، والدين والدنيا، والنقل والعقل، والأصالة والمعاصرة" (312)

3.3.4.1.3 تطوير الخطاب الإسلامي في عصر العولمة (الوسطية وحفظ الرموز)

يمثل الخطاب الديني الجسر الرابط بين النص المقدس والعقل البشري، وفي عصر العولمة الذي يتسم بالسيولة وسرعة تدفق الأفكار، يتحول الخطاب التقليدي الجامد إلى حاجز يعزل العقيدة عن واقع الناس لذا، يُعد تطوير هذا الخطاب ضرورة وجودية لتفكيك الاستلاب الثقافي، وذلك عبر إحداث نقلة نوعية في أربعة أبعاد مركزية:

1. **تحديث الشيفرة اللغوية:** لا يمكن مخاطبة جيل تشكل وعيه في فضاءات العولمة بمعجم لغوي ينتمي إلى عصور سابقة، لكن يتطلب الأمر اجترار لغة معاصرة وحيوية، قادرة على إيصال المضامين العقدية العميقة بمصطلحات واضحة ومكثفة، لردم الفجوة التواصلية بين النص الشرعي والعقل المعاصر، دون المساس بجوهر الدلالات الشرعية.
2. **تنويع المقاربات الحجاجية والإقناعية:** تجاوز أسلوب "التلقين المباشر" إلى اعتماد أساليب حوارية وتفاعلية تزوج بين مخاطبة العقل بالبرهان المنطقي ومخاطبة الوجدان بالآثر النفسي. فالأدوات الإقناعية يجب أن ترتقي لمنافسة الأساليب الجذابة والمدروسة سيكولوجياً التي تضخها الآلة الإعلامية العولمية.
3. **الاشتباك مع النوازل والقضايا الراهنة:** يجب أن يغادر الخطاب مربعات الجدول التاريخي المحسوم، لينزل إلى معترك الحياة اليومية؛ مقدماً إجابات عقديّة وأخلاقية للتحديات

(311) اسماعيل راجي الفاروقي، *أسلمة المعرفة: المبادئ العامة وخطة العمل* (هيرندن: المعهد العالمي للفكر

الإسلامي، 1982)، 123.

(312) العلواني، *إصلاح الفكر الإسلامي*، 1995، 167.

الضاغطة (كأسئلة الحرية، والإلحاد الجديد، والشذوذ المعياري، والأزمات الروحية)،
ليدرك المسلم المعاصر أن عقيدته تملك مفاتيح الخلاص لواقعه المأزوم.

4. **الاستثمار الذكي للمنصات العابرة للحدود:** تحرير الخطاب من حيز المسجد والقاعة المغلقة، لينطلق نحو الفضاءات المفتوحة مستفيداً من الخوارزميات، وشبكات التواصل الاجتماعي، والتطبيقات الذكية؛ ليتحول من خطاب محلي محدود إلى خطاب عالمي يخترق حواجز الجغرافيا.

تفرض العولمة في سياقها المعاصر ضغوطاً هائلة لإعادة صياغة الخطاب الديني بما يفرغه من محتواه التشريعي وقوته الحركية، سعياً لتحويله إلى "تدين فردي" قاصر لا يصطدم مع منظومات القوة الدولية المهيمنة، وفي قراءة نقدية حذرة لهذه الدعوات، يشير الدكتور علي بن عمر السحبياني إلى أن محاولات التجديد في ظل العولمة غالباً ما تستبطن دوافع خارجية تهدف إلى تطويع الدين لخدمة المصالح الدولية السائدة، وذلك عبر تمييع القضايا المفصلية كالولاء والبراء والتحاكم للشرعية، وتصويرها بوصفها عوائق أمام التعايش العالمي، مما يستوجب: "يقظة عقديّة تميز بين التجديد المشروع والتبديد الممنهج" ³¹³.

ولضمان أن يكون هذا التطوير تجديداً أصيلاً لا تبديداً للثوابت، يضع الدكتور يوسف القرضاوي إطاراً منهجياً متكاملًا، مؤكداً أن تطوير الخطاب الإسلامي يمثل ضرورة عصرية لتحسين العقيدة من التأثيرات السلبية للعولمة، ويرى أن هذا التطوير يجب أن يشمل تجديد لغة الخطاب وأساليبه وموضوعاته ووسائله، شرط أن يتم ذلك كله: "في إطار الحفاظ على أصول الخطاب الإسلامي وثوابته مع مراعاة متطلبات العصر وتحدياته" ⁽³¹⁴⁾.

وإلى جانب ضابط "الأصالة"، يبرز ضابط "الانفتاح والمثاقفة" كشرط أساسي لفاعلية الخطاب وتأثيره العالمي؛ حيث يضيف الدكتور محمد عمارة أن تطوير الخطاب يتطلب الحوار مع الآخر والاستفادة من تجاربه دون التفريط في الهوية، فالخطاب الإسلامي في جوهره ليس خطاباً مغلقاً

³¹³ علي بن عمر السحبياني، "العولمة وأثرها على الاعتقاد"، مجلة الدراسات العقديّة 5/3 (2011)، 458.

⁽³¹⁴⁾ القرضاوي، المسلمون والعولمة، 2000، 178.

على ذاته، بل هو: "خطاب منفتح يتفاعل مع الآخر، ويحاوره، ويستفيد من تجاربه مع الحفاظ على أصوله وثوابته" (315).

3.3.4.2. محور الرؤية التربوية والتعليمية

تُعد المحاضن التربوية والتعليمية خط الدفاع الاستراتيجي الأهم في معركة بناء الإنسان؛ فإذا كانت الرؤية الفكرية توفر "المادة العلمية" للمواجهة، فإن الرؤية التربوية هي المصنع الذي يصوغ "الشخصية المسلمة" القادرة على تمثّل هذه المادة وتنزيلها في الواقع، وتبرز أهمية هذا المحور في ظل مواجهة الأجيال المعاصرة لسيولة "ما بعد الحداثة" التي تعمل على إذابة الحقائق وتفتيت المرجعيات، مما يستوجب منهجاً تعليمياً يعيد بناء اليقين؛ إذ يشير وليام دول في نقده للسيولة الفكرية في التعليم إلى أن المناهج في عصر ما بعد الحداثة تميل نحو "التشتت" وإلغاء المرجعيات الثابتة، مما يخلق جيلاً فاقداً للبوصلية، معتبراً أن التحدي الحقيقي يكمن في: "كيفية بناء منهج يحافظ على (النظام والهدف) وسط فوضى المعلومات" (316).

وفي مقابل هذا التشتت العولمي، تمثل الأسرة والتعليم المؤسستين الأهم في صناعة "الوجدان الثقافي" القادر على الصمود أمام محاولات التنميط؛ حيث يؤصل العلامة محمد الطاهر بن عاشور لمركزية "نظام العائلة" في الإسلام بوصفها المحضن الأول لغرس العقيدة، مؤكداً أن النظام الاجتماعي لا يستقيم إلا بسلامة العائلة: "لأنها المدرسة الأولى التي يتلقى فيها الفرد أخلاقه وعقيدته..، وقد أحاط الإسلام الأسرة بسياج من الأحكام التي تضمن تماسكها" (317).

وفي سياق متصل، تبرز محورية دور الأم المسلمة كحائط صد أساسي في هذه المعركة التربوية المعاصرة؛ إذ يشير الدكتور نجيب الكيلاني إلى أن الأم هي المدرسة الدائمة للطفل، وأن جميع البرامج التوجيهية تربط بينها وبين بناء جيل السوي، متسائلاً عن مدى قدرة الأم المسلمة في ظل الأوضاع الراهنة والضغوط العولمية على أداء رسالتها وحماية أطفالها من الاختراق القيمي" (318).

(315) عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، 2004، 134.

(316) دويليام دول، المنهج في عصر ما بعد الحداثة، ترجمة خالد العوض (الرياض: مكتبة العبيكان، 2000)، 134.

(317) ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، 168.

(318) نجيب الكيلاني، الإسلام وحركة الحياة (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1992)، 5/2.

بناءً على ذلك، تنطلق الرؤية التربوية والتعليمية في مواجهة العولمة من استراتيجية شاملة تهدف إلى تحصين الجيل الناشئ، وتعتمد في تحقيق غاياتها على المسارات التالية:

3.3.4.2.1 تطوير نظم التربية والتعليم في ضوء تحديات العولمة

لم تعد النظم التعليمية التقليدية قادرة على الصمود أمام الطوفان المعرفي والقيمي الذي تضخه العولمة؛ ولتحصين العقيدة الإسلامية من الاختراق، يتحتم إحداث ثورة هيكلية في نظم التربية والتعليم، تركز على إعادة هندسة الجوانب الأربعة التالية:

1. إعادة صياغة الفلسفة التربوية: الانطلاق من فلسفة تعليمية تتجاوز النظرة النفعية

والمادية البحتة التي تكرسها العولمة، لتؤسس فلسفة تجمع بين "الأصالة" في استمداد القيم، و"المعاصرة" في أدوات التنزيل، إن الفلسفة التربوية المطلوبة اليوم هي تلك التي تبني إنساناً مستخلفاً، يعتز بعقيدته، ويمتلك مرونة التكيف مع متغيرات العصر دون أن يفقد بوصلته.

2. تحديث البنية المنهجية والمقررات: يجب إحداث قطيعة مع المناهج التي تعيش في الماضي وتتجاهل النوازل الحاضرة.

يتطلب التطوير بناء مناهج شمولية تشترك مباشرة مع الواقع المعاصر، وتُصمم خصيصاً لتزويد الطالب بـ "فلاتر إدراكية" ومهارات التفكير النقدي والإبداعي، ليكون قادراً على تفكيك الرسائل المبطنة التي تمررها العولمة الثقافية عبر مختلف الوسائط.

3. ابتكار المقاربات البيداغوجية (أساليب التدريس): إن الجيل الذي تفتحت مداركه على الشاشات التفاعلية والفضاءات المفتوحة لا يمكن احتواؤه بأساليب التلقين المباشر أو الإملاء العمودي.

يتطلب الأمر انتقال المعلم من دور "الملقن" إلى دور "الميسر والموجه"، واعتماد مقاربات تفاعلية وحوارية تزرع القناعة الداخلية، وتستثير ملكات العقل، لترسيخ اليقين العقدي بالدليل والحجة لا بمجرد الوراثة.

4. هندسة نظم التقويم والقياس: لا يقتصر التقويم في النظام التربوي الإسلامي المعاصر على امتحانات تقيس قدرة الذاكرة على الاستظهار؛ بل يتعداها إلى تصميم أدوات قياس شمولية (معرفية، ومهارية، ووجدانية)؛ إن هذه الأدوات تهدف إلى تقييم مدى تمثل

الطالب للقيم العقيدية في سلوكه، وقياس كفاءته في التعامل مع الشبهات وحل الإشكالات الفكرية التي تفرضها بيئة العولمة.

في تشخيص منهجي لضرورة هذا التحول الشامل، يؤكد الدكتور محمد عمارة أن المواجهة لا تقبل أنصاف الحلول، قائلاً: "تطوير نظم التربية والتعليم ضرورة عصرية لمواجهة تحديات العصر، وتحسين العقيدة الإسلامية من التأثيرات السلبية للعولمة، وهذا التطوير يتطلب تطوير فلسفة التربية والتعليم، وتطوير المناهج التعليمية، وتطوير أساليب التدريس، وتطوير نظم التقويم، وكل ذلك يجب أن يتم في إطار الحفاظ على أصول التربية الإسلامية وثوابتها مع مراعاة متطلبات العصر وتحدياته" (319)

ولضبط بوصلة الغاية من هذا التطوير، يقرر الدكتور ماجد عرسان الكيلاني (في فلسفته للتربية الإسلامية) أن الهدف الأسمى هو بناء العقلية الناقدة، مبيناً أن: "تطوير نظم التربية والتعليم يتطلب التركيز على تنمية التفكير النقدي والإبداعي لدى الطلاب، وتعزيز قدرتهم على التحليل والاستنتاج، وتمكينهم من مواجهة الشبهات والتحديات، فالتربية والتعليم ليسا مجرد تلقين للمعلومات، بل هما تنمية للعقل والوجدان، وتعزيز للقدرة على الفهم والتطبيق، ومواجهة التحديات" (320)

3.3.4.2.2 بناء نموذج تربوي إسلامي معاصر

تطرح العولمة في تجلياتها الفلسفية مقولة "الإنسان هو المقياس الأوحده"، مؤلفاً بذلك نزعة إنسانية مادية تقطع الصلة بالغيب، في حين يؤسس الإسلام لمركزية الوحي بوصفه المصدر المطلق للحقيقة، وفي الرد على النزعة الإلحادية والمادية التي تفرزها هذه الفلسفة العولمية، يوضح الشيخ مصطفى صبري أن الانبهار بالمنجز العلمي المادي قد دفع البعض إلى تنصيب العقل البشري إلهاً يحكم على عالمي الغيب والشهادة، وهو ما يعد جهلاً بحدود العقل وقدراته الذاتية؛ إذ يقرر

(319) عمارة، العولمة والعقيدة: دراسة في التأثيرات المتبادلة، 2003، 189.

(320) ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية: دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات

التربوية والمعاصرة (بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1987)، 145.

أن: "العقيدة الإسلامية تضع العقل في موضعه الصحيح (كأداة للفهم) لا كمصدر وحيد للحقيقة، فالقول الفصل هو للوحي الذي يضبط حركة العقل ويحميه من التيه"³²¹.

وتجاوزاً لردود الأفعال المؤقتة أو الانفعالية، يقتضي التحصين الاستراتيجي للعقيدة أمام طوفان العولمة هندسة "نموذج تربوي إسلامي معاصر"؛ نموذج يتجاوز الترقيع الشكلي للنظم التعليمية المستوردة أو الاكتفاء بصبغها بصبغة دينية خارجية، ليؤسس لبناء معرفي ووجداني متكامل يستمد رؤيته الكونية من القرآن الكريم ويشتبك مع معطيات العصر بوعي واقتدار.

وتقوم هندسة هذا النموذج الفاعل على تفعيل الأبعاد المنهجية الأربعة التالية:

1. **المرجعيات التأسيسية (جذور النموذج):** لا يمكن بناء نموذج يقاوم الاستلاب دون ارتكاز على مرجعية صلبة؛ تستمد مشروعيتها المطلقة من "الوحي" (القرآن والسنة)، وتستلهم حكمة "التراث التربوي الإسلامي"، لتتفاعل بعد ذلك بوعي وانتقائية مع "التجارب التربوية والإنسانية المعاصرة"، إن هذه المرجعية المركبة تضمن للنموذج استقلاليته ومرونته في آنٍ واحد.
2. **الغايات والمقاصد التربوية (بوصلة النموذج):** يتجاوز هذا النموذج الهدف الغربي المادي (صناعة الإنسان المستهلك أو الترس في آلة الإنتاج)، ليصوغ أهدافاً استراتيجية غايتها الكبرى "بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة والمستخلفة"، وتتفرع عن هذه الغاية مقاصد عملية؛ كتحصين العقيدة، وتنمية مهارات التفكير النقدي التفكيكي والإبداعي، ليمتلك المتعلم حصانة ذاتية تردع الشبهات وتواجه سيولة القيم العولمية.
3. **تكامل المحتوى المعرفي (ردم الهوة):** يعتمد النموذج على هندسة المحتوى التعليمي لإنهاء حالة الانفصام بين حقول المعرفة، فهو يدمج بين (علوم الغاية) المتمثلة في العلوم الشرعية، و(علوم الآلة) كالعلوم الإنسانية والطبيعية والتطبيقية؛ ليُخرج عقلاً مسلماً يقرأ "كتاب الله المسطور" (الوحي) بالتوازي مع تفكره في "كتاب الله المنظور" (الكون).
4. **المقاربات البيداغوجية والأساليب (آليات التنزيل):** الانتقال من "التعليم البنكي" المعتمد على التلقين الأصم، إلى مقاربات حية تدمج بين "التعليم والتزكية"، وتُفعل دور "القدوة"

³²¹ مصطفى صبري، القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون (القاهرة: عيسى البابي الحلبي،

و"الممارسة العملية" والتوجيه النفسي؛ ليتحول العلم والمعتقد من مجرد فناعة عقلية باردة إلى سلوك يومي حي يضبط إيقاع حياة المسلم.

التأصيل الفلسفي لرواد التربية الإسلامية:

في التنظير لمقومات هذا النموذج، يؤكد خبير التربية الإسلامية الدكتور ماجد عرسان الكيلاني على حتمية التوازن بين الجذور ومواكبة العصر، موضحاً أن: "بناء نموذج تربوي إسلامي معاصر ضرورة حضارية لمواجهة تحديات العصر، وتحسين العقيدة الإسلامية من التأثيرات السلبية للعولمة، وهذا البناء يتطلب الجمع بين الأصالة والمعاصرة، والاستفادة من التراث التربوي الإسلامي، والتجارب التربوية المعاصرة مع الحفاظ على الهوية الإسلامية"⁽³²²⁾

ولضمان ألا يستنسخ هذا النموذج تشوهات النظم التعليمية الغربية التي جرأت الإنسان، يشترط الدكتور فتحي ملكاوي لنجاح هذه الرؤية التخلص الجذري من آفة "الازدواجية" مبيناً أن: "بناء نموذج تربوي إسلامي معاصر يتطلب تجاوز الثنائيات التربوية مثل ثنائية العلم والعمل، وثنائية العقل والوجدان، وثنائية الفرد والمجتمع، وثنائية الدنيا والآخرة فهذه الثنائيات تعيق بناء نموذج تربوي متكامل يجمع بين العلم والعمل، والعقل والوجدان، والفرد والمجتمع، والدنيا والآخرة"⁽³²³⁾

3.3.4.2.3. تعزيز دور المؤسسات التربوية في مواجهة تحديات العولمة (التكامل المؤسسي)

لا يمكن للتنظير التربوي أن يؤتي ثماره ويحقق الحصانة المرجوة ما لم يجد حواضن مؤسسية تترجمه إلى واقع عملي يومي، وتُعد المؤسسات المجتمعية (الأسرة، والمدرسة، والجامعة، والمسجد، ووسائل الإعلام) خطوط الدفاع المتقدمة لحماية البنية العقيدية في نفوس الأجيال، ولمواجهة السيولة القيمية التي تفرضها العولمة، يتحتم الانتقال بهذه المؤسسات من حالة "العمل المنعزل" إلى بناء "منظومة متكاملة" تتضافر جهودها عبر المسارات التالية:

1. مركزية الأسرة (المحضن الإيماني الأول):

تمثل الأسرة الحاضنة الأولى التي يتشرب فيها الفرد عقيدته قبل أن تلامسه مؤثرات العولمة، ويتطلب تفعيل دورها الانتقال من

⁽³²²⁾ الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية: دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التربوية والمعاصرة، 145.

⁽³²³⁾ فتحي ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي (هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2011)، 123.

التربية العفوية إلى "التربية الوالدية الواعية"؛ وذلك عبر توعية الآباء والأمهات بمحورية دورهم في الغرس العقدي، وتأهيلهم بمهارات الإقناع والحوار، وتزويدهم بمواد تربوية مساندة تجذب الأبناء؛ كما يجب بناء جسور تواصل متينة بين الأسرة والمؤسسات الأخرى لضمان استدامة التوجيه وعدم تعارضه.

2. المدرسة والجامعة (حواضن البناء المنهجي): تمثل المؤسسات الأكاديمية الفضاء

النظامي الذي تُغرس فيه البذور الإيمانية وتُصقل فيه العقول، ويتجاوز دورها مجرد التلقين إلى صياغة الشخصية، مما يستوجب تحديث المناهج لتلامس الشبهات المعاصرة وتفككها، وتأهيل الكوادر التعليمية والأكاديمية ليكونوا "موجهين عقديين" يمتلكون أدوات العصر، مع توظيف التكنولوجيا الحديثة لربط العقيدة بالواقع العلمي والتطبيقي للطلاب.

3. المسجد (مركز التغذية الروحية المستدامة): يتجاوز دور المسجد كونه مكاناً لأداء

الشعائر التعبدية، ليمثل المؤسسة المحورية المسؤولة عن التغذية الإيمانية المستمرة لأفراد المجتمع، ويتطلب تفعيل هذا الدور تطويراً جذرياً للبرامج الدعوية لتلامس هموم الشباب وتجيّب عن تساؤلاتهم، وتأهيل الأئمة والخطباء لامتلاك "فقه الواقع"، والانفتاح على المجتمع بمبادرات جاذبة تستثمر المنصات الرقمية لكسر عزلة المسجد عن الفضاء العام.

4. الإعلام الموجه (صانع الوعي الجمعي): نظراً لسلطوته المطلقة في تشكيل الرأي العام،

تحول الإعلام إلى مؤسسة تربوية موازية، وربما تفوق في تأثيرها المؤسسات التقليدية، ويستلزم تعزيز دوره صناعة محتوى قيمى ذكى ينافس الضخ العولمي، وتأهيل كوادر إعلامية تحمل همّ العقيدة وتحترف أدوات التأثير، لتحويل الإعلام من أداة استلاب وتشكيك إلى منصة صلبة لبناء المناعة الثقافية.

لضمان فاعلية هذه المؤسسات وتجنب تعارض رسائلها، يضع الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي شرط "التحديث والتكامل" كضرورة حتمية، موضحاً أن: "المؤسسات التربوية تلعب دوراً محورياً في تحصين العقيدة الإسلامية من التأثيرات السلبية للعولمة، ولذلك فإن تعزيز دور

هذه المؤسسات يعد ضرورة ملحة لمواجهة تحديات العصر، وهذا التعزيز يتطلب تطوير أداء هذه المؤسسات، وتحديث أساليبها، وتعزيز التكامل والتنسيق فيما بينها"⁽³²⁴⁾.

ومن زاوية أخرى يربط الدكتور يوسف القرضاوي نجاح هذه المؤسسات بقدرتها على تغيير لغة التخاطب بما يلائم طبيعة الجيل، مبيناً أن: "تعزيز دور المؤسسات التربوية يتطلب تجديد الخطاب الديني ليكون أكثر قدرة على مخاطبة العقل المعاصر، ومواجهة التحديات الفكرية والثقافية الراهنة، فالخطاب الديني التقليدي قد لا يكون مناسباً للجيل المعاصر الذي نشأ في ظل العولمة، وتأثر بقيمها ومفاهيمها"⁽³²⁵⁾.

3.3.4.3. محور الرؤية الإعلامية والثقافية

لا تقتصر خطورة العولمة في تجلياتها المعاصرة على الجوانب المادية أو الاقتصادية الصرفة، بل تمتد لتطال البنية المعنوية والقيمية للمجتمعات، حيث يغدو المكون الثقافي هو المستهدف الأول في هذه العملية لإحداث حالة من الاستلاب الحضاري، وفي توصيف دقيق لخطورة استهداف هذه المكونات اللامادية، يوضح الدكتور حمود عليما أن أشد ما يمكن أن تفقده أمة من الأمم هو تهدم بنيانها القيمي والفكري؛ إذ عندها تتحول الأمة إلى مسخ وتفقد حضورها التاريخي والوجودي، مؤكداً أنه: "ينبغي ونحن في عصر العولمة وثورة المعلومات والهجوم الاستهلاكي الواسع أن ننهض للحفاظ على هذه المكونات وتأصيل وجودها وتفعيلها في السلوك الفردي والمؤسسي"³²⁶.

بناءً على ذلك، يمثل الفضاء الإعلامي والثقافي الساحة الأبرز التي تتشكل فيها قناعات الجماهير وتُصاغ هوياتها في ظل التدفق المعلوماتي الكوني؛ مما يوجب على العقل المسلم امتلاك رؤية استراتيجية تتجاوز الرفض السلبي نحو تحصين الوعي وتقديم البديل الحضاري القادر على المنافسة، وذلك من خلال المسارات التالية:

⁽³²⁴⁾ البوطي، قضايا ساخنة: التشريع - الإرهاب - العولمة الإنسانية والعولمة الاستعمارية، 145.

⁽³²⁵⁾ القرضاوي، المسلمون والعولمة، 2000، 190.

³²⁶ حمود عليما، "الثقافة الإسلامية وتحدي العولمة"، بحوث ودراسات 24 (2000)، 50.

3.3.4.3.1 تطوير الإعلام الإسلامي في عصر العولمة

لم يعد الإعلام الإسلامي في عصر السماوات المفتوحة مجرد أداة مكملة، بل أصبح خط الدفاع الأول عن العقيدة وجسر التواصل الفاعل مع العالم، وللاانتقال بهذا الإعلام من دائرة "رد الفعل" إلى موقع "صناعة التأثير"، يتحتم إحداث ثورة تطويرية شاملة تركز على المحددات التالية:

1. **تجديد شيفرة الرسالة الإعلامية:** يجب أن تتجاوز الرسالة القوالب التقليدية الموجهة للداخل فقط، لتصبح رسالة عالمية، واضحة المعالم، تخاطب العقل النقدي وتلامس الوجدان، فالجيل الذي تشرب مفاهيم العولمة يحتاج إلى رسالة تفكك الشبهات بلغة العصر، وتطرح الإسلام كمنهج حياة عملي، لا كمجرد طقوس مجردة.
2. **الهجرة الذكية نحو المنصات الحديثة:** لم يعد الاكتفاء بالوسائل التقليدية مجدياً في ظل الهيمنة الرقمية. يتطلب الأمر اقتحام الفضاءات الشبكية (كالمنصات التفاعلية، وتطبيقات الأجهزة الذكية، وشبكات التواصل الاجتماعي) بفاعلية، وتحويلها من منابر للاستلاب الثقافي إلى منصات لبناء الوعي الإيماني وصناعة الرأي العام.
3. **ابتكار قوالب المضمون وجاذبيته:** يكمن التحدي الحقيقي في كيفية تقديم المحتوى العقدي الرصين بقوالب إبداعية جذابة (تتجنب الرتابة)، ويجب أن ينتقل المضمون من التنظير المجرد إلى ملامسة التحديات الواقعية التي تواجه المسلم اليوم، ليكون منافساً حقيقياً للضخ الإعلامي الغربي المتطور والمبهر بصرياً.
4. **صناعة الكادر الإعلامي (الرسالي والمحترف):** لا تنهض المنظومة الإعلامية إلا بعقول صناعها. لذا، من الضروري بناء وتأهيل جيل من الإعلاميين يجمع بين الرسوخ العقدي (الفقه والفهم المنهجي) والاحترافية التقنية والفنية العالية؛ ليكونوا قادرين على إدارة المعارك الفكرية وتوجيه الرأي العام بمهارة واقتدار.

وفي تشخيص دقيق لشمولية هذه الرؤية التطويرية، يؤصل الدكتور محمد عمارة لهذه الضرورة مبيناً أن: "تطوير الإعلام الإسلامي ضرورة عصرية لمواجهة تحديات العصر، وتحصين العقيدة الإسلامية من التأثيرات السلبية للعولمة، وهذا التطوير يتطلب تطوير الرسالة الإعلامية، وتطوير الوسائل الإعلامية، وتطوير المضمون الإعلامي، وتطوير الكوادر الإعلامية، وكل ذلك يجب أن

يتم في إطار الحفاظ على أصول الإعلام الإسلامي وثوابته مع مراعاة متطلبات العصر وتحدياته " (327)

ومن زاوية "عالمية الخطاب"، يضع الدكتور يوسف القرضاوي ضابط الانفتاح المتوازن لهذا الإعلام، مشدداً على أن: "تطوير الإعلام الإسلامي يتطلب الانفتاح على العالم، والاستفادة من تجارب الآخرين مع الحفاظ على الهوية الإسلامية، فالإعلام الإسلامي ليس إعلاماً مغلقاً على نفسه، بل هو إعلام منفتح يخاطب العالم كله، ويقدم رسالة الإسلام للبشرية جمعاء" (328)

3.3.4.3.2 تعزيز الإنتاج الثقافي الإسلامي في ظل العولمة (منهجية الإصلاح)

الثقافة هي الوعاء الحامل للعقيدة، والقوة الناعمة الأشد تأثيراً في صياغة الوجدان البشري، وفي عصر العولمة، لا يمكن للمجتمع المسلم الاكتفاء بموقف "المستهلك" للثقافة الوافدة، بل يجب الانتقال بقوة إلى مربع "الإنتاج" والمنافسة، من خلال استراتيجية ثقافية متكاملة تتجسد في المسارات التالية:

1. تحفيز حواضن الإبداع الثقافي: لا ينمو الفكر في بيئة راكدة؛ لذا يتحتم توفير بيئات

حاضنة تدعم المبدعين والمفكرين المسلمين وتهيئ لهم مناخاً محفزاً للابتكار.

إن رعاية المواهب وتقدير الإنتاج الثقافي الأصيل يمثلان حجر الزاوية لتجديد دماء الثقافة الإسلامية، ومنحها القدرة على طرح البديل الحضاري الجذاب في مواجهة السيولة الثقافية العولمية.

2. مأسسة وتطوير "الصناعات الثقافية": لم تعد الثقافة مجرد اجتهادات فردية، بل تحولت

إلى "صناعة" ثقيلة تديرها آلة رأسمالية ضخمة، حيث أن هذا المحور يتطلب ضخ استثمارات حقيقية لتطوير قطاعات النشر، والإنتاج السينمائي والوثائقي، والفن الهادف، وصولاً إلى صناعة الألعاب الإلكترونية (التي تمثل اليوم أخطر قنوات التأثير الفكري على الأجيال الناشئة)؛ إن امتلاك أدوات هذه الصناعات وتطويرها باحترافية هو السبيل الوحيد لمزاحمة المحتوى الغربي في عقر داره.

(327) عمارة، العولمة والعقيدة: دراسة في التأثيرات المتبادلة، 2003، 201.

(328) القرضاوي، المسلمون والعولمة، 2000، 201.

3. مد جسور المثاقفة والتواصل الحضاري: تكتسب الثقافة الإسلامية حيويتها من قدرتها الإيجابية على التفاعل، ويقتضي ذلك تفعيل أدوات الدبلوماسية الثقافية عبر تنظيم المؤتمرات الدولية، وإقامة المعارض والمهرجانات الفكرية والفنية. هذا الانفتاح المدروس يكسر العزلة، ويقدم الرؤية الإسلامية للكون والحياة للأخر بأسلوب حضاري، مما يعزز المناعة الذاتية للمجتمع المسلم.

4. التحصين القانوني للمُنْتَجِ الفكري (حماية الملكية): يمثل الإبداع رأس مال فكري يجب صيانته، ويتطلب ذلك سن تشريعات صارمة وتأسيس كيانات مؤسسية متخصصة لحماية حقوق الملكية الفكرية للمبدعين المسلمين؛ فهذه الحماية القانونية تعد دافعاً وضمناً لاستدامة الإنتاج الثقافي، وتشجيعاً على ابتكار مضامين متجددة دون خوف من التهميش أو السطو الفكري.

في إطار التأسيس لهذه الاستراتيجية الدفاعية والبنائية، يؤكد الدكتور محمد عمارة على شموليتها قائلاً: "تعزيز الإنتاج الثقافي الإسلامي ضرورة حضارية لمواجهة تحديات العصر، وتحصين العقيدة الإسلامية من التأثيرات السلبية للعولمة، وهذا التعزيز يتطلب تشجيع الإبداع الثقافي الإسلامي، وتطوير الصناعات الثقافية الإسلامية، وتعزيز التواصل الثقافي الإسلامي، وحماية الملكية الفكرية الإسلامية، وكل ذلك يجب أن يتم في إطار الحفاظ على أصول الثقافة الإسلامية وثوابتها مع مراعاة متطلبات العصر وتحدياته" (329)

ومن جهة أخرى، يضع الدكتور طه جابر العلواني الضابط المنهجي لهذا الإنتاج، ليجنبه آفة الانغلاق والجمود، موضحاً أن: "تعزيز الإنتاج الثقافي الإسلامي يتطلب الانفتاح على الثقافات الأخرى، والاستفادة من تجاربها مع الحفاظ على الهوية الإسلامية، فالثقافة الإسلامية ليست ثقافة منغلقة على نفسها، بل هي ثقافة منفتحة تتفاعل مع الثقافات الأخرى، وتأخذ منها ما يتوافق مع أصولها وثوابتها" (330)

(329) عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، 2004، 145.

(330) العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، 1995، 190.

3.3.4.3.3 بناء استراتيجية إعلامية وثقافية لمواجهة تحديات العولمة (المقاومة الثقافية)

إن الانتقال من مرحلة التنظير إلى مرحلة التأثير الفعلي يقتضي بلورة استراتيجية إعلامية وثقافية شاملة، ولا تنطلق هذه الاستراتيجية من مجرد رد فعل دفاعي قلق، بل تتأسس على واجب شرعي ومقصد إسلامي أصيل يتمثل في مبدأ "الإصلاح" ومدافعة الفساد الفكري.

وفي تأصيل هذا الواجب كمنهجية للمواجهة الثقافية، يقرر العلامة محمد الطاهر بن عاشور أن: "الإصلاح هو تغيير الفساد إلى الصلاح..، وتغيير المنكر واجب على الكفاية بحسب الاستطاعة..، وليس المقصود مجرد التغيير باليد، بل التغيير باللسان والقلب (الوعي)..، وأساس الإصلاح هو الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف، ليبقى سياق الفضيلة قائماً في المجتمع" ³³¹

بناءً على هذا التأصيل العميق، تُمثل "المقاومة الثقافية" عبر الإعلام تغييراً للمنكر باللسان وبناءً للوعي، وتتطلب ترجمتها إلى واقع عملي بناء هيكلية استراتيجية منهجية تقوم على الأركان الأربعة التالية:

1. **صياغة الأهداف الاستراتيجية (ضبط البوصلة):** تبدأ الاستراتيجية برسم غايات كبرى قابلة للتحقيق والقياس؛ تتمحور حول تحصين البنية العقدية للمجتمع من إفرازات العولمة السلبية، وصد موجات الغزو الفكري الموجه، بالتوازي مع تعزيز الاعتزاز بالهوية الإسلامية وتقديمها كبديل حضاري متوازن.
2. **تجنيد الوسائل والأدوات (البنية التحتية التفاعلية):** تتطلب المواجهة حشد منظومة متكاملة لا تستثني أداة ممكنة؛ بدءاً من وسائل الإعلام التقليدية، مروراً بالمنصات الرقمية الحديثة، وصولاً إلى استثمار المحاضن الثقافية (كالأندية، والمراكز، والهيئات الإسلامية)، لتشكيل شبكة ضغط وتوجيه موحدة.
3. **هندسة البرامج والمشاريع (حقل التنفيذ):** تتمثل في ترجمة الأهداف المجردة إلى حزم عمل واقعية، مثل: إطلاق حملات التوعية الممنهجة، وتأسيس أكاديميات متخصصة للتدريب والتأهيل الإعلامي، وتدشين "مرصد فكرية" تتولى الرصد المبكر للشبهات وتفنيدها بأسلوب علمي قبل تفشيها.

³³¹ ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، فصل: إصلاح المجتمع / الأمر بالمعروف.

4. **حوكمة التنفيذ والمتابعة (مؤشرات الأداء المستدامة):** لا تنجح أي استراتيجية دون إرساء آليات إدارية دقيقة لضبط العمل؛ ويشمل ذلك مرونة التخطيط، والتنسيق الدائم بين اللجان، وتقويم النتائج بشكل دوري، وتحديث الأدوات بما يتوافق مع السرعة الفائقة للمتغيرات العولمية.

في إطار بلورة هذه الرؤية، يحدد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي شروط نجاحها مؤكداً أن: "بناء استراتيجية إعلامية وثقافية ضرورة عصرية لمواجهة تحديات العولمة، وتحصين العقيدة الإسلامية من تأثيراتها السلبية، وهذه الاستراتيجية يجب أن تكون شاملة ومكاملة تجمع بين الإعلام والثقافة، وتستفيد من التكنولوجيا الحديثة، وتراعي متطلبات العصر وتحدياته" (332)

من جهة أخرى، يشخص الدكتور يوسف القرضاوي آفة العمل الإسلامي المعاصر، مشدداً على أن الشرط الحاسم لفاعلية هذه الاستراتيجية هو "العمل المؤسسي الجماعي"، حيث يقول: "بناء استراتيجية إعلامية وثقافية يتطلب تضافر جهود جميع المؤسسات الإسلامية الرسمية والشعبية، والتنسيق فيما بينها، لضمان تكامل الجهود، وتوحيد الرؤى والأهداف؛ فالعمل الفردي والمبادرات المتناثرة قد لا تكون كافية لمواجهة تحديات العولمة التي تتطلب عملاً مؤسسياً منظماً، وجهوداً متضافرة" (333)

3.3.4.4. محور الرؤية التكنولوجية والرقمية

يمثل الفضاء الرقمي البنية التحتية الأساسية التي تتمدد عبرها العولمة في صورها الأكثر نفوذاً؛ إذ لم تعد التكنولوجيا في هذا السياق مجرد "أداة محايدة" لنقل المعلومات، بل تحولت إلى بيئة وجودية كاملة تصيغ وعي الأجيال وتعيد تشكيل تصوراتهم، ولتحقيق العبور الآمن والمؤثر للعقيدة الإسلامية في هذا الفضاء المتسارع، لا بد من تبني رؤية رقمية استراتيجية واضحة المعالم تتجاوز مجرد الحضور الشكلي إلى مستوى التأثير القيمي العميق.

وقد أفرزت هذه العولمة التكنولوجية تحولاً جذرياً في كيفية تلقي المجتمعات لرموزها الدينية؛ حيث تداخلت المعايير الاقتصادية والسوسيولوجية في إنتاج ما يمكن تسميته بـ "النجومية الدينية"، ويحلل الدكتور شريف محمد عوض هذا التحول مبيناً أن الخطاب الديني، وإن أصبح

(332) البوطي، قضايا ساخنة: التشريع - الإرهاب - العولمة الإنسانية والعولمة الاستعمارية، 156.

(333) القرضاوي، المسلمون والعولمة، 2000، 212.

أكثر وصولاً للجماهير عبر وسائط العولمة، إلا أنه بات يخضع لتحويلات وقوانين الجذب والتأثير الإعلامي، مما أدى لبروز صناعة مستحدثة للرمز الديني تفرض: "تحديات جديدة على أصالة المرجعية الدينية وقدرتها على الثبات"³³⁴؛ بناءً على هذا الواقع التقني المعقد، تهدف الرؤية التكنولوجية والرقمية في مواجهة العولمة إلى استعادة المبادرة في الفضاء السيبراني، وتعتمد في تحقيق غاياتها على المسارات التالية:

3.3.4.4.1. توظيف التكنولوجيا في خدمة العقيدة الإسلامية (التحول الرقمي)

تُعد التقنية سلاحاً مزدوج الأثر؛ فبقدر ما تحمل من مهددات الاختراق الثقافي، تمنح الفكر الإسلامي فرصة تاريخية لتجاوز الحدود الجغرافية والسياسية، ويتطلب التحول الرقمي لخدمة العقيدة الانتقال من الاستخدام العشوائي إلى "التوظيف الاستراتيجي والمؤسسي" عبر أربع مسارات متوازنة:

1. **هندسة التطبيقات الإسلامية الذكية:** تجاوز مرحلة التطبيقات البسيطة إلى ابتكار تطبيقات تفاعلية مدمجة بالذكاء الاصطناعي؛ لتكون بمثابة "المرافق اليومي" للمسلم المعاصر. تهدف هذه التطبيقات إلى تبسيط المفاهيم العقديّة، وتيسير تطبيق العبادات، وتقديم إجابات لحظية وموثوقة تحصن المستخدم ضد الشبهات المتدفقة عبر هاتفه الذكي.
2. **تأسيس المنصات الإلكترونية المرجعية:** بناء شبكة من المواقع المركزية المتخصصة التي تعمل كـ "حائط صد رقمي"، فلا يقتصر دور هذه المنصات على العرض التقليدي للمعلومة، بل يتعداه إلى الاشتباك المعرفي؛ من خلال رصد الشبهات والطعون الفكرية والثقافية الراهنة، وتفكيكها بأسلوب علمي رصين ولغة معاصرة تخاطب العقل البحثي.
3. **الاستثمار الاستراتيجي لشبكات التواصل الاجتماعي:** الانتقال من التواجد السلبي إلى "اقتحام الحوارات"، تمثل هذه الشبكات الميدان الحقيقي الذي تتواجد فيه شريحة الشباب (الفئة الأكثر عرضة للاستلاب)، ويقتضي الاستثمار الناجح هنا صناعة حملات توعوية ممنهجة، وتفعيل الحوار المباشر، وتوظيف المؤثرين لنشر المضامين الإيمانية بقوالب تناسب طبيعة كل منصة.

³³⁴ عوض، "صناعة الرمز الديني في الحياة اليومية في ضوء تحولات العولمة"، 9.

4. صناعة المحتوى الرقمي المبتكر: مواجهة الضخ العولمي الهائل تتطلب إنتاجاً رقمياً غزيراً ومتنوعاً (كالكتب الإلكترونية التفاعلية، والمقالات المكثفة، والفيديوهات القصيرة، والبودكاست الفكري)، إن تنوع قوالب المحتوى يضمن محاصرة التأثيرات السلبية بمضامين إسلامية جذابة، تلبّي الشغف المعرفي والروحي للمتلقي.

في قراءة دقيقة لضرورة هذا التكيف التقني، يؤسس الدكتور يوسف القرضاوي لشمولية هذه الرؤية مؤكداً أن: "توظيف التكنولوجيا في خدمة العقيدة الإسلامية ضرورة عصرية لمواجهة تحديات العولمة، وتحصين العقيدة الإسلامية من تأثيراتها السلبية، وهذا التوظيف يتطلب تطوير التطبيقات الإسلامية، وإنشاء المواقع الإلكترونية الإسلامية، واستخدام وسائل التواصل الاجتماعي، وإنتاج المحتوى الرقمي الإسلامي، وكل ذلك يجب أن يتم في إطار الحفاظ على أصول العقيدة الإسلامية وثوابتها مع مراعاة متطلبات العصر وتحدياته" (335)

ولأن الآلة لا تعمل بمعزل عن العقل الذي يديرها، يضع الدكتور طه جابر العلواني شرطاً حاسماً لنجاح هذا التحول، يتمثل في هندسة "رأس المال البشري"، مبيناً أن: "توظيف التكنولوجيا في خدمة العقيدة الإسلامية يتطلب تأهيل كوادر إسلامية متخصصة في مجال التكنولوجيا تجمع بين العلم الشرعي، والمعرفة التكنولوجية، والقدرة على التواصل مع الجيل المعاصر، فالكوادر المؤهلة هي العنصر الأساسي في نجاح توظيف التكنولوجيا في خدمة العقيدة الإسلامية" (336)

3.3.4.4.2 بناء استراتيجية رقمية لمواجهة تحديات العولمة (حوكمة الفضاء الرقمي)

إن الحضور العشوائي في الفضاء السيبراني لا يكفي لصد الهيمنة العولمية المنظمة؛ بل قد يؤدي إلى تشتيت الجهود وتبديد الموارد؛ لذا يُعد الانتقال إلى مرحلة "الاستراتيجية الرقمية الموحدة" ضرورة حتمية لحماية الوجود الفكري والثقافي للأمة.

وتقوم هندسة هذه الاستراتيجية الشاملة على أربعة أركان مترابطة:

1. رسم الغايات الكبرى (ضبط البوصلة الاستراتيجية): لا تبدأ الاستراتيجية من فراغ بل

من تحديد أهداف عليا دقيقة قابلة للقياس تتمحور حول: بناء الحصانة العقدية الاستباقية، وشن هجوم مضاد لتفكيك الشبهات المعاصرة، وتعزيز الهوية والانتماء؛ إن هذه الغايات

(335) القرضاوي، المسلمون والعولمة، 2000، 223.

(336) العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، 1995، 201.

تمثل البوصلة التي تمنع انحراف الجهود الرقمية نحو معارك جانبية أو استهلاكية لا تخدم جوهر العقيدة.

2. **حشد الترسانة الرقمية (المنصات والأدوات):** بناء خريطة متكاملة للوسائط التقنية المستهدفة، لا تقتصر على المواقع الإلكترونية التقليدية، بل تمتد لتشمل استثمار خوارزميات وسائل التواصل الاجتماعي، وتطوير التطبيقات الذكية التفاعلية، والمنصات السحابية؛ إن هذا التحديد يضمن اختيار "السلاح الرقمي" الأنسب لكل شريحة مستهدفة ولكل هدف مرحلي.

3. **هندسة المشاريع التنفيذية (تحويل الرؤية إلى واقع):** ترجمة الأهداف الكبرى إلى حزم من البرامج العملية؛ مثل: إطلاق منصات للتدريب والتأهيل العقدي عن بعد، وتأسيس "مراصد سيرانية" تتولى تتبع المحتوى الإلحادي أو التغريبي وتحليله، وبرامج مكثفة لصناعة ونشر المحتوى الإسلامي البديل، إن هذه المشاريع هي الترجمة الحقيقية لفلسفة الاستراتيجية على أرض الواقع.

4. **حوكمة الأداء والتقييم المستدام:** لا تنجح خطة دون مؤشرات أداء (KPIs) واضحة؛ ويشمل ذلك إرساء آليات إدارية صارمة لضبط مسارات العمل التنفيذي، وتفعيل غرف تنسيق مشتركة، وإجراء عمليات تقييم دورية لرصد التغذية الراجعة (Feedback) مما يتيح التحديث المستمر لأدوات المواجهة بما يتناسب مع سرعة التطور التكنولوجي وتكتيكات الغزو الثقافي.

في توصيف دقيق لطبيعة هذه المواجهة الشاملة، يقرر الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي أن: "بناء استراتيجية رقمية ضرورة عصرية لمواجهة تحديات العولمة، وتحصين العقيدة الإسلامية من تأثيراتها السلبية، وهذه الاستراتيجية يجب أن تكون شاملة ومتكاملة، تستفيد من التكنولوجيا الحديثة، وتراعي متطلبات العصر وتحدياته"⁽³³⁷⁾

ولأن الفضاء الرقمي لا يعترف بالحدود، فإن مواجهته لا تتحقق بجهود فردية معزولة، وفي هذا الصدد، يشخص الدكتور يوسف القرضاوي آفة العمل الإسلامي الراهن، واضعاً شرط "المأسسة" لنجاح هذه الاستراتيجية، حيث يؤكد أن: "بناء استراتيجية رقمية يتطلب تضافر جهود جميع

⁽³³⁷⁾ البوطي، قضايا ساخنة: التشريع - الإرهاب - العولمة الإنسانية والعولمة الاستعمارية، 167.

المؤسسات الإسلامية الرسمية والشعبية، والتنسيق فيما بينها لضمان تكامل الجهود، وتوحيد الرؤى والأهداف، فالعمل الفردي والمبادرات المتناثرة قد لا تكون كافية لمواجهة تحديات العولمة التي تتطلب عملاً مؤسسياً منظماً، وجهوداً متضافرة" (338)

3.3.4.4.3 تطوير البنية التحتية التكنولوجية للمؤسسات الإسلامية (التحول المؤسسي العميق)

لا يمكن للاستراتيجيات الرقمية أن تُخلق في الفضاء السيبراني دون ارتكاز على "قواعد إطلاق" صلبة.

إن المؤسسات الإسلامية (كالمجامع الفقهية، والجامعات، والهيئات الدعوية) لن تقوى على منافسة الآلة العولمية الضخمة ما لم تُحدث ثورة حقيقية في بنيتها التحتية التكنولوجية؛ لتنتقل من طور الاستهلاك التقني المحدود إلى طور المأسسة والإنتاج.

ويستلزم هذا التحول المؤسسي العميق العمل بمسار متوازٍ على الأركان الأربعة الآتية:

1. إرساء البنية التحتية الصلبة (المادية والبرمجية): يتجاوز هذا المحور مجرد توفير أجهزة الحاسوب، ليصل إلى بناء شبكات اتصال آمنة، واستضافة خوادم (Servers) وقواعد بيانات ضخمة (Big Data) مستقلة ومحمية بأنظمة أمن سيبراني متطورة؛ لحفظ الذاكرة المعرفية والأرشيف الرقمي للأمة من الاختراق أو الحجب الذي قد تفرضه سياسات العولمة التقنية.
2. الاستثمار في رأس المال البشري (الكوادر التقنية): التكنولوجيا هي آلة صماء دون العقل الذي يديرها. يتطلب التطوير استقطاب وتأهيل نخبة من الخبراء ومطوري البرمجيات وصناع المحتوى، ودمجهم مع الكوادر الشرعية؛ لإنتاج جيل من "التقنيين الرساليين" و"العلماء المواكبين"، القادرين على تطويع الخوارزميات والذكاء الاصطناعي لخدمة النص الشرعي والمقاصد الإسلامية.
3. حوكمة البنية التنظيمية والتشريعية: يقتضي التحول الرقمي الناجح نسف الهياكل الإدارية البيروقراطية البطيئة، واستبدالها بهياكل مرنة ورشيقة، ويشمل ذلك صياغة لوائح، وسياسات، وأدلة معيارية تضبط استخدام التكنولوجيا، وتضمن خصوصية بيانات

(338) القرضاوي، المسلمون والعولمة، 2000، 234.

المستفيدين، وتنظم آليات العمل عن بعد، وتُحكّم تدفق المعلومات داخل المؤسسات الإسلامية.

4. تأمين الاستدامة المالية (الاستثمار التقني): يجب تغيير النظرة التقليدية التي تعتبر التكنولوجيا "عبئاً وتكلفة"، لتصبح في صميم "الاستثمار الاستراتيجي"، ويتطلب ذلك تخصيص ميزانيات مستدامة للبحث والتطوير التقني، وتأسيس صناديق وقفية واستثمارية تُمول الابتكارات الرقمية، مما يضمن استقلالية المؤسسات الإسلامية واستمراريتها بعيداً عن تقلبات التمويل الأني.

ولتأصيل فلسفة هذا البناء التكاملي، يؤكد الدكتور طه جابر العلواني أن التفوق لا يتحقق بالعمليات الجزئية، بل بالرؤية الشمولية، مبيناً أن: "تطوير البنية التحتية التكنولوجية للمؤسسات الإسلامية ضرورة عصرية لمواجهة تحديات العولمة، وتحسين العقيدة الإسلامية من تأثيراتها السلبية، وهذا التطوير يتطلب تطوير البنية التحتية المادية، وتطوير البنية التحتية البشرية، وتطوير البنية التحتية التنظيمية، وتطوير البنية التحتية المالية، وكل ذلك يجب أن يتم في إطار رؤية استراتيجية شاملة تراعي متطلبات العصر وتحدياته" (339).

ولأن كلفة هذا البناء التحيّ باهظة ولا تستطيع مؤسسة بمفردها تحمل أعبائه في مواجهة كيانات العولمة العابرة للقارات، يضع الدكتور يوسف القرضاوي "التحالف والمشاركة" كشرط للنجاح، مشدداً على أن: "تطوير البنية التحتية التكنولوجية للمؤسسات الإسلامية يتطلب التعاون والتنسيق بين هذه المؤسسات لتبادل الخبرات والتجارب، وتوحيد الجهود والموارد، فالتعاون والتنسيق يضمنان تكامل الجهود، وتوفير الموارد، وتحقيق الأهداف المشتركة" (340).

3.3.4.5. محور الرؤية المؤسسية والتنظيمية

لا يمكن للأفكار والمشاريع الاستراتيجية (الفكرية والتربوية والتقنية) أن تصمد أمام الآلة العولمية العابرة للقارات ما لم تتبلور داخل قوالب مؤسسية شديدة الصلابة.

إن الانتقال من "عشوائية العمل الفردي" إلى احترافية "المأسسة" يُعد شرطاً وجودياً لبقاء فاعلية العقيدة في المجتمع المعاصر.

(339) العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، 1995، 212.

(340) القرضاوي، المسلمون والعولمة، 2000، 245.

3.3.4.5.1 تطوير المؤسسات الإسلامية في ضوء تحديات العولمة (المأسسة والحوكمة)

إن الحديث عن حماية العقيدة وتحصين المجتمع يمر بالضرورة عبر فهم دقيق لواقع "الدولة" في العصر الراهن؛ إذ تم استلاب الكثير من سيادتها لصالح المنظمات الدولية والقوى العابرة للحدود، مما يجعل المقاومة الفكرية للفرد والمؤسسات الأهلية والمدنية أكثر إلحاحاً وأهمية، ويشرح الدكتور جلال أمين هذا الواقع بجرأة نقدية، مبيناً أن الداعين للصمود أمام تيار العولمة يقعون غالباً في خطأ المراهنة على الدولة بصفقتها الداعم الأول، في حين أن الواقع يشير إلى أن الكثير من الدول قد جرت عولمتها وفقدت زمام المبادرة مؤكداً أن المعارضة العربية لا تزال توجه خطابها للدولة: "فتستجديها مرة، وتنتقدها مرة... من دون أن تريد رؤية دولنا قد أفصحت عن أنها قد فقدت قدرتها على المقاومة" ³⁴¹.

بناءً على هذا التحول في موازين القوى، لم يعد كافياً الاكتفاء بالخطاب الوعظي الفردي، بل يتحتم على المؤسسات الإسلامية (الدعوية، والتعليمية، والخيرية) إحداث ثورة إدارية وتنظيمية شاملة في بنيتها الداخلية لضمان ديمومة الأثر وتحقيق التكافؤ - أو على الأقل المدافعة الفاعلة - مع مؤسسات العولمة الضخمة العابرة للقارات؛ حيث إن هذا الانتقال نحو "المأسسة" يهدف إلى تحويل العمل العقدي من جهود مبعثرة إلى منظومات مستدامة تمتلك أدوات العصر وتلتزم بجوهر الوحي.

وترتكز هذه الرؤية التطويرية للمؤسسات الإسلامية على الأبعاد الأربعة الآتية:

1. ضبط الرؤية والرسالة الاستراتيجية (تحديث البوصلة): الانعتاق من الأهداف الفضفاضة والعامّة إلى صياغة رؤى ورسائل مؤسسية دقيقة، ومحددة، وقابلة للقياس؛ يجب أن تتسم هذه الرؤى بالاستجابة الواعية للمتغيرات السريعة للعصر، بحيث تعكس هوية المؤسسة الإسلامية بوضوح، وتوجه مسارها التنموي نحو أهداف استراتيجية لا تحيد عنها تحت ضغط الأزمات الطارئة.
2. هندسة الهياكل التنظيمية (المرونة الإدارية): التخلص من الهياكل البيروقراطية الهرمية المتكلسة التي تعيق اتخاذ القرار، واستبدالها بهياكل تنظيمية مرنة ورشيقة تضمن هذه

³⁴¹ أمين، "العولمة والدولة"، 1.

الهيكل الحديثة سرعة التكيف مع الصدمات والمتغيرات العولمية، وتحقيق التوزيع العادل للمسؤوليات والصلاحيات، مما يرفع من كفاءة الاستجابة لاحتياجات المجتمع المستهدف.

3. **الاستثمار في رأس المال البشري (صناعة الكفاءات):** لم يعد الولاء العاطفي وحده كافياً لإدارة المؤسسات الإسلامية، بل لا بد من المزاجية بين "الأمانة" و"القوة" (الكفاءة)، ويتطلب ذلك تبني سياسات احترافية لاستقطاب العقول المبدعة، وبناء مسارات للتدريب المستمر، وتطبيق نظم عادلة لتقويم الأداء وتحفيز الإنجاز؛ فرأس المال البشري المؤهل هو المحرك الفعلي لنجاح أي استراتيجية مواجهة.

4. **حوكمة الأنظمة والإجراءات (الشفافية والرقابة):** مأسسة العمل المؤسسي من خلال تصميم أدلة سياسات وإجراءات واضحة تنظم دورة العمل اليومية حيث إن تطبيق مبادئ "الحوكمة" يضمن أعلى درجات الشفافية والمساءلة، ويحمي المؤسسات الإسلامية من التخبط الإداري أو الفساد المالي، مما يعزز ثقة الجماهير بها كبديل حضاري وموثوق.

وعبر قراءة دقيقة لحتمية هذا التحديث الهيكلي دون المساس بالثوابت، يقرر الدكتور محمد عمارة أن: "تطوير المؤسسات الإسلامية ضرورة عصرية لمواجهة تحديات العولمة، وتحسين العقيدة الإسلامية من تأثيراتها السلبية، وهذا التطوير يتطلب تطوير الرؤية والرسالة، وتطوير الهيكل التنظيمي، وتطوير الموارد البشرية، وتطوير الأنظمة والإجراءات، وكل ذلك يجب أن يتم في إطار الحفاظ على هوية المؤسسة الإسلامية، وأصولها وثوابتها، مع مراعاة متطلبات العصر وتحدياته"⁽³⁴²⁾

ولنقل هذه المؤسسات من دائرة العمل التقليدي إلى مصاف المؤسسات العالمية المتقدمة، يضع الدكتور يوسف القرضاوي رويشة إدارية معاصرة مشدداً على أن: "تطوير المؤسسات الإسلامية يتطلب تبني مفاهيم الإدارة الحديثة، مثل الجودة الشاملة، والتخطيط الاستراتيجي، وإدارة المعرفة، والإدارة الإلكترونية، فهذه المفاهيم تسهم في تطوير أداء المؤسسات الإسلامية، وتعزيز قدرتها على مواجهة تحديات العصر"⁽³⁴³⁾

⁽³⁴²⁾ عمارة، العولمة والعقيدة: دراسة في التأثيرات المتبادلة، 2003، 212.

⁽³⁴³⁾ القرضاوي، المسلمون والعولمة، 2000، 256.

3.3.4.5.2. تعزيز التنسيق والتكامل بين المؤسسات الإسلامية (التشبيك الاستراتيجي)

إن نجاح المؤسسات الإسلامية في صد الهيمنة العولمية المتصاعدة لا يمكن أن يتحقق بالانكفاء على الذات أو العمل في "جزر معزولة" تستهلك طاقاتها في تنافس داخلي هامشي؛ بل يتطلب الأمر انتقالاً شجاعاً إلى مربع "التشبيك الاستراتيجي" فالتحديات العابرة للقارات التي تفرضها العولمة، بوسائلها التقنية والمادية الضخمة، تتطلب في المقابل جبهة مؤسسية مترابطة قادرة على تحويل التنوع إلى ثراء، والتعدد إلى قوة تكاملية فاعلة.

وتنبثق هذه الاستجابة المنهجية للتعافي من محور "الوحدة والتجدد"، الذي يهدف إلى تحقيق "التوحيد الحضاري" داخل بنية الأمة لإنهاء حالة الازدواجية والتشتت التي أضعفت قدرتها على المدافعة، وفي رؤية عميقة لكيفية استعادة هذا التوازن، يقرر المستشار طارق البشري أن التجدد الحضاري الحقيقي هو الذي يعالج هذه الازدواجية المعرفية والعملية، طارحاً تساؤلات وجودية للمرحلة الراهنة: "كيف يمكن أن تجتمع الأمة وإن اختلفت فصائلها؟ أي كيف يمكن أن نختلف من دون أن نفترق؟ وكيف يمكن أن نقيم التوازن في أمتنا وجوداً وحركة؟"⁽³⁴⁴⁾.

إن الإجابة عن هذه التساؤلات تتجاوز الشعارات العاطفية نحو بناء هندسة مؤسسية واقعية؛ ولتحويل هذا التكامل إلى واقع ملموس، يتحتم إرساء قواعد التنسيق والتشبيك عبر المسارات الأربعة الآتية:

1. توحيد الرؤى والغايات الاستراتيجية (ضبط البوصلة المشتركة): يتطلب العمل

المؤسسي الناجح صياغة ميثاق عمل مشترك يوحد الرؤى والغايات الكبرى بين مختلف المؤسسات؛ حيث إن التوافق على الأهداف الاستراتيجية يمنع تضارب الرسائل الموجهة للجمهور، ويضمن وحدة التوجه، لتصب جميع الجهود في مجرى واحد يخدم حماية العقيدة وتعزيز الهوية.

2. التكامل في البرامج والمشاريع (التعاقد التشغيلي): تعاني الساحة الإسلامية من ظاهرة

"الازدواجية والتكرار" في المشاريع الدعوية والتعليمية، مما يشنت التأثير؛ لذا يبرز التنسيق كضرورة لخلق حالة من التعاقد التشغيلي؛ بحيث تكمل كل مؤسسة ما بدأته

⁽³⁴⁴⁾ طارق البشري، التجدد الحضاري: دراسات في تداخل المفاهيم المعاصرة مع المرجعيات الموروثة (بيروت:

الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2015)، 2.

الأخرى، مما يضاعف من فاعلية العمل، ويوسع شريحة المستفيدين، ويحقق النتائج المرجوة بكفاءة عالية.

3. **الإدارة المشتركة للموارد والإمكانات (ترشيد الإنفاق):** لا يمكن الاستمرار في هدر الموارد المالية والبشرية المحدودة في مشاريع متكررة، بل يتطلب التكامل تأسيس آليات للتشارك في البنى التحتية، وقواعد البيانات، ومصادر التمويل؛ لضمان الاستفادة المثلى من الإمكانيات المتاحة، وتوجيهها نحو أولويات المرحلة، وتجنب الإسراف المالي والإداري.

4. **نقل المعرفة وتوطين الخبرات (الذاكرة المؤسسية المشتركة):** يقتضي التكامل الفاعل كسر الحواجز الإدارية لتبادل التجارب الناجحة والدروس المستفادة بين المؤسسات الإسلامية، لذلك فإن تعميم المعرفة وتداول الخبرات يختصر مسافات التجربة والخطأ، ويضمن تراكماً معرفياً يطور الأداء العام للمنظومة الإسلامية بأكملها.

في مقاربة دقيقة توازن بين ضرورة الاتحاد وخطورة الذوبان، يؤصل الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي لفلسفة هذا التكامل مشدداً على أن: "تعزيز التنسيق والتكامل بين المؤسسات الإسلامية ضرورة عصرية لمواجهة تحديات العولمة، وتحسين العقيدة الإسلامية من تأثيراتها السلبية، وهذا التعزيز يتطلب تعزيز التنسيق في الرؤى والأهداف، وتعزيز التنسيق في البرامج والمشاريع، وتعزيز التنسيق في الموارد والإمكانات، وتعزيز التنسيق في الخبرات والتجارب، وكل ذلك يجب أن يتم في إطار الحفاظ على استقلالية كل مؤسسة، وخصوصيتها، مع تحقيق التكامل والتعاقد"⁽³⁴⁵⁾.

ولتحويل هذه الفلسفة من حيز التنظير إلى حيز التنفيذ المؤسسي، يقدم الدكتور يوسف القرضاوي الآلية الإدارية الضامنة لنجاحها، مبيناً أن: "تعزيز التنسيق والتكامل بين المؤسسات الإسلامية يتطلب إنشاء هيئات ومجالس تنسيقية تضم ممثلين عن هذه المؤسسات، وتتولى التنسيق بينها، وتوحيد جهودها، وتكامل أدوارها فهذه الهيئات والمجالس تسهم في تعزيز التنسيق والتكامل، وتحقيق الأهداف المشتركة"⁽³⁴⁶⁾.

⁽³⁴⁵⁾ البوطي، قضايا ساخنة: التشريع - الإرهاب - العولمة الإنسانية والعولمة الاستعمارية، 178.

⁽³⁴⁶⁾ القرضاوي، المسلمون والعولمة، 2000، 267.

3.3.4.5.3. بناء شبكات وتحالفات إسلامية لمواجهة تحديات العولمة (التكتلات الاستراتيجية)

في عصر التكتلات الكبرى والكيانات العابرة للقارات، لم يعد بقاء المؤسسات الإسلامية في دوائر العمل الفردي أو الإقليمي الضيق خياراً مجدياً؛ إن الطبيعة الشبكية للعولمة تفرض على العقل المسلم تبني استراتيجية موازية تقوم على بناء "تحالفات وتكتلات إسلامية" تتخذ في جبهة مترابطة، وذلك عبر المسارات الأربعة الآتية:

1. **تدشين التكتلات الفكرية والبحثية:** الانتقال من الجهود العلمية المبعثرة إلى تأسيس مجامع وشبكات بحثية عالمية تضم نخبة العلماء، والمفكرين، وفلاسفة الإسلام؛ تهدف هذه التكتلات إلى إنتاج عقل جمعي إسلامي قادر على تفكيك الفلسفات العولمية، وتقديم إجابات إبستمولوجية (معرفية) موحدة تعزز حصانة الأمة الفكرية في مواجهة الشبهات المنظمة.
2. **إرساء التحالفات الإعلامية والثقافية:** بناء تكتلات مؤسسية عابرة للحدود تجمع كبريات القنوات، والمنابر الثقافية، ودور النشر الإسلامية، وتعمل هذه التحالفات على الإنتاج المشترك، وتبادل المحتوى، وتوحيد الخطاب الإعلامي في القضايا المصيرية، مما يوفر ميزانيات ضخمة ويخلق آلة ثقافية قادرة على مزاحمة الهيمنة الإعلامية الغربية.
3. **تأسيس الشبكات التربوية والأكاديمية:** ربط الجامعات الإسلامية والمراكز التربوية بشبكات أكاديمية موحدة؛ لتسهيل تبادل الخبرات البيداغوجية، وتطوير المناهج التعليمية المشتركة، وتوحيد معايير الاعتماد الأكاديمي؛ إن هذا التشبيك التربوي يضمن توحيد معايير بناء الشخصية المسلمة، بغض النظر عن التباين الجغرافي.
4. **إطلاق التحالفات التقنية والرقمية:** تكوين جبهة تقنية إسلامية موحدة تضم رواد التكنولوجيا والمؤسسات الرقمية؛ بهدف تبادل التقنيات مفتوحة المصدر، وتطوير خوارزميات ومنصات سحابية آمنة، وتأسيس دروع للأمن السيبراني تحمي الذاكرة الرقمية للمؤسسات الإسلامية من محاولات الاختراق أو الحجب.

في رسم ملامح هذه الاستراتيجية الشاملة، يؤكد الدكتور طه جابر العلواني أن التفوق يتطلب تكاملاً في كافة الميادين، مبيناً أن: "بناء شبكات وتحالفات إسلامية ضرورة عصرية لمواجهة تحديات العولمة، وتحصين العقيدة الإسلامية من تأثيراتها السلبية، وهذا البناء يتطلب بناء شبكات وتحالفات فكرية وعلمية، وبناء شبكات وتحالفات إعلامية وثقافية، وبناء شبكات وتحالفات تربوية

وتعليمية، وبناء شبكات، وتحالفات تكنولوجية، ورقمية؛ وكل ذلك يجب أن يتم في إطار رؤية استراتيجية شاملة تراعي متطلبات العصر وتحدياته" (347).

غير أن هذه التحالفات تصطدم تاريخياً بعقبة التشرذم الداخلي، ولتجاوز هذا العائق، يضع الدكتور يوسف القرضاوي القاعدة الذهبية لنجاح أي كتلة إسلامي، مشدداً على أن: "بناء شبكات وتحالفات إسلامية يتطلب تجاوز الخلافات المذهبية والفكرية، والتركيز على القواسم المشتركة، والأهداف العامة، فالخلافات المذهبية والفكرية قد تعيق بناء هذه الشبكات والتحالفات، وتحد من فاعليتها وتأثيرها" (348).

3.3.5. خلاصة (الرؤية المستقبلية المتكاملة)

تنطلق الرؤية المستقبلية المتكاملة من ضرورة بناء "كتلة تاريخية" إسلامية معاصرة، تمتلك أدوات العصر الحديث بروح العقيدة الراسخة، لتقديم البديل الحضاري المنشود وسط تلاطم أمواج العولمة، ويخلص هذا الباب إلى أن مواجهة التأثيرات السلبية للعولمة لا تتحقق عبر ردود الأفعال العاطفية المتناثرة، بل تستوجب بناء "منظومة مدافعة استراتيجية شاملة" تتبلور عبر تشبيك منهجي لخمسة مسارات متوازية: (الفكرية، والتربوية، والإعلامية، والتكنولوجية، والمؤسسية)، لتشكل في مجموعها حائط صد منيعاً وبديلاً حضارياً فاعلاً.

وأمام هذا التحدي "الاستعادي" الذي تفرضه العولمة، لا تقف العقيدة الإسلامية موقف المدافع العاجز، بل تمتلك مشروعاً منافساً يتجاوز جغرافيا الشرق والغرب، وهو "عالمية الإسلام" وفي بيان قدرة الإسلام على تقديم البديل الحضاري كرحمة للعالمين لا كقوة قهر، يقرر الدكتور إبراهيم سلقيني أن محمداً ﷺ بُعث رحمة للعالمين: "ليكون الإسلام رسالة ممتدة (من الشرق إلى الغرب)، تمتلك مقومات (عولمة الإسلام) الحقيقية القائمة على التحرير لا الاستعباد، وعلى نور الإيمان في مواجهة سواد الواقع المادي" (349) إن هذا البعد العالمي للعقيدة هو ما يمنح المسلم المعاصر الثقة في أن دينه يمتلك القدرة على استيعاب العالم وقيادته، متجاوزاً محاولات التهميش أو الإقصاء التي تمارسها القوى العولمية و خلافاً للعولمة القسرية التي تسعى لتنميط البشر تبرز "عالمية

(347) العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، 1995، 223.

(348) القرضاوي، المسلمون والعولمة، 2000، 278.

(349) سلقيني، التحول من الاستعباد المعاصر إلى عالمية الإسلام، 353-355.

الإسلام" كرسالة تخاطب الفطرة الإنسانية المشتركة. هذه العالمية هي جوهر التكليف المحمدي كما في صحيح مسلم: «وَبُعِثْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً»³⁵⁰ وهي التي تمنح الأمة القدرة على الانتقال من خانة "المفعول به" إلى مقام "الفاعل الحضاري"

وبناءً على ذلك، تركز هذه المنظومة المدافعة على المقاربات المركزية التالية:

أولاً: الموازنة بين "الذات" و"الآخر" (اللقاء المعقد)

تتطلب الاستجابة الواعية صياغة رؤية فقهية ومعرفية جديدة تتعامل مع الغرب ككيان "متعدد" ومع الإسلام كمنظومة "متنوعة" دون الوقوع في فخ الذوبان أو الانغلاق، ويشير الباحث فيليب داسيتو إلى تعقيد هذه العلاقة مؤكداً أن اللقاء بين العالمين يتطلب تجريد قوانين معرفية جديدة؛ حيث إن تنوع الإسلام لا يعني تفتته، بل هو مكن غنى أبعاده العقدية وقدرتها على: "استئناف إرث الماضي لتقديم بشائر المستقبل في عالم معولم" (351).

ثانياً: بناء "الإنسان الشاهد" (استعادة الشهود الحضاري)

إن جوهر التعافي المجتمعي يتمثل في إعادة بناء الفرد المسلم ليكون "شاهداً على الناس" بقيمه وأخلاقه، لا مجرد مستهلك لمنتجات الحضارة الغالبة، ويؤكد الأستاذ حيدر الغدير على محورية هذه المهمة داعياً الأمة الإسلامية للتأهب للقيام بواجبها الحضاري، ليس عبر السيطرة المادية الصرفة، بل من خلال: "تقديم (البديل الحضاري) الذي يربط الأرض بالسماء" (352).

ثالثاً: السيادة العقدية في مواجهة الهيمنة الدولية

في ظل الضغوط الهائلة التي تفرضها العولمة على سيادة الدول واستقلاليتها، تبرز الحاجة الماسة لتمسك القيادات والمجتمعات بالثوابت العقدية كمصدر وحيد للقوة والممانعة، ويحذر الدكتور سفر الحوالي من أن الهزيمة الحقيقية تبدأ من الداخل حين يتخلى المسلمون عن تميزهم الحضاري تبعاً

³⁵⁰ مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم - ت محمد فؤاد عبد الباقي - ط دار إحياء الكتب العربية، 1/371؛ 523.

⁽³⁵¹⁾ فيليب داسيتو، اللقاء المعقد بين الغرب المتعدد والإسلام المتنوع، ترجمة جان جابر جبور (أبو ظبي: هيئة

أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، 2010، 1.

⁽³⁵²⁾ حيدر عبدالكريم الغدير، المسلمون والبديل الحضاري (هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1992)،

لأهواء المنظومات الوافدة، مشدداً على أن العزة لا تُنال إلا بالاعتزاز بالوحي الذي: "يحمي الأمة من الذوبان في المنظومة الغربية التي تسعى لمحو الهوية" (353).

مقاربات الرؤية الاستراتيجية للتعافي والوقاية:

1. تجاوز ثنائية الرفض المطلق والقبول المطلق: تنطلق هذه الاستراتيجية من فلسفة "الاشتباك النقدي"؛ فالعولمة ليست قدراً محتوماً يُستسلم له، بل هي واقع معقد يستدعي انفتاحاً منضبطاً لاستثمار منجزاته التقنية والمعرفية، مع تفعيل "الفلاتر النقدية" لصد الإفرازات المادية والإلحادية.
2. الانتقال من الدفاع إلى المبادرة الحضارية: تجلّى ذلك في ضرورة تجديد الفكر الإسلامي، وبناء نموذج (إبستمولوجي) معرفي وتربوي ينهي حالة الازدواجية، وتطوير خطاب إسلامي يمتلك لغة العصر، ليتحول المسلم من موقف المتلقي المستهدف إلى موقف المنتج المؤثر.
3. التكامل المؤسسي وكسر العزلة: إن نجاح المواجهة مرهون بـ "التعاقد العضوي" بين مؤسسات التنشئة (الأسرة، المدرسة، المسجد) من جهة، ومؤسسات التأثير (الإعلام، المنصات الرقمية) من جهة أخرى، ضمن إطار من الحوكمة والتشبيك الاستراتيجي العابر للحدود.
4. مركزية بناء الإنسان (الحصانة الذاتية): يكمن الخلاص الحقيقي في ترسيخ اليقين العقدي بالبراهين العقلية، وتنمية مهارات التفكير النقدي لدى الأجيال؛ فهذه الحصانة الداخلية هي الدرع الوحيد الذي لا يمكن اختراقه مهما تهافت الحواجز الجغرافية.

خاتمة الرؤية: نحو بناء الإنسان الإسلامي المعاصر

تؤكد هذه الرؤية أن الأمة الإسلامية تمتلك في أصول عقيدتها من الثبات ما يحفظ هويتها، وفي فروع فكرها من المرونة ما يكفل لها استيعاب العصر، وإن الهدف النهائي هو بناء "الإنسان" الذي يعيش زمانه بعقل منفتح وروح موحدة، كما يطرح الدكتور أكبر أحمد في رؤيته لعلم الإنسان الإسلامي: "إن (علم الإنسان الإسلامي) يجب أن يدرس البشرية من منطلق التنوع الذي أراده

(353) سفر بن عبد الرحمن الحوالي، المسلمون والحضارة الغربية (الرياض: إصدار خاص، 2001)، 3.

الله، مع الحفاظ على المبادئ الأخلاقية الثابتة؛ إننا نحتاج إلى إنسان مسلم يفهم العولمة دون أن يتبلعه، ويحاور الغرب دون أن يذوب فيه" (354).

3.3.6. الحدود الاعتقادية للأساسيات والفرعيات (ضبط بوصلة الثبات والمرونة)

تنطلق هذه الرؤية من ضرورة امتلاك المسلم لوعي دقيق بحدود "الثبات والمرونة"؛ ففي ظل "السيولة الفكرية" التي تفرضها العولمة وسعيها الدؤوب لإذابة الثوابت تحت شعارات النسبية وما بعد الحداثة، يبرز التحدي الأخطر المتمثل في الخلط المتعمد بين ما هو "قطعي ثابت" وما هو "ظني متغير"، وتعمل العولمة في هذا السياق على محاولة سحب "الأساسيات" إلى دائرة "الفرعيات" لتميعها، مما يوجب على المسلم استخدام مصفوفة أولويات لضبط بوصلته، محققاً مقام "الإحسان" الذي يربط بين إتقان العمل الدنيوي واستشعار الرقابة الإلهية في زمن التغيرات المتسارعة.

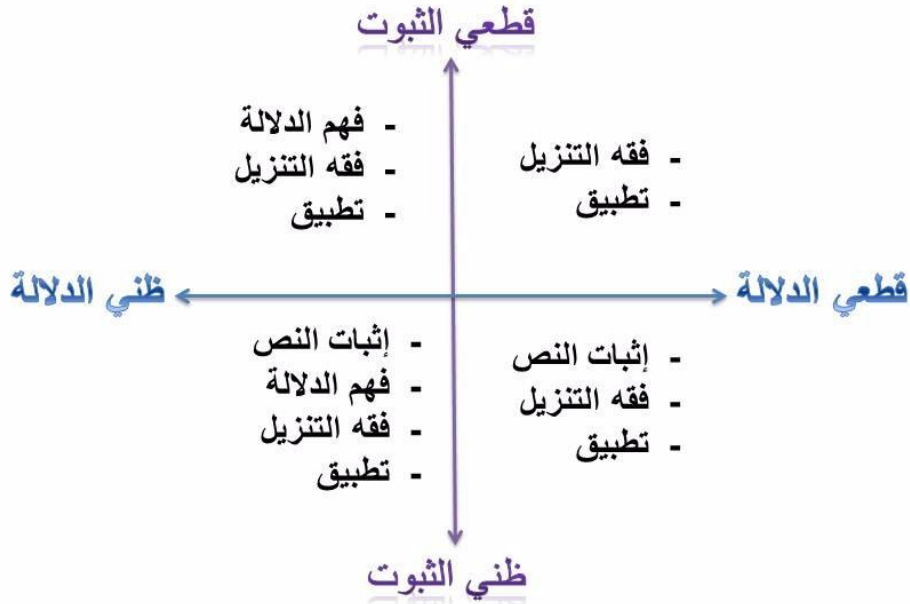
ويتطلب بناء خطاب ديني فاعل في ظل هذه التحديات الانتقال من مجرد الردود الدفاعية إلى فهم الأسس الفلسفية التي يستند إليها الفكر المعاصر؛ ويوضح الدكتور زكرياء غوبريني هذا التحدي مبيناً أن فلسفة الخطاب الديني تشير إلى الأسس الجدلية والمبادئ الفرضية التي تهدف لتحليل الأفكار والمفاهيم والقيم، وكيفية: "استخدام هذه الأسس والمبادئ في تفسير النوازل المعاصرة التي تواجه الإنسانية في العصر الحديث" (355).

(354) أكبر أحمد، نحو علم الإنسان الإسلامي: تعريف ونظريات واتجاهات ترجمة عبد الغني خلف الله، ترجمة

عبد الغني خلف الله (هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1990)، 45.

(355) زكرياء، "فلسفة بناء الخطاب الديني في ظل عولمة القيم والأفكار"، 533.

القطعي والظني .. في الإثبات والفهم



ولضبط هذه السيولة الفكرية وتحرير الوعي من هيمنة النسبية، لا بد من تحرير الحدود الاعتقادية بدقة عبر التمييز المنهجي بين المحاور التالية:

1. **الأساسيات (القطعيات المحكمة):** وهي الكليات التي تشكل الهوية العقدية للإسلام (كأركان الإيمان، وأصول التشريع القطعية، والمحرمات المعلومة من الدين بالضرورة). هذه الأساسيات تمثل "المحكمات" التي لا تقبل التفاوض، أو التأويل، أو التنازل تحت وطأة الضغط العولمي، وهي تمثل الجدار العازل ضد "الذوبان".
2. **الفرعيات (الظنيات ومجال الاجتهاد):** وهي المسائل التفصيلية التي تحتمل تعدد الآراء، وتتغير الفتوى فيها بتغير الزمان والمكان والعرف، وفي هذا المساحة، تتجلى "مرونة" الشريعة وقدرتها على استيعاب المنجزات الحضارية للعولمة (في الإدارة، والاقتصاد، والتقنية) دون حرج.
3. **خطر الانزياح المعرفي:** إن أخطر ما تفرزه العولمة الثقافية هو محاولة سحب "الأساسيات" إلى دائرة "الفرعيات" (لتمييعها باسم التجديد)، أو قيام بعض الحركات المتشددة بسحب "الفرعيات" إلى دائرة "الأساسيات" (مما يورث الانغلاق والجمود)؛ لذا فإن رسم هذا الحد الفاصل يحمي العقل المسلم من آفتي "التفريط" و"الإفراط".

وفي هذا السياق، يقرر الإمام الشاطبي قاعدة ذهبية في التفريق بينهما، مبيناً أن الكليات (الأساسيات) "أبدية لا تتغير"، بينما الجزئيات تابعة للمقاصد وتتأقلم مع المصالح المعتبرة"⁽³⁵⁶⁾.

3.3.7. ضوابط الاعتقاد من حيث القبول والرد (الميزان المعرفي)

مع التدفق الهائل للأفكار والفلسفات عبر القنوات المفتوحة، لا يمكن للمسلم أن يعيش في حالة إنكار أو استهلاك أعمى. لذلك، يقدم الإسلام "ميزاناً إبستمولوجياً" (معرفياً) لفرز الوافد العولمي، يعتمد على الضوابط التالية:

1. **العرض على الوحي (القرآن والسنة):** هو الفلتر الأول والحاكم. فما وافق محكمات الوحي قُبل، وما صادمها رُدّ مهما بلغ بريقه المادي أو الفلسفي.
2. **توافق صريح المعقول مع صحيح المنقول:** يرفض الإسلام حالة القطيعة بين العقل والنقل؛ فالأفكار العولمية التي تعتمد على العقلانية التجريبية لا تُرفض لذاتها، بل تُقبل طالما أنها لا تصادم نصاً شرعياً ثابتاً، عملاً بقاعدة شيخ الإسلام ابن تيمية في درء التعارض بين العقل والنقل"⁽³⁵⁷⁾.
3. **الحكمة ضالة المؤمن (الاستيعاب النقدي):** لا ينطلق الإسلام من عقدة النقص أو الرفض المطلق للآخر، فكل حكمة بشرية، أو تطور إداري وتقني أفرزته العولمة يحقق مصالح العباد ولا يعارض العقيدة، هو مقبول ومطلوب شرعاً، وتطبيقه يعد من صميم عمارة الأرض.

3.3.8. التحصين الداخلي للأفراد (بناء المناعة الذاتية)

في مقابل النزعة المادية الذرائعية التي تفرضها العولمة، تبرز الحاجة الماسة إلى "روحنة" السلوك وإعادة الارتباط بالخالق كطاقة محرّكة للإبداع والتمكين، لا كمجرد انكفاء تعبدي؛ ويؤصل الشيخ محمد مهدي شمس الدين لهذه القوة المعنوية بوصفها المحرك التاريخي للحضارة الإسلامية العظمى، مؤكداً قدرتها على إطلاق الطاقة الكامنة في الروح والعقل ليبعد الإنسان: "بالمقاييس المعاصرة، مؤسسات ومنجزات حضارية تقوم على مبدأ (الروحنة) والأخلاق والقيم

⁽³⁵⁶⁾ الشاطبي، *المواقفات في أصول الشريعة*، 65 ج2، (بتصرف في إسقاطه على العولمة).

⁽³⁵⁷⁾ أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، *درء تعارض العقل والنقل*، ed. by محمد رشاد سالم (الرياض: جامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية، 1991)، 147/1.

الإنسانية... إن دور الإسلام هو دور العامل المعنوي الداخلي الذي يهيب العقل والروح للإبداع"⁽³⁵⁸⁾.

وأمام هذا الطوفان المادي، لا يملك المسلمون خيار التراجع أو الانكسار النفسي، بل يجب أن يدركوا أن حضارتهم تمتلك مقومات "الاستعصاء الحضاري" الذاتي، وهي القدرة الكامنة على استيعاب المنجزات المعاصرة دون الذوبان فيها، ويؤصل المفكر أنور الجندي لهذه الممانعة العميقة مبيناً أن الإسلام في مواجهته للعالم المعاصر لا يقف موقف المدافع الضعيف، بل يستند إلى أرضية حضارية صلبة؛ إذ إن: "الأصالة الإسلامية ترفض التبعية والذوبان في الفكر الوافد، وتملك من حيوية التشريع وشمولية العقيدة ما يؤهلها لتقويم مسار الحضارة الإنسانية المعاصرة، وإنقاذها من خوائها الروحي وتخطبها المادي"⁽³⁵⁹⁾.

إن الخلاصة المنهجية تشير إلى أنه مهما بلغت قوة المؤسسات والاستراتيجيات الكبرى، يظل "الفرد" هو حجر الزاوية والوحدة البنائية الأولى للمجتمع؛ فإذا كانت العولمة تستهدف اختراق وعي الفرد لعزله عن مجتمعه ودينه، فإن المواجهة الحقيقية تبدأ ببناء "مناعة ذاتية" صلبة داخل كل مسلم، ترتكز على:

1. **التحصين الروحي (مقام الإحسان):** غرس استشعار المراقبة الإلهية (أن تعبد الله كأنك تراه)؛ هذا اليقين الروحي هو الدرع الذي يحمي الشاب المسلم في خلواته الرقمية أمام سيل الإباحية والانحراف الأخلاقي الذي تضخه العولمة.
2. **التحصين المعرفي (اليقين بالبرهان):** الانتقال من "إيمان العجائز" الموروث إلى الإيمان المبني على القناعة العقلية والحجة لذلك يجب أن يعرف المسلم المعاصر لماذا يؤمن؟ وكيف يرد على الشبهات الإلحادية؟ ليكون إيمانه صخرة تتحطم عليها أمواج التشكيك.
3. **التحصين النفسي (الاعتزاز بالهوية):** معالجة "القابلية للاستعمار" الثقافي (بتعبير المفكر مالك بن نبي)⁽³⁶⁰⁾ وعقدة النقص تجاه النموذج الغربي الغالب؛ وذلك عبر إحياء الشعور بالعزة الإيمانية والانتماء لخير أمة أخرجت للناس.

⁽³⁵⁸⁾شمس الدين، "قضايا إسلامية معاصرة"، 1.

⁽³⁵⁹⁾أنور الجندي، الإسلام والعالم المعاصر: بحث تاريخي حضاري (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982)، 18.

⁽³⁶⁰⁾مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين - عمر كامل مسقاوي (دمشق: دار الفكر، 1986)،

3.3.9. عولمة عقيدة التوحيد (من الدفاع إلى المبادرة الحضارية)

إن الاستجابة الفاعلة لتحديات العولمة لا تقف عند حدود "التحصين الدفاعي"، بل تمتد لتشكّل "مبادرة حضارية" تعيد للإسلام دوره القيادي في ترشيد مسيرة البشرية، وتبدأ أولى خطوات هذا التعافي بتحرير المصطلحات وفك الاشتباك بين "العولمة" القسرية و"العالمية" الإسلامية؛ حيث يضع الدكتور محمد عمارة حداً فاصلاً يمثّل ركيزة الرؤية المستقبلية، مفرقاً بين عالمية الإسلام التي تحترم التمايز والخصوصيات وتدعو للتعارف، وبين العولمة الغربية التي هي في جوهرها "أمركة" تسعى لفرض نموذج حضاري أحادي يلغي الآخر ويدمر هويته تحت وطأة الهيمنة المادية"⁽³⁶¹⁾.

وتقتضي هذه المبادرة بناء "استقلال معرفي" يتجاوز التبعية، ويتحول فيه العقل المسلم من "موضوع" للدراسة الاستشراقية إلى "ذات" فاعلة تدرس الغرب وتفكك بنيته الفكرية عبر علم "الاستغراب" ويؤصل محمد إلهامي لهذا التحول بوصفه ضرورة وجودية لنزع الفداسة عن النموذج الغربي، وإعادة الاعتبار لمركزية الوحي في تفسير التاريخ والإنسان⁽³⁶²⁾، ويصاحب ذلك دقة في تفكيك المفاهيم الوافدة، كالعلمانية التي يقترح الدكتور نايف بن نهار تسميتها بـ "الخلقانية" في السياق الإسلامي؛ كونها تحاول جعل "الخلق" هو المصدر الوحيد للقيم بدلاً من الخالق، مما يستوجب تأصيل المصطلحات بما يتوافق مع السيادة الإلهية واليقين بالوحي"⁽³⁶³⁾.

إن جوهر هذه المواجهة يكمن في "بناء معاني التأليه" وتعظيم شعائر الله في ذات المسلم، ليكون الله هو الغاية والمقصد في كل شأن، وهو ما يراه الدكتور غازي التوبة الدرع الحقيقي الذي يردع الشبهات والشهوات"⁽³⁶⁴⁾، وفي هذا السياق، تبرز الحاجة إلى "روحنة" السلوك كطاقة محرّكة للإبداع والتمكين؛ فكما يوضح الشيخ محمد مهدي شمس الدين، فإن العامل المعنوي الإسلامي هو

⁽³⁶¹⁾ محمد عمارة، الغرب والإسلام: أين الخطأ؟ وأين الصواب؟؟ (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2004)، 24.

⁽³⁶²⁾ محمد إلهامي، نحو تأصيل إسلامي لعلم الاستغراب (القاهرة: دار التقوى، 2015)، 10.

⁽³⁶³⁾ نايف بن نهار، من العلمانية إلى الخلقانية: قراءة في كفاءة مصطلحات الفصل الديني واستحقاقاتها (إسطنبول: مؤسسة وعي للدراسات والأبحاث، 2024)، 92.

⁽³⁶⁴⁾ غازي التوبة، في مجال العقيدة: نقد وعرض (عمان: دار عمار، 1986)، 116.

الذي يهيب العقل والروح لإنتاج منجزات حضارية تتجاوز الخواء الروحي للمادية المعاصرة
" (365).

إن الهدف الأسمى لهذه الرؤية هو تقديم الإسلام كـ "رحمة للعالمين" و"ضمير مفقود" للحضارة
المعاصرة، كما وصفه روجيه غارودي، لتحرير الإنسان من عبودية الأشياء⁽³⁶⁶⁾، وتستند هذه
الريادة إلى تاريخ حافل؛ حيث يذكر الدكتور سيد عبد الماجد الغوري أن عقيدة التوحيد والعلم
والعدل كانت الأسس الأولى للمظاهر الحضارية الإسلامية والتي انتقلت لتضيء ظلمات أوروبا،
مما يثبت قدرة الإسلام على قيادة العصر التكنولوجي إذا ما استعاد المسلمون فاعليتهم العقدية
(367).

وبناءً على ذلك، تنتقل الرؤية المستقبلية إلى استراتيجية "أسلمة العولمة" بدلاً من "عولمة
الإسلام"؛ فالمستقبل، كما يستشرف الباحث الطاهر دحماني، هو للإسلام المؤهل لإسعاد "القرية
الكونية" وتطويع أدوات العولمة لخدمة الرسالة الخالدة⁽³⁶⁸⁾، ويؤكد الدكتور مصطفى حلمي أن
شمولية الإسلام وخلوده تجعله قادراً على مواجهة كافة المذاهب المعاصرة كرسالة خاتمة ومهيمنة
" (369).

ختاماً، فإن مفهوم "عولمة التوحيد" يبرز كطوق نجاة للبشرية، يعيد للإنسان كرامته المهذورة
في عصر "التشويش" والاستهلاك، وكما يرى الدكتور سيف الدين عبد الفتاح، فإن التعافي يكمن في
تقديم رؤية توحيدية شاملة للمجتمع والسياسة والاقتصاد مستمدة من الوحي⁽³⁷⁰⁾ وهي رؤية تقوم،

⁽³⁶⁵⁾ شمس الدين، "قضايا إسلامية معاصرة"، 1.

⁽³⁶⁶⁾ روجيه غارودي، *الإسلام في الغرب: قرطبة عاصمة العالم والفكر*، ترجمة ذوقان قرقوط (دمشق: دار
دمشق، 1995)، 134.

⁽³⁶⁷⁾ سيد عبد الماجد الغوري، *أثر الحضارة الإسلامية في الغرب* (رابطة العالم الإسلامي، 2019)، 25 بتصرف.
⁽³⁶⁸⁾ دحماني، "خطر العولمة الدينية على المجتمعات الإسلامية: عولمة الإسلام أم أسلمة العولمة؟"، 12.

⁽³⁶⁹⁾ مصطفى حلمي، *الإسلام والأديان: دراسة مقارنة* (الإسكندرية: دار الدعوة، 1990)، 7.

⁽³⁷⁰⁾ عبد الفتاح سيف الدين، *العولمة والإسلام: رؤيتان للعالم*، ed. by منى أبو الفضل - نادية مصطفى (دمشق:
دار الفكر، 2009)، 1.

وفق تحليل محمد أبو القاسم حاج حمد، على جدلية (الغيب والإنسان والطبيعة)، لتقدم نموذجاً معرفياً يربط كدح الإنسان بتوجيه الوحي، محققاً استخلاقاً رشيداً لا يدمر الأرض" (371).

وتتجسد هذه المبادرة الحضارية في المسارات العملية التالية:

1. التوحيد كمشروع تحرير عالمي: تحرير الإنسان من عبودية المادة والقوى المستبدة إلى عبودية الخالق وحده.

2. عولمة القيم الأخلاقية: تقديم نظام الأسرة والتكافل والعدل كبديل للفردانية والتحلل القيمي.

3. تطويع الأدوات التقنية: استخدام الإنترنت والذكاء الاصطناعي لتحقيق "البلاغ المبين" وتجاوز عوائق الجغرافيا السياسية.

بهذا، يتحول المسلم من "ضحية" للعولمة إلى "رائد" حضاري، يوظف أدوات العصر لتبليغ رسالة السماء إلى الأرض، مؤمناً بأن التفوق التقني لا يعني بالضرورة التفوق القيمي، كما يؤكد الدكتور جعفر شيخ إدريس" (372).

وفي ختام هذه الرؤية الاستشرافية، يبرز تساؤل مشروع حول مآلات الصراع بين العولمة الغربية والعقيدة الإسلامية، وتحت عنوان هذا التساؤل، يُلخص الدكتور إبراهيم سلقيني حتمية المدافعة بقوله: "هل ستحقق عولمة الإسلام؟ النصر بين نور الإيمان وسواد الواقع.. إن هذه المواجهة تتطلب وعياً راسخاً بأن رسالة الإسلام قادرة على الانتصار واختراق حواجز العولمة المادية، إذا ما تسلم المسلمون بنور الإيمان وأدركوا حجم التحديات التي يفرضها سواد الواقع المعاصر (373)" إن هذا اليقين بحتمية تحقق "عالمية الإسلام" هو الذي يمنح الاستراتيجيات (التربوية والإعلامية والفكرية) التي تناولناها في هذا البحث فاعليتها وروحها، ويحولها من مجرد "أمنيات" إلى "خطة عمل" واقعية قابلة للتنفيذ.

(371) محمد أبو القاسم حاج حمد، العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة (بيروت: دار الهادي،

2004)، 4.

(372) شيخ إدريس، صراع الحضارات بين عولمة غربية وبعث إسلامي، 2.

(373) سلقيني، التحول من الاستعباد المعاصر إلى عالمية الإسلام، 355.

الخاتمة والتوصيات

أولاً: الخاتمة

في ختام هذه الدراسة الموسومة بـ "تأثيرات العولمة على العقيدة الإسلامية"، نصل إلى لحظة التركيب المعرفي التي تتجاوز مجرد سرد النتائج إلى استشراف المآلات الحضارية؛ لقد كشفت فصول البحث أن العولمة ليست مجرد "تنميط اقتصادي" أو "تداخل سياسي"، بل هي في جوهرها "مشروع عقدي بديل" يسعى لإعادة صياغة الإنسان والكون وفق رؤية مادية محضة، تزيح "المركزية الإلهية" لتضع مكانها "مركزية المادة والاستهلاك".

لقد أثبتت الدراسة أن المواجهة الحقيقية مع العولمة لا تكمن في "الانغلاق الدفاعي" ولا في "الذوبان الاستلابي"، بل في استعادة "العالمية الإسلامية" التي تمنح البشرية توازناً مفقوداً بين الروح والمادة، وبين الفرد والمجتمع؛ إن العقيدة الإسلامية، بما تمتلكه من خصائص الربانية والشمول والثبات، تمثل "الحصن الأخير" لحماية الكرامة الإنسانية من "التشيؤ" الذي تفرضه آليات العولمة المتوحشة.

إن النتائج التي توصل إليها البحث تؤكد أن "الأزمة" ليست في قوة العولمة فحسب، بل في "قابلية الاختراق" التي أصابت العقل المسلم المعاصر، مما يستوجب مشروعاً نهضوياً يبدأ من "إعادة بناء الشخصية المسلمة" على أسس معرفية تجمع بين "قراءة الوحي" و"قراءة الكون"، وتفعّل أدوات العصر لخدمة الثوابت الأزلية.

ثانياً: التوصيات

بناءً على ما تقدم من تحليل ونقد، يتقدم الباحث بجملة من التوصيات الاستراتيجية الموجهة للمؤسسات والأفراد، موزعة على عدة مسارات:

1- المسار المعرفي والمنهجي:

- تفعيل منهجية "إسلامية المعرفة": نوصي بضرورة إعادة صياغة المناهج التعليمية في الجامعات الإسلامية لتجمع بين العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية الحديثة، بما يضمن تخريج باحثين قادرين على "تفكيك" الخطاب العولمي ونقده من منظور عقدي رصين.

- تأسيس "علم الاستغراب": نوصي بالانتقال من كوننا "موضوعاً" للدراسات الاستشراقية إلى كوننا "ذاتاً" دارسة للغرب، لفهم جذور العولمة الفلسفية وتفكيكها، بدلاً من الاكتفاء بردود الأفعال الآتية.

2- المسار المؤسسي والتقني:

- بناء "منظومة رقمية عقدية": نوصي المؤسسات الإسلامية الكبرى بتأسيس منصات عالمية تفاعلية تستخدم "الذكاء الاصطناعي" لرصد الشبهات العقدية المعاصرة والرد عليها بلغات حية وبأسلوب يناسب الأجيال الشابة.
- التنسيق الاستراتيجي بين المؤسسات: نوصي بإنشاء "مجلس أعلى للتنسيق الثقافي الإسلامي" لمواجهة التحديات العابرة للحدود، وتوحيد الجهود في إنتاج محتوى إعلامي وتربوي يحمي الهوية العقدية من التذويب.

3- المسار التربوي والاجتماعي:

- تعزيز "الحصانة الذاتية" للأسرة: نوصي بتطوير برامج تربوية موجهة للوالدين لتمكينهم من حماية الأبناء من "السيولة القيمية" التي يبثها الفضاء الرقمي، والتركيز على مفهوم "الاعتزاز بالهوية" كبديل لعقدة النقص تجاه النموذج الغربي.
- إحياء "فقه الموازنات" و"فقه الواقع": نوصي الدعاة والمربين بتبني خطاب ديني يفرق بين "الوسائل التقنية" التي يجب استثمارها، وبين "الغايات الفلسفية" التي يجب الحذر منها، لضمان انفتاح منضبط لا يؤدي إلى الانفلات العقدي.

4- المسار الدعوي العالمي:

- تقديم الإسلام كـ "بديل حضاري": نوصي بالانتقال من خطاب "الدفاع عن النفس" إلى خطاب "إنقاذ البشرية"، عبر إبراز الحلول الإسلامية للأزمات التي خلفتها العولمة (كالأزمة البيئية، وتفكك الأسرة، والظلم الاقتصادي)، وتقديم "توحيد الخالق" كسبيل وحيد لتحرير الإنسان من "عبودية الأشياء".

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المراجع

- ابن تيمية. *مجموع الفتاوى*. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1995.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم. *برء تعارض العقل والنقل* ed. by محمد رشاد سالم. 11 مجلد. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2 الطبعة، 1991.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. *مقدمة ابن خلدون* ed. by عبد الله محمد الدرويش. 2 مجلد. دمشق: دار القلم، 1 الطبعة، 2004.
- ابن عاشور، الطاهر. *أصول النظام الاجتماعي في الإسلام*. تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1984.
- ابن فارس، أحمد. *معجم مقاييس اللغة* ed. by عبد السلام هارون. 6 مجلد. مصر: مصطفى البابي الحلبي، 2 الطبعة، 1969.
- ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر. *إغاثة اللهفان من موائد الشيطان* ed. by محمد عزيز شمس. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، 2 الطبعة، 1432.
- ابن منظور، محمد بن مكرم - جماعة من اللغويين، اليازجي. *لسان العرب*. 15 مجلد. بيروت: دار صادر، 3 الطبعة، 1993.
- أبو زعرور، محمد سعيد. *العولمة والعالم الإسلامي*. عمان: دار البيارق، 2002.
- أبو زهرة، محمد. *أصور الفقه*. القاهرة: دار الفكر العربي، 1958.
- أبو زيد، نصر حامد. *نقد الخطاب الديني*. القاهرة: سينا للنشر، 1994.
- أحمد، أكبر. *نحو علم الإنسان الإسلامي: تعريف ونظريات واتجاهات ترجمة عبد الغني خلف الله*. ترجمة عبد الغني خلف الله. هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1 الطبعة، 1990.
- أركون، محمد. *الفكر الإسلامي: قراءة علمية*. بيروت: مركز الإنماء القومي، 1996.
- الأزدي، علي بن الحسن الهنائي. *المنجد في اللغة* ed. by أحمد مختار عمر - ضاحي عبدالباقي. القاهرة: عالم الكتب، 2 الطبعة، 1988.
- الأشقر، عمر سليمان. *العقيدة في الله*. عمان: دار النفائس، 12 الطبعة، 1999.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. *صحيح البخاري* ed. by مصطفى ديب البغا. 7 مجلد. دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة، 5 الطبعة، 1414.
- البشري، طارق. *التجدد الحضاري: دراسات في تداخل المفاهيم المعاصرة مع المرجعيات الموروثة*. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2015.

البلوي، هاني. الهوية الإسلامية وأثر العولمة على الجانب العقدي فيها. مجلة جامعة تبوك للعلوم الإنسانية، 2018.

البوطي، محمد سعيد رمضان. قضايا ساخنة: التشريع - الإرهاب - العولمة الإنسانية والعولمة الاستعمارية. دمشق: دار الفكر، 1 الطبعة، 2016.

البوطي، محمد سعيد رمضان. كبرى اليقينيّات الكونية. دمشق: دار الفكر، 1997.
التوبة، غازي. الحضارة الغربية بنيتها وتأثيراتها علينا دراسة ونقد. اسطنبول: دار الأصول العلمية، 1 الطبعة، 2023.

التوبة، غازي. في مجال العقيدة: نقد وعرض. عمان: دار عمار، 1986.
الجابري، محمد عابد. "العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات". العرب والعولمة ed. by أسامة أمين الخولي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998.

الجابري، محمد عابد. قضايا في الفكر المعاصر: العولمة - صراع الحضارات - العودة إلى الأخلاق - التسامح - الديمقراطية ونظام القيم - الفلسفة والمدينة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997.

الجندي، أنور. الإسلام والعالم المعاصر: بحث تاريخي حضاري. بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982.

الجوهري، محمد. العولمة وأثرها على العقيدة والثقافة الإسلامية. القاهرة: دار الأمين، 2005.
الحوالي، سفر بن عبد الرحمن. المسلمون والحضارة الغربية. الرياض: إصدار خاص، 2001.
الخولي، أسامة أمين (تحقيق). العرب والعولمة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1995.
الزبيدي، رقية شاكر. "أثر العقيدة في ترسيخ التمكين عند المسلمين". مجلة التراث العلمي العربي، 1 (2016)، 249-272.

الزحيلي، وهبة. العولمة وآثارها في العالم الإسلامي. دمشق: دار الفكر، 2002.
السحبياني، علي بن عمر. "العولمة وأثرها على الاعتقاد". مجلة الدراسات العقدية 5/3 (2011)، 419-509.

السكران، إبراهيم. مآلات الخطاب المدني. الرياض: مركز تفكر للبحوث والدراسات، 1 الطبعة، 2014.

السنافي، هاجر. أثر الانحراف الفكري على المرأة المسلمة. السعودية: جامعة طيبة، المدينة المنورة، بحث تكميلي - ماجستير غير منشور، 2011.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى (أبو إسحاق). *الموافقات في أصول الشريعة* ed. by مشهور بن حسن آل سلمان. 7 مجلد. الخبر - المملكة العربية السعودية: دار ابن عفان، 1 الطبعة، 1997.

الشعراوي، محمد متولي. *العقيدة والمنهج*. القاهرة: أخبار اليوم، 1999.
الشعراوي، محمد متولي. *تفسير الشعراوي*. القاهرة: أخبار اليوم، 1991.
الشيخلي، عبد القادر. *العولمة وتأثيرها على المجتمع الإسلامي*. بيروت: دار الفكر المعاصر، 2001.

الصابوني، نور الدين. *العولمة والعالم الإسلامي*. دمشق: دار الفكر، 2002.
الطريقي، عبد الله. *الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي*. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993.
العبود، عامر. "بحث عن العولمة أسباب العولمة ونتائجها وأنواعها". *طوها*. 2019. تاريخ الوصول 6 يونيو، <https://www.hellooha.com/articles/2090-2025>. بحث-
عن-العولمة-أسباب-العولمة-ونتايجها-وأنواعها

العجيري، عبد الله بن صالح. *ينبوع الغواية الفكرية غلبة المزاج الليبرالي وأثره في تشكيل الفكر والتصورات*. الرياض: مجلة البيان، 1 الطبعة، 1434.
العظم، صادق جلال. "ما هي العولمة" 1/58 (1999).

العقاد، محمود عباس. *الشيوعية والإنسانية في شريعة الإسلام*. هنداوي، د.ت.
العقيد، سيد احمد - عوض، حاج علي. "الشباب المسلم بين العولمة والهوية". *مجلة جامعة شندي* 2/2005 (2005)، 28-38.

العلواني، طه جابر. *إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم*. القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1 الطبعة، 1996.

العلواني، طه جابر. *إصلاح الفكر الإسلامي*. هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995.
العلواني، طه جابر. *القراءتان: قراءة الوحي وقراءة الكون*. القاهرة: مكتبة الشروف الدولية، 1 الطبعة، 2006.

العلواني، طه جابر. *خواطر في الأزمة الفكرية والمأزق الحضاري للأمة الإسلامية*. هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1989.

العياشي، الفرار. "الأسواق الدينية وعولمة السلوك الديني". *المستقبل العربي* 497/43 (2020)، 137-145.

الغدِير، حيدر عبد الكريم. *المسلمون والبدليل الحضاري*. هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي،
3 الطبعة، 1992.

الغزالي، أبو حامد. *إحياء علوم الدين*. بيروت: دار المعرفة، د.ت.
الغزالي، محمد. *عقيدة المسلم*. القاهرة: دار نهضة مصر، 2005.
الغزالي، محمد. *قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة*. القاهرة: دار الشروق، 1990.
الغنوشي، راشد. *الحريات العامة في الدولة الإسلامية*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،
1993.

الغوري، سيد عبد الماجد. *أثر الحضارة الإسلامية في الغرب*. رابطة العالم الإسلامي، 2019.
الفاروقي، اسماعيل راجي. *أسلمة المعرفة: المبادئ العامة وخطة العمل*. هيرندن: المعهد العالمي
للفكر الإسلامي، 1982.

الفوزان، صالح. *شرح العقيدة الواسطية*. الرياض: مكتبة المعارف، 1997.
القبانجي، أحمد. *الإسلام المدني*. بيروت: دار الانتشار العربي، 2005.
القرضاوي، يوسف. *الإيمان والحياة*. القاهرة: مكتبة وهبة، 1990.
القرضاوي، يوسف. *الخصائص العامة للإسلام*. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2 الطبعة، 1983.
القرضاوي، يوسف. *المسلمون والعولمة*. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2000.
القرضاوي، يوسف. *في فقه الأقليات المسلمة*. القاهرة: دار الشروق، 2001.
القرضاوي، يوسف. *في فقه الأولويات: دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة*. القاهرة: مكتبة
وهبة، 2 الطبعة، 1996.

الكيلاني، ماجد عرسان. *فلسفة التربية الإسلامية: دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية
والفلسفات التربوية والمعاصرة*. بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1 الطبعة، 1987.
الكيلاني، نجيب. *الإسلام وحركة الحياة*. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1992.
الماتريدي، أبو منصور محمد. *كتاب التوحيد* ed. by بكر طوبال اوغلي - محمد أروتشي. بيروت
- اسطنبول: دار صادر - مكتبة الإرشاد، 2001.

المسيري، عبد الوهاب. *العلمانية والحداثة والعولمة* ed. by سوزان حرفي. دمشق: دار الفكر،
1 الطبعة، 2013.

المسيري، عبد الوهاب. *العولمة والصهيونية*. القاهرة: دار الفكر المعاصر، 2001.
المعاينة، عطا الله بخيت. *أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني
المعاصر*. مكة المكرمة: جامعة أم القرى، رسالة ماجستير غير منشورة، 1989.

- المنجد، محمد صالح. *خطر العولمة على العقيدة الإسلامية*. الرياض: دار الوطن، 2002.
- النجار، زغلول راغب. *أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية*. هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1 الطبعة، 1990.
- النورسي، بديع الزمان سعيد. *اللمعات*. ترجمة احسان قاسم الصالحي. القاهرة: سوزلر للمشر، 6 الطبعة، 2011.
- إلهامي، محمد. *نحو تأصيل إسلامي لعلم الاستغراب*. القاهرة: دار التقوى، 2015.
- أمين، جلال الدين. "العولمة والدولة". *ملف العرب والعولمة* 228/20 (1998)، 23-36.
- أنشاصي، مصطفى. "معركة المفاهيم: الحضارة، الثقافة، العولمة، هي الدين". *شؤون العصر* 24/11 (2007)، 46.
- أوروك، كيفن. *تاريخ العولمة الاقتصادية*. ترجمة محمد كمال. القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2010.
- بايير، جون. *العولمة: النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية*. ترجمة سمير الشيشكلي. دمشق: وزارة الثقافة، 2004.
- بن بيه، عبد الله. *صناعة الفتوى وفقه الأقليات*. بيروت: دار المنهاج، 2007.
- بن نبي، مالك. *شروط النهضة*. ترجمة عبد الصبور شاهين - عمر كامل مسقاوي. دمشق: دار الفكر، 1986.
- بن نهار، نايف. *من العلمانية إلى الخلقانية: قراءة في كفاءة مصطلحات الفصل الديني واستحقاقاتها*. إسطنبول: مؤسسة وعي للدراسات والأبحاث، 2024.
- بو الشعير، عبد العزيز. *النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي والغربي*. بيروت: مندى المعارف، 1 الطبعة، 2014.
- جربوعه، محمد. *مهلا هنتنغتون.. مهلا فوكوياما: نظرية الشبكة التصفوية في صراع الثقافات والمادة* ed. by المركز العالمي للاستشارات الإستراتيجية. الرياض: مكتبة العبيكان، 2 الطبعة، 2004.
- حاج حمد، محمد أبو القاسم. *العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة*. بيروت: دار الهادي، 1 الطبعة، 2004.
- حالوب، خضير - حسين، كرار. "مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية". *وسائل الغزو الثقافي وأهدافها (العولمة أنموذجاً)* 1/13 (2023)، 1-16.

حالب، خضير - حسين، كرار. "وسائل الغزو الثقافي وأهدافها: العولمة أنموذجاً". مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية 1/13 (2023)، 283-298.

حبنكة الميداني، عبد الرحمن. العقيدة الإسلامية وأسسها. دمشق: دار القلم، 1979.
حسنة، عمر عبيد. العولمة: فرص وتحديات. المكتب الإسلامي، د.ت.
حسين، آصف. صراع الغرب مع الإسلام (استعراض للعداء التقليدي للإسلام في الغرب). ترجمة مازن مطبقاني. الرياض: مركز الفكر المعاصر - دار الوعي للنشر والتوزيع، 1 الطبعة، 2013.

حلمي، مصطفى. الإسلام والأديان: دراسة مقارنة. الإسكندرية: دار الدعوة، 1990.
حنفي، حسن. دراسات إسلامية. بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، 1982.
خضر، أحمد إبراهيم. "علم الاجتماع: بحوث سطحية وأخرى استعمارية". شبكة الألوكة. 2012.
تاريخ الوصول 11 أبريل، 2026. علم-الاجتماع-بحوث-سطحية-وأخرى-استعمارية/
خليفة، حسن محمد. المسلمون والحوار الحضاري مع الآخر: نقد إسلامي لنظرية صراع الحضارات. القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، 2003.

داسيتو، فيليس. اللقاء المعقد بين الغرب المتعدد والإسلام المتنوع. ترجمة جان جابر جبور. أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، 1 الطبعة، 2010.

دحماني، الطاهر. "خطر العولمة الدينية على المجتمعات الإسلامية: عولمة الإسلام أم أسلمة العولمة؟". مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية 1/8 (2020)، 1-12.

دعدوش، أحمد. "روحانية بدون تدين.. طائفة جديدة تنافس الإلحاد!" قيد النشر 2025.
<https://www.youtube.com/watch?v=ZzDy8dIXRAU>

دول، دويليام. المنهج في عصر ما بعد الحداثة. ترجمة خالد العوض. الرياض: مكتبة العبيكان، 2000.

رمضان، طارق. المسلمون في الغرب. الرياض: مكتبة العبيكان، 2004.
رمضان، طارق. المسلمون في الغرب. الرياض: مكتبة العبيكان، 2004.

زكرياء، غوبريني، "فلسفة بناء الخطاب الديني في ظل عولمة القيم والأفكار". مجلة الشهاب 1/9 (2023)، 533-548.

زيادة، خالد. تطور النظرة الإسلامية إلى أوروبا. بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، 1 الطبعة، 2010.

- زيادة، رضوان - أوتول، كيفين جيه. صراع القيم بين الإسلام والغرب. دمشق: دار الفكر، 1 الطبعة، 2010.
- سروش، عبد الكريم. القبض والبسط في الشريعة. ترجمة دلال عباس. بيروت: دار الجديد، 2002.
- سلفيني، إبراهيم عبد الله. التحول من الاستعباد المعاصر إلى عالمية الإسلام. ديار بكر: مكتبة سيدا، 2025.
- سويلم، أحمد. ثقافتنا في مفترق الطرق. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 1 الطبعة، 2004.
- سيف الدين، عبد الفتاح. العولمة والإسلام: رؤيتان للعالم. ed. by منى أبو الفضل - نادية مصطفى. دمشق: دار الفكر، 2009.
- شمس الدين، محمد مهدي. "قضايا إسلامية معاصرة". العولمة - موقف الإسلام من العولمة في المجال الثقافي والسياسي 3/1998 (30 سبتمبر، 1998)، 60-78.
- شيخ إدريس، جعفر. صراع الحضارات بين عولمة غربية وبعث إسلامي. الرياض: مجلة البيان، 1 الطبعة، 1433.
- صبري، مصطفى. القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون. القاهرة: عيسى البابي الحلبي، 1942.
- عامر، طارق عبد الرؤوف. "العولمة (مفهومها - أهدافها - خصائصها)". آفاق علمية وتربوية (blog)، 26 أبريل، 2021 .
- عبد الحميد، محسن. تجديد الفكر الإسلامي. هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1981.
- عرايبي، محمود. تأثير العولمة على ثقافة الشباب. القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 1 الطبعة، 2006.
- علي، أحمد محمد. "بعض مفاهيم العولمة والحدثة.. رؤية د. عبد الوهاب المسيري". مركز خطوة للتوثيق والدراسات (blog) ، 2017.
- عليجات، حمود. "الثقافة الإسلامية وتحدي العولمة". بحوث ودراسات 24 (2000)، 47-67.
- عمارة، محمد. الإسلام والاقتصاد. القاهرة: دار الشروق، 1993.
- عمارة، محمد. الإسلام والسياسة. القاهرة: دار الشروق، 2005.
- عمارة، محمد. العولمة والعقيدة: دراسة في التأثيرات المتبادلة. القاهرة: دار نهضة مصر، 2003.
- عمارة، محمد. الغرب والإسلام: أين الخطأ؟ وأين الصواب؟ القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2004.

عمارة، محمد. معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام. القاهرة: نهضة مصر، 2 الطبعة، 2004.

عوض، شريف محمد. "صناعة الرمز الديني في الحياة اليومية في ضوء تحولات العولمة".
حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية 37 (2016)، 9-108.

غارودي، روجيه. الإسلام في الغرب: قرطبة عاصمة العالم والفكر. ترجمة ذوقان قرقوط. دمشق: دار دمشق، 1995.

غارودي، روجيه. وعود الإسلام. ترجمة ذوقان قرقوط. بيروت - القاهرة: دار الرقي - مكتبة مدبولي، 2 الطبعة، 1985.

فوكوياما، فرانسيس. نهاية التاريخ والإنسان الأخير. ترجمة حسين الشبخ. بيروت: مركز الإنماء القومي، 1993.

فيك، جورج - بول، يلدينج. العولمة والرعاية الإنسانية. ترجمة طلعت السروجي. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1 الطبعة، 2005.

قاعود، يحيى سعيد. أطروحات فوكوياما وهانتنغتون والنظام العالمي الجديد: دراسة تحليلية مقارنة. الرياض: مركز البيان للبحوث والدراسات، 1436.

قطب، سيد. السلام العالمي والإسلام. القاهرة: دار الشروق، 12 الطبعة، 1993.

قطب، محمد. مذاهب فكرية معاصرة الديموقراطية الشيوعية العلمانية العقلانية القومية والوطنية الإنسانية الإلحاد. القاهرة - بيروت: دار الشروق، 7 الطبعة، د.ت.

قناة الجزيرة. "موازنين | الشباب والتدين.. ما الذي غيرته الحداثة؟". قيد النشر 2024.
<https://www.youtube.com/watch?v=j7w7eTjBU5I>

كاستلز، مانويل. عصر المعلومات: الاقتصاد والمجتمع والثقافة. ترجمة حسن قببسي. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005.

كوفي، ستيفن. العادات السبع للناس الأكثر فعالية. الرياض: مكتبة جرير، 21 الطبعة، 2009.
مبروك، محمد إبراهيم. "تهيئة الشعوب للاستعداد في عصر العولمة". تقرير ارتيادي (استراتيجي) 6/2009 (2009)، 16.

مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2004.

محمد، عبد المجيد أبو سعيد. "التجديد في مناهج التعليم الديني في عصر العولمة". المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، 4/6 (2010)، 291-315.

محمد، علي، أحمد. بعض مفاهيم العولمة والحدثة.. رؤية د. عبد الوهاب المسيري. مركز خطوة للتوثيق والدراسات، 2017.

مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار أحياء التراث، د.ت. ملكاوي، فتحي. منهجية التكامل المعرفي. هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2011. مولر، كلاوس. العولمة، د.ت.

نخبة من العلماء. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 2016.

هويدي، فهمي. أزمة الوعي الديني. صنعاء: دار الحكمة اليمنية، 1 الطبعة، 1988. والرشتاين، إيمانويل. النظام العالمي الحديث. ترجمة عادل مختار الهواري. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2004.

Ali, Md Yousuf. "The Impact of Globalization on Muslim Thought, Culture and Society: Challenges and Opportunities to The Muslim Unity In 21st Century". *Tafhim: IKIM Journal of Islam and the Contemporary World* 1/4 (2015)، 83–119.

Diyaret İşleri Başkanlığı. *2024-2028 Stratejik Planı*. Strateji Geliştirme Başkanlığı, 2024.

Hassan, Riaz. "Globalization's Challenge to Islam". *YaleGlobal Online*. Yale University. 2003.

Türk Dil Kurumu Sözlükleri. Ankara: TDK, 2019.

Webster's Dictionary. Springfield: Merriam-Webster, 2020.